إلهامُ الرحمٰن

فی

تفسیرِ القرآن

علیٰ اصول الامام شاہ ولی اللہ الدہلوی

مِن افادات الامام السندی عُبید اللہ ابن الاسلام

التی تلقاها منه

العلامة موسیٰ جار اللہ

نشره وحققه

ابو سعید غلام مصطفیٰ القاسمی السندی

بحیدرآباد السند

الهام الرحمٰن

فی

تفسیر القرآن

علی اصول الامام شاہ ولی اللہ الدہلوی

من افادات الامام السندی عبید اللہ ابن الاسلام

التی تلقاها منه

العلامة موسی جار اللہ

طبع علی نفقة المهندس ابو ربیع عبد الرسول الیمن الموقر

نشره وحققه

ابو سعید غلام مصطفی القاسمی السندی

بحیدرآباد السند

نفیس پرنٹنگ پریس، لیٹن روڈ، حیدرآباد

بسم اللہ الرحمن الرحیم

الحمدُ لِلّٰہ الذی اصطفانا. واورثنا کُلّ کتاب انزلہ من قبلنا. الحمد للہ الذی ھدی البشر کافۃ بالقرآن الکریم الذی جعل بہ نبیہ رحمۃً للعالمین وبالفرقان الذی انزلہ علٰی عبدہٖ لیکون بہ نذیرًا للعالمین.

اللّٰھُمَّ صلّ وسلم علٰی سیّدنا محمّد و علٰی اٰل سیدنا محمّد کما صلّیت علٰی سیّدنا ابراھیم وعلٰی اٰل سَیّدنا ابراھیم اِنّک حمید مجید. اللّٰھم بارک علٰی سیّدنا محمّد وعلٰی اٰل سیدنا محمد کما بارکت علی سیدنا ابراھیم وعلٰی اٰل سیدنا ابراھیم انک حمید مجید.

اَمّا بعدُ فِاِنّ اللہ جلّ جلالُہٗ وَ جملَ جمالُہٗ، وَعَمّ کُلّ اَحدٍ نَوالُہٗ قد ھدانی لِاَن اقف کل حیاتی فی سبیل طلب القراٰن الکریم، وفی سبیل طلب علومہ. الحمدُ للہ الذی ھدانا لھذا ماکُنّا لِنَھتدِیَ لَولَآ اَنْ ھدَانا اللہُ. فطلبتُ القراٰن الکریم وطلبتُ کل علم دَوّنہ السلف فی علوم القراٰن الکریم. وطلبت من المعارف العمومیۃ کل علم یحتاج الیہ الانسان فی فھم بیان القراٰن الکریم. وکلما کنتُ اجتھد فی الطلب کان اللہ جل جلالہ یزیدنی شوقًا ورغبۃ فی القراٰن الکریم.

وحيث ان تحصيل العلم المطلوب فى نظام مدارسنا يكون بالتعلم من الاساتذة، وبالاخذ من الكتب، لا بالتفكر فى آيات الكون الكبير ولا بالتفكر فى آيات الكتاب الكريم ولا بالانتقال من معلومات يستحضرها طالب إلى مطلوب يسعى اليه الطالب. (هذا هو نظام حفظٍ واخذٍ، لا نظام كشف ونظرٍ ومجاهدةٍ). سلكت انا ايضًا مثل سائر الطلبة الى المطالعة والى الاخذ من الشيوخ ومن الكتب. فقرأت اكثر التفاسير المطبوعة اوكلها وطالعت كثيرًا من التفاسير المحفوظة فى خزائن الكتب طبع البعض منها ولم يطبع البعض. مثل كتاب البصائر لصاحب القاموس، ومثل نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور للامام البقاعى.

وماكنت اجد فى كثرة التفاسير كثرة الافادة، ولا زيادة البيان. وانما هى نقول فقط، وتكرار واختصار تعبت فيها الاقلام، ولم تتعب فيها الافكار.

ولما ذهبت سنة (١٣٥٦- ١٩٣٧) الى حرم مكة بقصد السياحة الى النجد والى اليمن، ادركت فى الحرم الامام عبيد الله بن الاسلام السندى. متع الله بحياته وبركات افاداته طلبة الاسلام واساتذة الهند. وكان الاستاذ يعرفنى من قبلُ وكُنت اعرفه. وجدته فارغًا لا يحضر عنده احد الا نادرًا. وليس للاستفادة. وانما يحضر من حضر تبركًا على حسب العادة. وكان الامام السندى وقف جل عمره فى

القرآن الكريم وفی فلسفته . وكان يعرف الفلسفة حق المعرفة.
وكان يفسر القرآن الكريم على اصول فلسفة صاحب حجة الله
البالغة الامام شاه ولی الله الدهلوی وقد اجتهد فی تحصيل
فلسفته وفی شرحها سنين عديدة ، حتى اتقنها حق الاتقان،
واثرها على كل فلسفات سائر الفلاسفة. كافةً. ثم بنى على
فلسفة الامام ولی الله تفسير كل القرآن الكريم.

وكان يعتقد فی الامام اعتقادًا لم لراحدًا يعتقده
فی امام من ائمة الامة . ومثل هذا الاعتقاد ادب عظيم
اعده حسنًا. بل ينبغی ان يكون احترام العالم امامه مثل
احترام الصحابة الكرام للنبی سيد الانبياء صلى الله عليه و
على اله وصحبه وسلم.

وكنت قرأت من قبلُ من كتب الامام ولی الله كتابه
حجة الله البالغة وكتابه ازالة الخفاء عن خلافة الخلفاء
ولم ار فی كتب علماء الاسلام نظيرًا لهما. واستفدت
من كتابيه هذين استفادةً واسعةً . ثم قرأت عند الامام
السندی من كتب الامام ولی الله (۱) الخير الكثير (۲) البدور
البازغة (۳) كتاب السطعات (۴) الطاف القدس (۵) تأويل
الاحاديث . وطالعت التفهيمات الالاهية وحدی . وقرأت
كتاب الهمعات عنده.

وبعدُ ان حصل عندی شئ من فلسفة الامام ولی الله
رغبت فی الزيادة. وعرضت رغبتی لمولانا الاستاذ الامام

السندی. ففرح وابدی رغبةً اکثر من رغبتی.

فبسملنا واخذنا فی تفسیر الکتاب الکریم علیٰ اصول فلسفة الامام ولی الله. کل یوم بعد طلوع الشمس الیٰ صلاة الظهر اوالیٰ صلاة العصر. کان یملی بلغته العربیة وکنت اکتب واجتهد ان لایفوتنی حرف ولا کلمة. فکتبت فی مدة مئة وخمسین یومًا الفین واربع مئة صفحة علیٰ مقدار صفحة هذه الکراسة.

(من ١٨ جمادی الاولی یوم الاثنین سنة ١٣٥٦ الی ١٣ من ذی قعدة ١٣٥٦ = ٢٦ من یولیو سنة ١٩٣٧ الی ١٣ من ینایر ١٩٣٨).

کان الاستاذ السندی لایسأم. وکنت ازداد نشاطًا فی الاستماع والکتابة، وان کنت لمریضًا شدید المرض.

فی ختام الدرس شکرت الامام السندی شکرًا بقلبی و لسانی. وشکرنی الامام شکرًا ازید من شکری الف مرة وزیادة، لکرمه، ولما کان یراه من ثباتی، ونشاطی وعظیم اجتهادی، ولما کان یراه من امالیه کلها کتبت وضبطت بتمام الاهتمام.

وکان الامام السندی یکثر من الجمل المعترضة. ویقول: جملة معترضة. فاکتب جملة معترضة. وتکون مثل فصول قصیرة اوطویلة. وکانت تلك من الامام استطرادًا للفوائد. وکنت استحسن هذه الطریقة. وکان یاتی فی تلك الجمل المعترضة

بحكايات ولطائف ونوادر، فيها فوائدُ مهمة. واذا بدت
مناسبة وحلت فرصة كان يبدى آراءه السياسية بلسانٍ كنت
افهم منه انها امانة. اما اذا اخذ يبين تعليم الاسلام فى السياسة
وفى الامور الاجتماعية فقد كان صريحًا قاطعًا لا يتقى ولا يدارى
ولا يدهن. موسى جارالله غفرلهٗ.

اعلى طبقات الناس المفهمون.

مقدمة: اعلم ان اعلىٰ طبقات الناس هم المفهمون[1] وهم علىٰ اصناف
كثيرة واستعدادات مختلفة. واذا اقتضت الحكمة الالٰهية
ان يبعث الى الخلق واحدا من المفهمين فيجعله سببا لخروج
الناس من الظلمات الى النور. وفرض الله علىٰ عباده ان يسلموا
وجوههم وقلوبهم له وتأكد فى الملأ الاعلىٰ الرضا عمن انقاد له
وانضم اليه، واللعن علىٰ من خالف وناواه. فاخبر الناس بذلك
والزمهم طاعته. وهو النبى.

ومن المفهمين الكامل، الحكيم، والخليفة، والمؤيدون
بروح القدس والهادى المزكى. ومنهم الامام ومنهم المنذر.[2]

---

[1] وهم ناس اهل اصطلاح ملكيتهم فى غاية العلو يمكن لهم ان ينبعثوا
الى اقامة نظام مطلوب بداعية حقانية ويترشح عليهم من الملأ الاعلى
علوم واحوال الهية. راجع حجة الله البالغة ج ١ ص ٨٤.

[2] قال الامام ولى الله فى حجة الله البالغة ج ١ ص ٨٤: والمفهمون على اصناف
كثيرة واستعدادات مختلفة فمن كان اكثر حاله ان يتلقى من الحق علوم
تهذيب النفس بالعبادات فهو الكامل ومن كان اكثر حاله تلقى الاخلاق
الفاضلة وعلوم تدبير المنزل ونحو ذلك فهو الحكيم، ومن كان اكثر حاله
تلقى السياسيات السابة ثم وفق لاقامة العدل فى الناس وذب الجور عنهم

واعظم الانبياء شأنا من له نوع آخر من البعثة ايض، وذلك ان يكون مراد الله تعالیٰ فيه ان يكون سببا لخروج الناس من الظلمات الى النور. وان يكون قومه خير امة اخرجت للناس فيكون بعثه يتناول بعثا آخر. والى الاول وقعت الاشارة فی قوله تعالیٰ:۔ هو الذی بعث فی الامیین رسولا منهم الآية. والی الثانی فی قوله تعالیٰ:۔ كنتم خير امة اخرجت للناس. و قوله صلى الله عليه وسلم "فانما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين".

ونبينا صلى الله عليه وسلم استوجب جميع فنون المفهمين و استوجب اتم البعثتين وكان من الانبياء قبله من يدرك فنا او فنين و نحو ذلك.

و اعلم ان اقتضاء الحكمة الالهيه لبعث الرسل لايكون الا لانحصار الخير النسبى المعتبر فی التدبير فی البعث ولايعلم حقيقة ذلك الاعلام الغيوب الا انا نعلم قطعا ان هنالك اسبابا

يسمى خليفة، ومن المفت به الملأ الاعلیٰ فعلمته وخاطبته وتراءت له و ظهرت انواع من كراماته يسمى بالمؤيد بروح القدس، ومن جعل منهم فی لسانه وقلبه نور فنفع الناس بصحبته و موعظته وانتقل منه الى الحواريين من اصحابه سكينة و نور فبلغوا بواسطته مبالغ الكمال وكان حثيثا على هدايتهم يسمى هاديا مزكيا، ومن كان اكثر علمه معرفة قواعد الملة و مصالحها و كان حثيثا على اقامة المندرس منها يسمى اماما، ومن نفث فی قلبه ان يخبرهم بالداهية المقدرة عليهم فی الدنيا او تفطن بلعن الحق قوما فاخبرهم بذلك الخ يسمى منذرا اهـ ۱۲ -

ابو سعيد السندی.

لا يتخلف عنها البعث البتة. و ذلك اما بان يكون الوقت وقت ابتداء ظهور دولة وكبت الدول بها فيبعث الله تعالىٰ من يقيم دين اصحاب تلك الدولة كبعث سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم[1]

لما انفرز كل قوم بملة وانتحلوا سننا وطرائق ونافحوا دونها بألسنتهم وقاتلوا عليها بأسنتهم و وقع فيهم الجور و اهملوا كثيرًا مما ينبغى لعنت كل امة اختها وانكرت عليها وقاتلتها واختفى الحق مست الحاجة الى امام راشد يعامل مع الملل معاملة الخليفة الراشدة مع الملوك الجائرة.[2]

وهذا الامام الذى يجمع الامم على امة واحدة يحتاج الى اصول: منها ان يدعوا قوما الى السنة الراشدة فيزكيهم و يصلح شأنهم ثم يتخذهم بمنزلة جوارحه فيجاهد اهل الارض و يفرقهم فى الآفاق وهو قوله تعالىٰ:- كنتم خير امة اخرجت للناس. و ذلك لان هذا الامام نفسه لايتأتى منه مجاهدة امم غير محصورة والاكثر انه لايكون انقياد الآخرين الا بعد عدد ومدد لايطول عمر النبى اليها كما وقع فى الشرائع الموجودة الآن فان اليهود و النصارىٰ والمسلمين ما امن من اوائلهم الا جمع ثم اصبحوا ظاهرين بعد ذلك.

---

[1] راجع حجة الله البالغة. ج ۱ صفحہ ۸۴ طبع مصر ۱۲۔

[2] وللك عبرة فيما ذكره ناقل كتاب الكليلة والدمنة من الهندية الى الفارسية من اختلاط الملل وانه اراد ان يحقق الصواب فلم يقدر الا على شئ يسير وفيما ذكره اهل التاريخ من حال الجاهلية واضطراب اديانهم. راجع حجة الله البالغة صفحہ ۱۱۸ ج ۱ طبع مصر. ابو سعيد غلام مصطفىٰ السندى.

والاقاليم الصالحة لتولد الامزجة المعتدلة كانت مجموعة تحت ملكين كبيرين يومئذ (عند البعث) احدهما كسرى وكان متسلطا على العراق واليمن وخراسان وما وليهما وكانت ملوك ما وراء النهر والهند تحت حكمه يجبى اليه الخراج منهم كل سنة.

والثانى قيصر. وكان متسلطا على الشام والروم وما وليهما وكانت ملوك مصر والمغرب وافريقية تحت حكمه يجبى اليه منهم الخراج. وكان كسر دولة هذين الملكين والتسلط على ملكهما بمنزلة الغلبة على جميع الارض. وكانت عاداتهم فى الترفه سارية فى جميع البلدان التى هى تحت حكمهما. وتغيير تلك العادات وصدهم عنها مفضيا فى الجملة الى تنبيه جميع البلدان على ذلك.

اما سائر النواحى البعيدة عن اعتدال المزاج فليس بها كثير اعتداد فى المصلحة الكلية. وبالجملة لما اراد الله تعالى اقامة الملة العوجاء، وان يخرج للناس امة تأمرهم بالمعروف وتنهاهم عن المنكر وتغير رسومهم الفاسدة. وكان ذلك موقوفا على زوال دولة هذين متيسرا بالتعرض لحالهما فان حالهما يسرى فى جميع الاقاليم الصالحة. فقضى الله بزوال دولتهما واخبر النبى صلى الله عليه وسلم بان هلك كسرى فلا كسرى بعده. وهلك قيصر فلا قيصر بعده، ونزل الحق الدامغ لباطل جميع الارض فى دمغ باطل العرب بالنبى واصحابه، ودمغ باطل هذين الملكين بالعرب ودمغ سائر البلاد بملأهما ولله الحجة البالغة.

---

[1] راجع باب الحاجة الى دين ينسخ الاديان من حجة الله البالغة صفحہ ١١ ج ١ طبع المنيرية بمصر.

الاولون من المهاجرين والانصار كانوا سبب دخول قريش ومن حولهم فى الاسلام، ثم فتح الله على ايدى هؤلاء العراق والشام، ثم فتح الله على ايدى هؤلاء الفرس والروم، ثم فتح الله على ايدى هؤلاء الهند. والترك والسودان فكان هذا بمنزلة البناء يقوم الجدار على الاساس ويقوم السقف على الجدار.[١]

فوائد متفرقة

كانت دعوة النبى صلى الله عليه وسلم هى احياء ملة ابراهيم عليه السلام على طريقة اسماعيل عليه السلام وكان سبق له قبل ذلك نظير فى احياء ملة ابراهيم على طريقة اسرائيل بواسطة موسى عليه السلام. وكان النبى صلى الله عليه وسلم يتبع فى خصوص شريعة موسىٰ ولذلك جاء ذكر ذلك فى اوائل السور القرآنية "انا ارسلنا اليكم رسولا شاهدا عليكم كما ارسلنا الى فرعون رسولا" وكان النبى يتحدى العالم بأن يأتوا بتعليم مثل تعليم التوراة والقرآن وانه ان كان شئ اهدى منهما فانه يتبعه. وكان هذا تحدى للعالم اجمع. واما تحديه للعرب خاصة فكان بالقرآن فقط.

رأيت الامم الموجودة اليوم من اليهود والنصارى من الحنفاء يتبعون تعاليم التوراة. وعند الصابئة الذين هم مجوس ايران طائفة منهم عندهم كتاب زرادست. وعند الهنود وهم طائفتان مثل اليهود والنصارى، البراهمة منهم عندهم كتاب (ويدك) يتبعونه وهم كاليهود (والسمنية) اتباع بوذا كالنصارى عندهم حكمة بوذا واتباعه.

[١] راجع باب الجهاد من حجة الله البالغة صفحة ... ج ... طبع مصر. ابوسعيد السندى.

ولكن ليس عند هٰؤلاء الجميع مجوس ايران وبراهمة الهند و السمنية كتاب مثل كتاب التوراة وهم يعترفون بذٰلك .

من الصابئة جماعة يعتمدون على النظريات العقلية كان مركزهم اليونان والروم. وكان هٰؤلاء اذا جمعوا قوما واحتاجوا الىٰ قانون اعلى من قانون البلديات كانوا يأخذون من اهل الكتاب ما يناسب امزجتهم .

ثم اذا كانت امة عامة استعانوا بملك جابر (دكتورية) او رجعوا الى دين من الاديان ولم يكن (قبل) الدنيا كتاب يضبط الشرائع المأخوذة عن الانبياء مثل التوراة .

ثم ان دين ابراهيم عليه السلام لم يكن مختصا ببقعة او بقوم بل كان عاما لجميع الانسانية على وجه الارض . ولم ينشأ بعد ابراهيمؑ رجل اتى بنظرية عمومية لجميع الناس مثل ابراهيم . وهٰذا معنىٰ قوله تعالىٰ : اِنّي جاعلك لِلنّاس اماما .

كانت روح ملة ابراهيم عليه السلام ابطال ملوكية الناس فى الاجتماعيات . وكذا الوهية مخلوق من المخلوقات وهٰذا هو التوحيد . هو فكر يترجم كل رجل سليم الفطرة . الانسان لا يقرر ان يكون خادما لانسان مثله . ويحب كل رجل ان يكون مرجعه الى التشاور ويكون له دخل فى الشورىٰ وليس كل هذا الا كانه فطرة الانسان .

طائفة راقية العقل اثبتت ان ماوراء الجسمانيات الٰها يستلزم هذه الكائنات بواسطة صفاته اللازمة . فاذا فكر الانسان فى

الالوهية يلزمه ان يعتقد مثل هذه العقيدة و ينكر الوهية كل شئ محسوس يدركه بحواسه وبذلك يكون الانسان حرًا من عبودية الدجاجلة وهذا هو عين الفطرة الانسانية.

ولكن دعوة ابراهيمؑ هذه ما وصلت الى جميع الانسانية فى زمانه و لذلك اراد ان ينشئ قوة ادارية لتعميم دعوته وفكرته فى الانسانية عموما من ذريته. فطلب من الله ان يعطيه ولدًا فوهب له اسماعيل واسحاق فبنى لهما مسجدين القدس لاسحاقؑ ومكة لاسماعيلؑ.

وكل رجل نشأ فى ذرية ابراهيمؑ وكان من اولى العزم حب ان يكون اماما فى نشر هذا الدين الى جميع الانسانية. ومنهم موسىٰ عليه السلام ولكنه ما استطاع ذلك لان قومه الذين جعلهم مثل جوارحه لبث فكرته فى الناس ما اطاعوه كما ينبغى. وقد كان موسىؑ يريد ان يذهب بقومه من مصر الى القدس، وينشئ هناك فى وطنه الاصلى ادارة لتكميل مطلوبه ولكنه لم يصل الى القدس بل قضى امره فى الطريق. ولم يأت فى بنى اسرائيل مثل موسى بعده له همة عالية مثل همة موسىؑ.

وجاء بعده عيسىؑ واراد ان يكون قائمًا مقام موسىؑ لتعميم هذه الدعوة ولكن اليهود لم يقبلوه. ثم اسس بعد ذلك جمعية تبليغية فقط لتبث هذه الفكرة فى جميع الامم. وبعد هذا تنصرت السلطنة الرومية الشرقية، واستطاعوا ان يفعلوا اشياء لم تستطع اليهود فعلها، ولا كانت لهم القدرة عليها.

وخلاصة القول ان اليهود اسسوا حركة يهودية قومية فى بنى اسرائيل ولا يتجاوزون عن دين ابراهيمؑ وعصت و بغت على كل من يريد نشر هذه الملة فى غير بنى اسرائيل.

ولما يئس عيسى منهم انفرد بجماعة لنشر هذه الفكرة الحنيفية فى العالم واخذ العهود من الحواريين على ذلك فانتظمت ملتان احديهما مختصة ببنى اسرائيل وثانيهما فى غير بنى اسرائيل.

وابراهيم عليه السلام كان جازما بان الله يوفي بوعده فيخرج من اولاده من يقيم هذا الدين في جميع انحاء الارض. وكان يتفرس هذا في اولاد اسمعيل ولذلك اسكن في واد غير ذي زرع. لان كل امة تحترف بالزراعة تنضم الى الوطنية. واذا انضمت الى العقيدة الوطنية اشتدت وجمدت عليها فان الوطنية تجعل الناس منفردين وتغلب عليهم النسلية — واذا كان بعض اولاد اباۓهم في وطن غير وطنهم فلا تكون مصلحة اخوانهم غالبة على مصلحة وطنهم.

وهكذا اذا كانت ملة مؤسسة على اعتقادات حقة، وحازت حصة منها على بقعة ذات ثروة طائلة لا يهمهم مصالح من هم فى غير وطنهم اذا كانت تلك المصالح تعارض مصلحة وطنهم ولو كانوا من اهل ملتهم. فلما اسكن ابراهيمؑ اسماعيلؑ فى البادية كانه اراد بذلك ان لا ينشأ فيهم العصبية الوطنية بل يتكون فيهم حب مصلحة ملتهم. فكان يتفرس ان هذا الرجل لا يخرج الا من اولاد ابراهيمؑ فى مكة ويكون هو الفائز وان كان كثير منهم يسعون الى نيل هذا المقصد ولكنهم لا يفوزون لانهم اذا غرقوا فى نوع من التمدن لا يقبلون فوقية متمدنين مثلهم عليهم.

وھٰذا ھو السبب الذی کان لاجلہ لم یصل موسیٰ الیٰ مقصدہ والا کان ھو من کاملی الھمۃ۔

وعیسیٰ علیہ السلام لما یئس من التفاف الیھود حولہ و من القیام ببث الدعوۃ وتعمیمھا تنبہ ان ابراھیمؑ کان یتفرس فی اولاد اسماعیل وتکون فراستہ صادقۃ فبشر برجل یأتی بعدہ یتمم ما ارادھو اکمالہ واوصی بذٰلک الحواریین لکن الحواریین ایضاً کانوا من الیھود ولذٰلک لم یمکنہ ان یصرح لھم بتصریح کان ینبغی لہ ان یصرح بہ بل ابھم لھم الامر۔ فقال:۔ انی اٰتی الیکم، ثم یفسرہٗ ذٰلک بقولہ انی ارسل الیکم الفارقلیط و ھو منی۔ لانہ لا یقول الا عن اللہ وکل ما قال عن اللہ قال فیہ ھو منی۔ وقال ھو یأتی فیعلمکم اشیاء انا لا استطیع الآن علی ذٰلک۔ ھو یقیم ملکوت اللہ علی الارض۔ ولا شک ان ھٰذا کان بشارۃ فی حق نبینا صلی اللہ علیہ وسلم ولکن الیھود لا یقدرون علی استماع ذٰلک ولا علی تحملہ ولذٰلک مسخوھا بالتأویل البعید الفاسد وان کانوا لا یقدرون علی تغییر کلمات اللہ۔ کل من طالع التوراۃ والاناجیل لا بد ان یدرک الحق ولا بد ان یترک ما کتبہ ھؤلاء الطغاۃ۔

مقصد نبینا ھو اقامۃ حکومۃ قویۃ

نبیّنا محمد صلی اللہ علیہ وسلم ھو الذی کان یرجوہ ابراھیم و اسماعیل علیھما السلام وکان بشر بہ عیسیٰ فیکون مقصد نبینا متعینا وھو اقامۃ حکومۃ قویۃ یتحد الامم فیھا علی الحنیفیۃ ولا تکون فی الدنیا حکومۃ اخری تستطیع ان تعارضھا۔

وقد فاز النبی فی مقصده ذلك. فانك اذا جمعت اعمال الخلفاء الثلاثة ابی بكرؓ وعمرؓ وعثمان رضی الله عنهم مع اعماله تجد انهم قد اكملوا ما كان يريده النبی صلّی الله عليه وسلّم.[1]

وقد كان القرآن بشر نبينا بفوزه بمثال وهو محمّد رّسول الله والذين معه اشداء علی الكفار رحماء بينهم. الآية

وتری فی اعمال نبينا روح ملة ابراهيمؑ وقد عمل نبينا اعمالاً لم يعمل مثلها بشر قط. والقرآن لا ينسب جميع ذلك الی محمّدٌ وحده بل ينسب اليه والی الذين معه فلا يمكن ان يتخذه انسان الٰها او ملكا.

فاذا تلوت القرآن علی هذه النظرية فيكون مرمی افكارنا تثبيت هٰذه الواقعة ويكون اقرب الی مقاصد القرآن. وسبقنا الی ذلك امام من ائمة الدين نريد به الامام ولی الله الدهلوی فلذلك اقتبسنا من كتابه فی الابتداء عبارات تشير الی ذلك. والآن ليست تلك النظريات نظرياتنا بل هی نظريات الامام ولی الله. ونحن بحمد الله قادرون علی ان نطبق التوراة والانجيل ثم القرآن العظيم كل هٰذه الكتب علی ذلك، ونضيف الی ذلك ان الحكماء الذين اعتمدوا علی نظريتهم العقلية ما جاءوا بالبرنامج الاجتماعی للانسانية مثل القرآن وهٰذا معنی تحدی القرآن: فأتوا بسورة من مثله. قل لئن اجتمعت الانس والجن علی ان يأتوا بمثل هٰذا القرآن لا يأتون بمثله الاية. ونضيف الی ذلك اضافة اخری ايضًا ان الاديان الصابئية عند الفرس

معنی تحدی القرآن

[1] المراد منه اقامة حكومة قوية والله اعلم. ابو سعيد السندی.

والهنود والصين كلهم يحومون حول هذا المقصد، ووجد فيهم رجال مفردون بالفوز الى اقصى مدارج الكمال لكنهم ما قدروا على انشاء دعوة اجتماعية تجمع عامة الناس مثل دين ابراهيم. ولنا بحمد الله معرفة بكتب الهنود وايران واليونان والصين فوجدنا هم لا يتقدمون على الحنفاء كثير تقدم[1].

افكار ذوى الافكار تؤيد البعض البعض والفكر الحق قد يكون لفرد. اما الاجتماعيات فلا تتكون من فرد اصلا ولا تكون الا اذا تضام البعض واجتمعوا.

ونحن بحمد الله عارفون بتاريخ الهند فى القرنين السابقين وقد عرفنا انه ليس فى المسلمين حركة اجتماعية تريد التقدم الا من الامام ولى الله الدهلوى واتباعه.

والطبقة العالية من المتمدنين من المسلمين فى الهند تشتمل على حنفية كالديوبنديين وعلى احرار كاهل الحديث. وهذه الطائفة معترفة اليوم بامامة الامام ولى الله الدهلوى. خرجت مقالة فى مجلة (الجامعة) من دهلى يفصل فيها هذه المسألة الشيخ اسلم المدرس فى الجامعة فتمكن من معرفة امامة الامام ولى الله جميع طوائف المسلمين وغيرهم فى الهند بعمل بسيط جدا.

نحن بحمد الله توجهنا الى هذه المسألة منذ سنين وذلك بتجريد

---

[1] وفى الاصل هكذا ولنا بحمد الله معرفة بكتب الهنود والايران واليونان والصين لا يتقدمون عليهم كثير تقدم" فهذبه الشيخ محمد نور المكى وكتب" فوجدناهم لا يتقدمون على الاسلام كثير تقدم" وانا وضعت" على الحنفاء" بدل" على الاسلام" والله اعلم ١٢.

ابو سعيد السندى.

النظر الى فلسفة الامام ولى الله فان ذلك يؤثر فى الهنود كما يؤثر فى المسلمين لان اساس فلسفة الشيخ يوافق فلسفة الهنود[1].

كان النبى صلى الله عليه وسلم هاديا ومزكيا لقومه قريش. فاول توجهه لم يكن الا الى تكميل قريش لانه كان حصل لهم فى الجاهلية رأسة دينية على جميع قبائل العرب بقدر تعظيمهم لهذا البيت.

كانت العرب على العموم تعظم ابراهيم واولاده ويعرفون مزايا بنى اسرائيل فى علمهم وحكمهم لكنهم ما كانوا داخلين فى قومهم. وطائفة من اولاد اسماعيل سكنوا بلاد العرب وصاروا منهم فكانت القبائل العربية اذ كانوا يعظمون ابراهيم ويعظمون مجده يميلون الى اولاد اسماعيل اعنى قريشا مثل ميولهم الى قومهم ويعترفون بان الله اختارهم للدين. وكانت قريش اهل تجارة اى الطبقة المتوسطة من الانسانية يفهمون الملوك واحوالهم ويعاملون معهم المعاملات التى ترضيهم عنهم وكانت لهم اليد الطولى فى تأليف عامة الناس لتنفق بضاعتهم. وكانوا مجتمعين حول هذا البيت الحرام قبل مبعث النبى بنحو مئة سنة.

واما قبل ذلك فكانوا منتشرين فى قبائل العرب وكانوا مكرمين عندهم مثل ما يكرم اولاد المشائخ الكبار اذا كان فيهم شئ من الصلاح والمكارم فان قام احد من هؤلاء بامر يحتاج اليه الناس جميعا تكون اطاعتهم اسهل على الناس بالنسبة الى

---

[1] المراد منه فكر وحدة الوجود والله اعلم ١٢. ابو سعيد السندي.

من ليس كذلك منهم. وكان مثل ذلك حاصلا لقبائل قريش التى كانت متفرقة فى قبائل العرب، فصارت الزعامة لقبائل قريش على العرب بوجه من الوجوه وان لم تكن زعامة كاملة عليهم.

وكانت بجنبهم فى شمال بلاد العرب طوائف من اليهود وسكنوا ايضا فى الحجاز، وكانت لهم فى اقتصاديات الحجاز سطوة ظاهرة فكانوا بالطبع يميلون الىٰ قريش لانهم تجار، وهم كانوا ينتسبون الى ابراهيم فتجد اليهود فى اقترابهم فى ولاء قريش اقترابا نسبيا ايضا.

هذه نبذة من احوال قريش قبل مبعث النبى صلّى الله عليه وسلم. ولما تعين النبى لاقامة الملة الحنيفية حسب الموعد فكأن له على هذا الامر شهادة من قلبه وشهادة من قومه

هذا قبل ان يبعث، ثم نزل اليه الوحى فتم ما كان عزمه وصمم من ابتداء عمره فهو ما كان يعرف النبوة وما كان يرجوها ولكنه كان يريد اعلاء كلمة قريش على جميع اهل الارض باحياء تعاليم جده ابراهيم عليه السلام وبتعمير مسجده فقط وجعله قبلة لجميع الدنيا.

هذا كله كان مقتضى فطرته وطبيعته قبل ان يوحى اليه.

ولما تفضل الله عليه بالوحى سهل عليه تكميل ما كان اراده من قبل.

وكان بريا مع الرسول صلى الله عليه وسلم ان يقدم اصلاح

قومه يرجع الى تكميل قريش وما ولاه من القبائل العربية فى الحجاز اول شئ واهمه. فاذا فرغ منه وحصل له قوة فى قومه يرجع الى تكميل برنامج من يتصل بهم من الامم الادنى فالادنى حتى ينتهى الى اقطار الارض.

فصل

يجعل الامام ولى الله الدهلوى لطريقة النبى صلى الله عليه وسلم التى يدعو اليها وتزكيته لهم اصولا و مرجعها الى تحصيل خصال اربعة.

الاولى الطهارة. الانسان بفطرته يجعل بعض الاشياء نجسا لبدنه ويتجنب عنها بكل وسعه وهى مثل البول و الغائط وغيرهما. فاذا كان هذا الامر مستقذرا فى نفس الانسان لا يمكنه ان يتلطخ به ولو لحظة. فاذا حصلت له هذه الخصلة فان تكميلها بعد ذلك يسهل عليه.

فاذا حصل فى نفس انسان كلام او فكر او عادة من العوائد مؤثرة فى قلبه مثل تاثير قطرة من البول اذا وقعت على بدنه او قطعة من الغائط ويجعله نجسا و يستقذر ذلك الشئ غاية الاستقذار و يصمم العزم على ازالته بالكلية مهما كلفه ذلك تتكون فيه خصلة فان هذه الخصلة هى ربع الدين.

الخصلة الثانية الاخبات. وحقيقته ان الانسان كلما عظم رجلا من آبائه او احدا من المرشدين والمعلمين او رجلا من الملوك والأمراء الصالحين يجد فى قلبه فى حضورهم خضوعا لهم

ويحب من صميم قلبه انهم اذا امروه بأمر اطاعهم ويحب أن يأمروه بشئ حتى يمتثل امرهم ويعمل ما امروا به و يشعر بلذة عجيبة فى قلبه بقربه اليهم. وليس كل هذا الا فطرة انسانية فانه يجدها فى نفسه وان لم يعلمه احد.

فاذا كان رجل مؤمنا بهداية من قلبه او باشارة احد من الصالحين وجدت فى قلبه مثل ذلك الخضوع وحب التقرب الى الله الى درجة لا يشترك معه فيها غيره ويجعل طاعة الانبياء و المرشدين والملوك كلها متفرعة من ذلك الخضوع.

فاذا امره ابوه بأمر هو يعرف انه يحبه الله فانه يطيعه ويجعله اطاعة لربه لأن ذلك وسيلة فى تقربه الى ربه. فاذا استقرت تلك الخصلة فى قلبه وصارت ملكة له قلنا حصل له الاخبات لله وحصل له الربع الثانى من الدين.

الخصلة الثالثة السماحة. الانسان يحب بطبعه اشياء كثيرة فيحب مثلا ان يأكل طيبا و يلبس طيبا و يحب كذلك ان يكون له مسكن جميل ويود ان يكون عزيزا محترما فى الاجتماع ثم يحب ان يكون مقربا عند الله. كل هذه تصوير لحاجات الانسان.

اذا كانت طبيعة انسان انه اذا اكل طعاما لذيذا جدا لا ينساه بعد الاكل ايضا و تكون هذه اللذة مانعة له عن اشتغاله بشئ آخر و تكميل حاجة اخرى مثلا.

ورجل آخر على خلاف ذلك فانه عند ما يأكل طعاما لذيذا يستلذ بالاكل ولكنه اذا فرغ من الاكل ينسا

ولا يكون ذلك الطعام مانعا له عن الاشتغال بشئ اخر او عن تكميل حاجة اخرى فان هذا الرجل يكون مستحقا لتكميل اخلاقه بخلاف ذلك الرجل.

و نذكر لذلك مثالا وهوان الرجل القوى يتزوج بزوجة جميلة جدا و يحبها غاية المحبة ويجد عند الوقاع لذة عجيبة زيادة عما يجدها الرجال الاخرون عند مباشرتهم لزوجاتهم ومع ذلك فانه اذا فرغ من ذلك واشتغل بفكر او نظرية وحل مسألة لايجد تلك اللذة ولا يتذكرها وكذلك اذا ذهب الى مسجده وعبد ربه فأنه لا تأتى تلك اللذة وتشغله عن ذكر ربه وعبادته.

فهذ الخلق وهوانه اذا تلبس انسان بحاجاته النفسانية يتلبس تلبسا تاما وافرا ثم اذا فرغ منه وتركه ينسى حاجاته تلك كلها ولا يفكر فيها ولا تشغله عن غيرها وتكون طبيعته كالماء الذى ادخلنا فيه اصبعنا فوجدنا فيه مساغا واسعا واذا رفعنا الاصبع منه رجع الماء كما كان من قبل حالا كانه لم يدخل فيه شئ اصلا هذ الخلق نسميه بالسماحة وهوالربع الثالث من الدين على اصول الامام ولى الله.

الخصلة الرابعة العدالة. العدالة امر بين وواضح ف اجتماعية الناس لايجهلها احد ممن له اعتنا بالاجتماعية. فاذا كان الانسان اجتماعيا بالطبع يعلمون ان الاجتماع لايستقر الا بالعدل. فاذا العدالة تساوق الانسانية وتلازمها. و كل

رجل او كل بيت او كل قبيلة او كل امة ليس لها حظ بالقدر الصالح من العدالة فانه ليست من الانسانية فی شئ

الامام ولی الله بعد هذه الخصلة مرجع الخصائل الثلاث الاول. فاذا كان عند انسان طهارة واخبات وسماحة وليس له فی العدالة نصيب مثلا فلا يعتبر شئ منها وليس لحظ من الدين ولو مثقال ذرة. وان كان هذا الفرض كالمحال اعنی انه غير صحيح ان يكون رجل طاهرا او مخبتا وسمحًا وليس بعادل. فانه اذا كان انسان صاحب الخصائل الثلاث يكون بالطبع كاملا فی العدالة.

هذه الخصائل الاربعة يجعلها الامام ولی الله مرجع المأمورات كلها ويجعل اضدادها كلها مرجع المنهيات الشرعية. وكتاب حجة الله البالغة شرح واف لهذا المقصود.

ولم يبق الآن الا واحد يسميه الشيخ تعظيم شعائر الله.

فالخصائل الاربعة مع تعظيم شعائر الله وترك اضدادها يجعلها الشيخ خلاصة الدين الالهی الذی اتی به النبی صلی الله عليه وسلم.

وقد كان سهلا علينا ان نملی فی ذلك اقتباسات من حجة الله البالغة ولكنا احببنا ان نمزجها بشرح من عندنا لتكون اقرب الی افهام اهل العصر.

فصل

تعظيم شعائر الله نشرحه بكلام مختصر فنقول:

الحكماء الالهيون ادركوا باجماعهم ان هذا العالم مؤثره وموجبه و مبدعه وخالقه الله لا يصل اليه افهام الناس الا بطريقة مخصوصة ولهم فى ذلك اصطلاحات وطرائق.

جماعة من الاجتماعيين منهم اتفقوا على اثبات التجليات لله سبحانه فالانسان كما ينظر بنظارته نحو شئ بعيد عنه ولا يلتفت فى تلك الحالة نحو النظارة اصلاً و يشعر انه انما يرى ذلك الشئ بعينه كذلك اذا اردنا ان نرى شأنا من شئون الله نجعل بعض مخلوقات الله كالنظارة لرؤية ذلك الشأن ونسمى ذلك بالتجلى. والبحث فى هذا مستوفى فى العبقات للامام اسماعيل الشهيد وجدّه الامام ولى الله. والعبقات اقرب مقدمة لكتب الامام ولى الله.

الانبياء عليهم الصلوٰة والسّلام اعتمدوا فى معرفة الرب الى اثبات التجليات. فالتجلى الذى يكون مستويا على العرش العظيم يسمونه بالرحمٰن. وهو آخر شئ يصل اليه الانسان فى ارتقائه واعتلائه فاذا تحقق عند انسان ان هذا الامر مثلا تجلى الٰهى يجب عليه ان يعظمه و يحترمه غاية ما يمكنه من التعظيم. وهذا التعظيم لا يرجع الا الى الله رأسا لان الواسطة مثل النظارة لا التفات اليها. فاذا التفت اليها نسميها شعيرة من شعائر الله وعند عدم الالتفات نسميها تجليا.

فتعظيم شعائر الله التي ثبتت لدى الانسان انها شعائر الله

له اى فى معرفة الرب. ثم لهذا التجلى الاعظم المستوى على العرش تجليات متنازلة فى السماوات والارض.

اعظم جزء للایمان باللّٰه. وهو یقرب الانسان الی اللّٰه بلا واسطة وفی قلب الانسان قوة جبل علیها تلتذ بادراکه الالٰه بلا واسطة[1].

اما هذه الخصائل الاربعة فتجعل الانسان کاملا مثل الملٰئکة المقربین عند اللّٰه. ویختصر الامام ولی اللّٰه تلک الحقائق ویعبر عنها بکلمتین الاولی التطلع الی الجبروت الثانیة التشبه بالملکوت وهما غایة کمال الانسان عند الامام ولی اللّٰه. وکل ذلک واجب علی الانسان باقتضاء لطائفه الخفیة والقوی المقدسة الموجودة فی جبلة الانسان حسب فطرته. فلا یکون تعلیم الدین الا مثاله مثال شاب وجد اسباب زواجه بامرأة علی وجه یحبه الاجتماع ویکرمه فلو لم تکن فی هذا الشاب قوة رجولیة جبلیة لما احتاج الی زواج ونکاح. فلو ترک هذا الشاب وشأنه فی تکمیل شهوته وقضائها علی حسب علمه بفطرته لربما عمل اشیاء مستبشعة سفهة فی اجتماع الناس وما قدر بعد ذلک علی اصلاح حاله وکبح جماح نفسه.

واذا عوّده ابوه علی عوائد ومقتضیات الاجتماع حسب تجاربهم فی تحصیل طرق مستحسنة واعانوا بذلک ولدهم الشاب فذلک لیس الا تکمیل الفطرة الانسانیة.

فاستفادة الشاب من مشورة الوالدین فی امر النکاح واستفادة ذلک بنصائح الانبیاء لیس امرهما فی نظر الحکیم الا واحدا. هذا البحث کان تمهیدا لفهم طریقة النبی صلی اللّٰه علیه وسلم فی

[1] له ولا یکون لانسان فوق ذلک مرمی ومقصد.

هداية قومه وتزكيته لهم ليجعلهم ذريعة فى بث الهداية الى أمم الارض. فنحن بعد ذلك نجعل بعض الأيات لتكميل هداية قريش فقط والبعض الأخر لهداية الامم.

فصل

قد كنا تكلمنا قبل هذا فى العدالة ولكنا كنا اختصرنا شرحها واجملنا القول فيها ولذلك نريد ان نزيد لهذه الخصلة شرحًا وتوضيحا قليلا.

تقدم قبل هذا الانسان ماهو؟ فطائفة من الحكماء تعرفه بانه حيوان ناطق. معناه متفكر يقدر على تنظيم افكاره و تقسيمها الى فنون وعلى التعبير عنها بكلام فصيح يوجده من عند نفسه.

وطائفة اخرى تعرفه بانه حيوان يستعمل الآلات.

المعنى الاول قد شرحنا مقتضاه فى الفصول السابقة و نفصل فى هذا الفصل التعريف الثانى.

الانسان محتاج كسائر الحيوانات فى غذائه الى اشياء اوجدها القدرة الالهية بدون دخل فى ذلك من هذا الانسان. فالانسان يأكل الفواكه العذبة ويشرب الماء القراح وليس فى ذلك اى دخل لقوته وعلمه وهو فى ذلك كسائر الحيوانات. ثم يرى اشياء يحب ان يمد يديه اليها بيده ولكنها لا تصل اليها ولا قواه الطبيعية فيتخذ بعض تلك الاشياء المخلوقة من الله ذريعة لنيل الاشياء المطلوبة. هذا معنى استعمال الآلات. مثلا يجد

الانسان ملهو

على غصن شجرة ثمرات لا ينالها بيده ولا تصل اليها ولا يمكنه ان يتسلق على تلك الشجرة فيأخذ حجرا من الارض ويرمي بها الى الشجرة لتسقط الثمرة التي يحتاج اليها فاذا لم يجد حجرًا يقطع غصنا منها ويستعين به في اسقاط تلك الثمرة ليتغذى بها. هذا هو استعمال الآلات. فيكون للانسان في كل يوم على حسب حاجاته اختراعات جديدة الآلات وغير ممكن ان يصل الى ذلك الا بد دام تفكره في حصول آلة جديدة واختراعها فيهتدي الى ذلك ولو بعد مدة طويلة وبعد مكابدات متاعب كثيرة. وكل من استطاع ان يخترع آلات جديدة واقتنائها كان غنيا ومن لم يستطع ذلك كان فقيرا معدما.

الحيوانات القوية كالفيل والأسد وغيرهما قد تصل الى مطلوبها بقوتها الطبيعية والانسان لما كان ضعيفًا بالنسبة اليها الهمه الله ايجاد آلات يستعين بها على حصول مطلوبه بادنى عناية واقل قوة اكثر مما تحصل عليه الحيوانات القوية كالفيل و الأسد وغيرهما بقوتها الطبيعية. فتحصيل الاشياء الطبيعية بادنى عناية واقل قوة وبعد صرف اقصر مدة باستعمال آلات يسميه الامام ولى الله بالارتفاق.

والقوة الحيوانية الانسانية المتأثرة بنظريات الملكية نسميها بالعقل. الحواس التي في الحيوانات هي بعينها في الانسان واذا جاء اليها نور من الملكية وتميزت به عن الحواس الحيوانية صارت عقلا للانسان وهو امام القوى الحيوانية. وبهذه القوى

ينشط الانسان لاختراعات الالات التى توفر عليه الاوقات والازمان والقوة فى حصول المطلوب لولاها لما تحصل عليه بمثل ذلك.

فالانسان المسكين بالطبع يكون تابعا للرجل الغنى فيستعمله هذا ويصرف قوته لاستعمال الاته ويجعله شريكا فى منافعه فان كان قويا ينقلب ملكا وان كانت قوته مساوية لقوة المسكين يكون رجلا مدنيا يأخذ بمشورة الناس ويوأمهم.

هذا كان تمثيلا للارتفاقات وكتاب حجة الله البالغة خص بابا منه فى تفسير الارتفاقات وتبيينها وجعلها منقسما الى فصول. الارتفاق الأول لا يخلو منه انسان ايما كان. الارتفاق الثانى فى آداب المعاش الثالث فى تدبير المنزل. الرابع فى المعاملات. الخامس فى السياسة المدنية. السادس فى سياسة المدن. وهذه السياسة تكون مختلفة ويسميها الامام بالخلافة ولا يقتصر الانسان على ذلك حتى يضم معها خلافة كبرى لا تقدر جماعة من الناس على مخالفتها ويكون هذا تكميل استعمال الالات.

فصل

الامام ولى الله يجعل ما تقدم من اقتضاء الفطرة الانسانية إلا انها لا تلزمه من خارج قال:- لو ان انسانا نشأ ببادية نائية عن البلدان ولم يتعلم من احد كان له لاجرم حاجات من الجوع والعطش والغلمة ولاشتاق لامحاله الى امرأة ولابد عند

صحة مزاجهما ان يتولد بينهما اولاد و ينضم اهل البيوت و ينشأ فيهم معاملات فينتظم الارتفاق الاول عن آخره. ثم ثم اذا كثروا لابدان يكون فيهم اهل اخلاق فاضلة و تقع فيهم وقائع توجب سائر الارتفاقات اهـ[1] فانشاء الملوكية فى قوم تحت نظام العدالة وانشاء الخلافة فى الامم والشعوب هو مقتضى النوع الانسانى.

فالانسان جامع بين التطلع الى الجبروت والتشبه بالملكوت وتكميل الارتفاقات. فالنبى كما يعلم الناس التوجه الى الله و تعظيم شعائرالله و يعلمهم الاخلاق الفاضلة التي لاترجع منافعها الى انفسهم خاصة بل ترجع الى النوع الانسانى عامة وهم لاينتفعون بتلك الفوائد الا كمثل انتفاع فرد من افراد الجماعة. فهذه اخلاق الملائكة. كذلك يعلمهم الارتفاقات وكيف ينتفعون بما خلق الله لهم فى الدنيا والآخرة بصرف قوة وجيزة و يجدون فوائد كثيرة. فتتعجب الملائكة من اعمال بنى آدم.

فاحد هذه الامور الثلاث لايغفل عنه شريعة من الشرائع للانبياء.

فصل فى فائدة اخرى

الاشياء المرتبة بعضها فوق بعض اذا اثر فى بعضها شئ يظهر ذلك الاثر فى بقيتها حسب استعدادها. مثال ذلك اذا رتبنا زجاجات واشعلنا شمعة واحدة مقابل تلك الزجاجات فان شعلة تلك الشمعة تظهر فى جميع الزجاجات حسب الوانها وان اختلفت صورة

[1] راجع باب اتفاق الناس على اصول الارتفاقات من حجة الله البالغة. ج ۱.

الشعلة ولكن الحكيم يحكم بان الشعلة هى هى — ننتقل من هذا المثال
الى البدن الانساني. ادنى هذا الانسان هو هذا البدن الذي يدفن
فى التراب بعد موته او يحرق. الجزء الثاني للانسان هو الروح الطبيعي
التي كانت سارية في هذا البدن وحاملة لجميع قواه. وشكل هذه الروح شكل
البدن ولكنها هواء تجمد بقوة نورانية فكانت تمثالا للبدن هو هو. وكان فى
الدنيا مصداق الانسان هو هذا البدن — واما بعد موته فيكون
مصداق الانسان هي الروح الطبيعية ويقال لها النسمة ايضاً وهذه
الروح مشتركة بين جميع الحيوانات — الجزء الثالث للانسان النفس
الناطقة وهي شئ روحاني نوراني وعكس من عكوس امام الصورة الانسانية
الموجودة تحت العرش فى الطبقة العالية من المثال — فقرطاسه من عالم
المثال وصورته عكس من عكوس امام النوع الانساني وهذا العكس متحد
مع النسمة. وامتياز النسمة الانسانية من الحيوانية انما هو بالصورة
الانسانية بتاثير هذه النفس الناطقة — وفي جهنم والجنة اتحاد
هذين الجزئين (النسمة والنفس الناطقة) لا بد منه واذا ترقت
الانسانية الى مكان ارفع من الجنة وليس للنسمة الوصول اليه فلا يكون
مصداق الانسان هناك الا النفس الناطقة — الجزء الرابع للانسان
الروح الملكوتي او الروح الالهي وهي شئ واحد قرطاسها من
الملائكة وينطبع فيه صورة الحق من التجلى الاعظم وهذه النفس
تكون متحدة مع النفس الناطقة مثل اتحاد النسمة مع النفس الناطقة
فاذا ارتقى الانسان الى ادنى درجات الجنة العالية تكون موافقة
النفس الناطقة للروح الالهى واجبة. ثم اذا جاء موطن اعلى من

ذلك الموطن لم يكن للنفس الناطقة الوصول اليه فلا يكون مصداق الانسان فى ذلك الموطن الا الروح الالهى او الروح الملكوتى.

فصل

البدن الانسانى والنسمة او الروح الطبيعية والنفس الناطقة والروح الملكوتى هذه الاجزاء الاربعة متوتبة ترتبا متناسقا فكل شئ يكون فى الروح الالهى التى هى الروح الملكوتى ايضا يظهر فى النفس الناطقة موافقا لمزاجها ويظهر فى النسمة موافقا لطبيعتها ويظهر فى البدن مناسبا لاستعداده.

فالصورة وان تبدلت ولكن الامر الحقيقى يكون واحداً فى نظر الحكيم. فالانوار الالهية تشرق على الروح الملكوتى و تنزل الى درجاتها الثلاث. ثم بعد عملها فى الجسم ترجع و تصعد حسب نزولها الى الروح الالهى. هذه فطرة انسانية فطرت عليها.

فاحسن الارتفاقات ما كان بحيث يصعد وجه الى الروح الالهى وافسدها ما كان لا يستفيد منها الا البدن الانسانى ولا تقبلها النسمة ايضا. وما قبلته النسمة ولم تقبله النفس الناطقة يكون احسن من الاول وما قبلته النفس الناطقة ولم تقبله النفس الملكوتى احسن ممّا قبلته النسمة. وما قبلته الروح الملكوتى يدوم بدوامها و تكون اللذة والسرور به أتم وأوفر لا اتم ولا اوفر منه.

فاذا كان الانسان فى ارتقائه الطبيعى مهذبا بالاخلاق الاربعة وكانت النفس الناطقة معظمة لشعائر الله كانت الانسانية كاملة.

فقولنا ان النبی صلی اللہ علیہ وسلم کان هادیا و مزکیا لقومه معناه انه یهدیهم الی الارتفاق الصالح ویجعلهم متخلقین بالاخلاق الاربعة وناظرین الی الله بواسطة شعائر الله.

فاذا اتم النبی هدایته وتزکیته لقومه امرهم بان یجمعوا الشعوب والامم علی ذلك التعلیم والتهذیب ویسهل لهم السیر علی طریقته وهدایة کل قوم بما یتیسر لهم فیکون عند ذلك مقیما للخلافة. واتم الخلافة هی التی وضع اساسها النبی وکان البناء علیها علی ایدی اصحابه کابی بکر و عمرؓ. فجعلوا الارض المقدسة التی وعدها الله لابراهیم بنور الحنیفیة. وجعلوا المساجد الثلاث مسجدین لابراهیم ومسجده مراکز لهذا التعلیم واخضعوا الامبراطوریتین الکبیرتین امبراطوریة کسری وقیصر للتدین بهذا الدین اما بقبول هدایة فیکون فردا من افراد الاجتماعیات الاسلامیة واما بقبول حکمه باداء الجزیة وتعظیم شعائره. فکان هذا امتثالا مقدسا للانسانیة. وبارك الله فی عزمه فحکم قومه مدة خمس مائة سنة فی تلك الخلافة. وحکمت بقیة الامم الاسلامیة فی تلك الخلافة بقیة الخمس مئة. فکان ذلك دلیلا واضحا علی ان النبی صلی الله علیه وسلم لم یرد حکومة قومه وان لم یکونوا قائمین بالدین.

فشرائع دین النبی صلّی الله علیه وسلم کما کانت معمولة بها فی ایام خلافة قومه کانت معمولة بها فی خلافة الشعوب الاخری ایضا.

فقد جاء فی سورة الجمعة :- هو الذی بعث فی الامیین رسولا منهم الآیة فقوله تعالیٰ وآخرین منهم لما یلحقوا بهم هم الامم الداخلة فی الاسلام من الفرس والروم والهند والترك فقد کانوا اقاموا امبراطوریات عظیمة لاقامة دین الله فی اطراف الارض. وکان اذا تبدل نظام الانسانیة بارتقائهم فی الارتفاقات کانت تتبدل صورة الحکومة حسب اجتماعیاتهم.

وبعد الالف الاول لما تغیر الناس عن الذین کانوا فی الالف الاول لم یستطع زعماء المسلمین جمیعا علی تبدیل منهجهم و حفظ رقیهم وعظمتهم حتی انحطوا الی ماتری.

و نحن بحمد الله وتوفیقه لما تفقهنا فی الدین علی اصول الامام ولی الله الدهلوی ایقنا ان الخطأ کان منا والله ورسوله بریئان منه. ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفرلنا وترحمنا لنکونن من الخاسرین. آمین.

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الفاتحة ★ أُمّ الكتاب

الحمدُ للهِ ربِّ العالمِين.

تحقيق معنى العالمين

العالمين:- الاقوام والامم الانسانية. انى فضلتكم على العالمين اى على اقوام عصركم. ويأتى العالم بمعنى غيرذلك ايضا فيطلق على كل ما سوى الله و يطلق على جنس من المخلوقات.

عامة اهل العلم يحبون ان يأخذوا المعنى العمومي الكائنات كلها لان حمد ربنا بالكمالات التى ظهرت فى المخلوقات كلها يكون اكمل. و نحن نوجح ان يكون المراد منه الاقوام فقط لان هذه السورة خلاصة القرآن العظيم وهو اوحي الى خاتم النبيين. وليس موضوع النبوة الا الاجتماعية الانسانية ولذلك اذا جاء فى القرآن ذكرما يتعلق بالانسانية مثل السماوات والارضين والجن والملئكة والجنة والنار وغيرها فانما ياتي ذكر ذلك بالتبع. والمقصد ليس الا تكميل الاجتماعية الانسانية. وهذا هو مقصد جميع النبوات على وجه العموم.

واما مقصد نبوة نبينا خاتم النبيين فانه تكميل الحراكمها العمومية لجميع الامم تحت نظام الفطرة الانسانية.

فاذا كان موضوع القرآن الاجتماعية الانسانية بالنظر الى جامعة الاقوام فالسورة التي هي جامعة لمقاصد القرآن اجمالا اذا ذكر فيها لفظ العالمين فيكون معناه الامم والاقوام.

نزلت سورة اقرأ في ابتداء القرآن وكان الغرض منها افتتاح الدرجة الاولى من البعثة النبوية التي مرجعها ومقصدها اصلاح قريش ومن حولهم فذكر في ابتدائها «اقرأ باسم ربك» لان القوم لا يعرفه الانسان الا بانشعاب علاقاته الطبيعية اليه وسلسلة آبائه وسلسلة أمّهاته. ولو تتبع الرجل الى آخر ما يحفظه من النسب لوجد اكثر افراد الامة من عائلته.

ولما كان مدار معرفة الانسان بالقوم هو نفسه افتتح الله تلك السورة بقوله «اقرأ باسم ربك».

والدرجة الثانية من البعثة النبوية هي جمع الامم كلها تحت ملة ابراهيم ولذلك افتتح الله سورة الفاتحة بقوله الحمد لله رب العالمين.

فالسورة التي تشير الى الدرجة الثانية من النبوة التي هي المقصد من البعثة النبوية في مقدمة المصحف اشارة الى انها هي العلية والمقصد من النبوة وجعلت سورة اقرأ في آخر المصحف اشارة الى ان الدرجة الاولى من النبوة انما هي وسيلة ومرقاة الى الثانية لا غير.

على هذا ينبغي ان يكون عنوان الاسلام الحركة العالمية الانسانية لا الحركة العربية وان كانت هي من مبادي الحركة العالمية.

مبدأ الحركة العالمية من ابراهيم

عامة المؤرخين يجعلون الحركة العالمية من الاسكندر المقدوني او من رجال مثله تقدموا عليه قليلا. ولكن التحقيق الصحيح عندنا ان مبدأها من ابراهيم خليل الله فقد جعله الله للناس اماما و

اولاده انما كانوا يسعون في توسيع هذه الامامة بادخال الامم في دينه . وهذه لاشك انها حركة عالمية.

ثم ان بعض الناس يفرقون بين الحركة الدينية والحركة السياسية ويجعلون الحركة الدينية حركة خيالية. واما الحركة السياسية فيجعلونها مبنية على الحقائق والواقعات فهم اذا سمعوا ان الحركة العالمية مبدأها ومؤسسها ابراهيم لا يلتفتون اليه لان هذه حركة دينية عندهم.

وهذا التفريق الحادث في ذهنية العصر ليس بصحيح ولا هو مبني على اساس ثابت فقد جعلت اغلاط الطرفين الدينيين والسياسيين معًا الامر غامضًا ومشكلًا.

الانسانية من اولها الى أخرها شيئ واحد لا يمكن تقسيمها فالحركة الاجتماعية الانسانية ان سميت دينية اوسياسية فانها لا تتنوع بذلك الى نوعين اذا كان مطمح النظر فى الحركتين حقيقة الانسانية.

اما اذا رجع الدينيون الى تخيلات واعمال غير محققة فى الانسانية اورجع السياسيون الى حصول الامور المعاشية للانسانية فقط واعرضوا عن الارتقاء الذهني فيكون هذا الاختلاف واصطلاحًا راجعا الى تنازع الفرقتين وتناضلهما فقط.

ونحن لا نلتفت الى هؤلاء الذين لا يتوجهون الى الانسانية من جميع نواحيها وانما غرضهم البحث فى بعض نواحى الانسانية فقط.

فالدين الصحيح الذي امامه ابراهيم عليه السلام يبحث عن الفطرة الانسانية باكملها فهو حركة عالمية دينية وسياسية معًا.

بعض الملوك يجدون فى تحصيل الملك لهم فقط و بعض المعلمين يقتصرون على اصلاح العقلية فقط. فاعمال مثل هؤلاء انما هي مبادى لتكميل الانسانية لا تعارض بينهما ولنوضحه بمثال،

رجل علمي يرى علمه نافعاً للانسانية فيعلم من قدر عليه ويجمعهم جماعة ليستعينوه باجتماعهم فان اراد هو ان لا يفسد عمله رجل لا يعرف طريقته بالقوة افلا يجب عليه ان يهيئ قوة للدفاع؟ فالملك لازما للعلم.

هذا معنى قولنا ان الانسانية لا تنقسم.

فان اشتغلت جماعة بخدمة حصة من منافع الانسانية و لا يستنكفون ان يكونوا اجزاءا من الجامعة الانسانية فهؤلاء لا ينكر من فعلهم شيء.

فائمة الأديان هم ائمة الجامعة الانسانية والذين يتعرضون لنبذ من المنافع ان كانوا لا يتحاشون عن جماعة الانسانية فهم في ادنى رتبة واقلها من رتب ائمة الجامعة.

حاصل كلامنا هو ان ائمة الاديان حقيقة هم ائمة الاجتماعية الانسانية واما السياسيون والفلسفيون اذا قرروا من انفسهم انهم يكونوا تحتهم اجزاء من جامعتهم فيكونون فى الدرجة الثانية منهم.

عندنا اذا كان رجل يعرف معنى الدين ويعرف الاجتماعية الانسانية ويعرف خدام الانسانية من اهل السياسية والفلسفة لا يجعل ائمة الاجتماعية الانسانية الا ائمة الاديان.

فلما كان القرآن الحكيم يريد ان يكمل الحركة العا

للاقوام التي ابتدأت من ابراهيم ويتممها كان افتتاح اول سورة من القرآن بذكر صفة (رب العالمين) لله اولى[1].

الحمد لله رب العالمين.

معنى ذلك ان النظام العالمي القائم بين الامم الذي اقامه الله رب العالمين قابل للحمد لانه لا يوجد فيه نقص ما.

فهذا النظام الذي اوجده الله في الامم وجعله فطرة للانسان تخيل نظام احسن منه خبط وسفه. فليجمع هذا المتخيل كل قوته في فهمه واقامته على الفطرة وعدم مناقضته لها. وهذا لازم على من تخيل نظاما احسن من هذا النظام وواجب عليه ايضا ان يجتهد في اقامة هذا النظام الذي تخيله واحبه فيصير هذا نظاما فطريا ولكن هذه الجملة وهي (الحمد لله رب العالمين) تمنعنا عن التقدم الى ذلك لانه غير ممكن.

وقد قال بعض الحكماء ليس في الامكان ابدع مما كان فكان هذا القول من كمال حكمته ودليلا على فهمه للفطرة التي فطر الناس عليها. ولكنا رأينا ناسا لم يقدروا على فهم كلام ذلك الحكيم لانهم انما حصلوا انشاء التخيل ولا يعرفون شيئا من الحكمة ويقدرون على ان يصوروا للناس عالما احسن من هذا العالم.

فلو كان لدى هؤلاء قدرة الايجاد وشرعوا في تمكين ما تخيلوه لظهر عجزهم وبطلان ما تخيلوه في اول خطوة.

---

[1] الانسان يعرف ربه بلا هداية اذا شرع في الحركة الاجتماعية فليعرفه برب العالمين، رب كل انسان هو رب العالمين رب واحد وانما يختلف ذكر الصفات حسب مناسبة الحلوم

ويعجب الانسان اي عجب اذا كان هؤلاء يعدون من اكابر علماء الاسلام. والمراد من ذلك الحكيم: الامام حجة الاسلام الغزالي والمعارض له هو القاضي عياض ومن تبعه.

ونريد الآن ان نوضح مبنى الاختلاف فنقول:-

ذكر الحكماء ان الكائنات العالية ليس لها ابتداء ولا لها انتهاء[1] كما ليس لصفات الله الموجبة للكائنات ابتداء ولا انتهاء والا لزم تعطل الصفات عن التاثير. وهذه الكائنات منقسمة الى ادوار مختلفة وكل دورة سابقة علة للدورة اللاحقة فيتسلسل الادوار تحت اقتضاء الحكمة.

ثم ان الانسان لا يمكنه الاحاطة بالتفصيل بدورة واحدة فقط ولا يخطر بباله شئ من الدور السابق ولا الدور اللاحق لكن اذا نظر الى ازلية صفات الله وابديتها اعتقد بصميم قلبه اعتقادا جازما ان تعطل الصفات غير ممكن وان كان لا يستحضر هذا العلم اذا سئل هل يمكن شيء احسن من هذا؟ فيلتفت فكره بدون شعور الى الصفات الالاهية الكاملة فيقول نعم احسن منه ممكن لان الله على كل شيء قدير ويكون مراده ممكن فى الادوار الاخرى وان كان لا يستحضر ذلك ولا يشعر به. والذي يقول ليس فى الامكان

[1] اقول ليس المراد منه عدم الابتداء الخ بحسب وجودها الخارجي كيف وهذا شان القديم بل بحسب حقائقها الامكانية في موطن العلم. فالحقائق الامكانية التي عبرها الامام الرباني بالاعيان الثابتة والامام ولي الله بالاسماء الكونية لها وجود حادث وثبوت قبله. قال العارف الجيلي فى الانسان الكامل سعة سواء القدم ولك القدم باعتبار انك موجود في علمه" فافهم وتدبر فان هذا المقام من مزال الاقدام. ابو سعيد السندي.

ابدع مما كان بالنظر الى هذه الدورة فقط.

غرضنا من هذا البسط هو ايضاح ان الله فطر الاشياء على فطرة مخصوصة لا يمكن شيئ ان يكون احسن منه فى تلك الاشياء.

ونحن نقول هذه الفطرة الانسانية التي هي مشتركة بين جميع افراد الامم وتنتظم الاجتماعية الانسانية عليها لا نجد نقصا في شي منها ولذلك نحمد ربنا.

فاذا رسخت هذه المعرفة فى قلب انسان يريد التدين بدين الاسلام يصير حكيما ويستطيع ان يفهم الدين على وجهه واذا لم ترسخ هذه المعرفة في قلبه فيكون رجلا فوضويا ويتخبط ولا يهتدي الى الصراط السوي ابدا.

فصل

ام الكتاب مشتملة على سبع آيات هي عندنا تلخيص كل مقاصد القرآن فاذا وجدنا مبحثا فى القرآن خارجا عن هذه القائمة والفهرست نعلم ان منزل القرآن لم يرد ذلك.

فبيان حكمة نظام الكائنات التي تفضي الى الانسان بتسلسل الطبقات ثم بيان الاجتماعية الانسانية من فطرتها وحقيقة الانسانية وبيان ان من اراد ان يتجاوز عن تلك الفطرة فان الفطرة ترده ويخسر ويخيب في مقصده واعماله فانها كلها من تفسير هذه الآية الكريمة.

وغير خفي ان معرفة الفطرة الانسانية بهذا التعمق والتدقيق لا يقدر عليها الا رجل جبل على الحكمة.

فناخذ الاشارة من ذلك ان القرآن العظيم يريد ان يجمع الطائفة التي معرفة حكمة الفطرة اهم الاشياء عندهم.

فاذا اجتمعت هذه الطائفة يجعلها القرآن في القوة المركزية لادارة امور الانسانية ونموذجا للانسانية في ارتقائها... تم الفصل.

الرحمٰن الرّحيم

الانسان بفطرته محتاج الى الأبوين والى رأفتهما ورحمتهما لان بذلك تكمل فطرته ثم يصير مستغنيا عنهما في النهاية ويصير هو احد الابوين لانسان آخر.

فالانسانية مغمورة برحمة الآباء على الاولاد من الطرفين. آباءنا كانوا يرحموننا ونحن مجبولون على الرحمة لأولادنا.

ومعنى الرحمة معروف عندنا ومعلوم مما يتعامل به الآباء والأولاد. اخبر النبي صلى الله عليه وسلم ان الله قسم رحمته في مئة جزء وجزء منها قسمه بين مخلوقاته وبذلك يتراحم الآباء والامهات او كما قال

نحن لنا طريقة خاصة في شرح هذا الحديث نجمع ما قدرنا على الاحصائيات رحمات الآباء والامهات على اولادهما فتصير ملايين الملايين ثم اذا ادخلنا رحمات الحيوانات ايضا فيها فيزداد العدد اكثر واكثر فاذا جمعنا تلك الاعداد كلها في ذهننا مثلا على الاجمال ثم ضربنا الحاصل في مئة نفهم بعد ذلك رحمة الله على عباده ويتعين عندنا في فكرنا رحمة الله بصورة محصاة.

نرى الفرق بين رحمة الآباء ورحمة الامهات واضحا وهو ان الوالد يحب ان يرتقي ولده الى اوج المجد والشرف واعلى درجات

السؤدد ولا يبالي بما يلقاه في طريقه من المشقة والمصائب ولا يتأثر بذلك.

ورحمة الامهات نوع آخر هن لا ينظرن الى اولادهن بانهم يرتقون او لا يرتقون ـ انما ينظرن الى ان لا يقع الاولاد فيما يتعبهم او فيما يجرح فؤادهن بوقوعهم فيه فقط.

فاذا عرفنا ذلك نقسم رحمة ربنا لفهمنا لها بسهولة الى قسمين قسم منها اكثر من مئة من رحمة جميع الآباء. هذا القسم نجعله مصداق كلمة الرحمن ونجد في القرآن الرحمن علم القرآن وكمالات اخر ذكرت في نفس هذه السورة لا تحصل الا بمشقة وتعب مثل. البيان. وآيات لمعرفة الحساب. وآلات ليفهم بها رجوع طبيعته الى الرب والسجود له وغيرها من الكمالات وكلها لا تحصل الا بمشقة.

وقسم منها نجعله اكثر من مئة من رحمة جميع الامهات ونجعله مصداق اسم الرحيم.

وفي سورة الشعراء تأتي مقابلة بين المؤمنين والكافرين. فالكفار يعذبون يغلبون والمؤمنون بالآخرة يرحمون. ويذكر الله هناك اسمين من اسمائه تعالى وهما. وان ربك لهو العزيز الرحيم. فالعزيز بالنسبة الى الكفار الذين خالفوا اقتضاء عزة العزيز فوقعوا في العذاب.

والرحيم بالنسبة الى ايصال المؤمنين الى جنة لا يكون فيها نصب ولا تعب فجميع الرحمة التي تذكر في الكتاب العزيز ويشعر مدا بجها اما في الانسانية او رحمة الرب لطائفة من الانسان فتلك البيانات كلها مرجعها هذه الآية الكريمة.

فاذا تنبه الانسان بان هذين الاسمين (الرحمان الرحيم) يقومان مقام الاباء والامهات لجميع الانسانية استأنس بهما وذهب عنه البأس الذي جاء اليه بسبب موت الوالدين واستطاع ان يترقى في مدارج الانسانية بسهولة.

فهذا التعليم ايضا تكميل للفطرة الانسانية وقضاء لحاجاته المهمة.

قوله **مالك يوم الدين**.

الرحمة اذا توجهت الى ذوى استعداد شتى مختلفة متباينة واعدت لتكميل فطرتهم لابد ان يقع بينهم الاختلاف بالطبع. وهذا الاختلاف في الانسانية يؤدي الى ان يظلم بعضهم بعضا ويقتل بعضهم بعضا وكان ذلك من مقتضى الاجتماعية الانسانية. اما انه لا يكون في ذلك ارتقاء الاجتماعية الانسانية فهذا شيء آخر. اذا جاء مدد لجميع اشجار الغابة فاغصان تلك الشجرة لابد ان تلتف باغصان غيرها ففي تلك الحالة ايضا الفطرة الانسانية تقتضي شيئا حكما ونحن ذلك الحكم الانصاف وحكم الله. فالله سبحانه ما ترك الانسانية اذا وقع بينهم نزاع وخلاف وقتال من غير ان يحكم بينهم بالعدل حتى يفنوا عن آخرهم وبذلك تتسلسل الانسانية وتترقى.

فالانسان كما كان محتاجا الى رحمة الرب وكانت رحمته تفسير الربوبية الرب كذلك الانسان محتاج الى انصاف الحق ويكون هذا الانصاف شرحا لملوكية الرب.

فالرحمان الرحيم معناهما رب الناس وملك يوم الدين معناه ملك الناس.

فالاجتماعية الانسانية لا تستغني من ملك عليهم لتظهر ملوكية الله على الناس جميعا فانهم بطبيعتهم يسألون ربهم ان يحكم فيهم بالحق وذلك الظلم والتقاتل هما مظهران عامان للاجتماع الانساني فكل من يراهم من بعيد يجدهم يتقاتلون ويتظالمون ولذلك قالت الملائكة لربهم أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء، واذا دخل في داخل الانسانية ونظر كل فعل مستند الى اسباب مسلسل يجزم بان الحكمة توجب ان تصدر تلك الافعال من الانسانية وانها ليست فوضي وبعد هذا يجد سر الاختلاف والتقاتل. كل رجل من ظالم ومظلوم بطبيعته يقتضي ان يحكم عليهما حاكم بالعدل فيظهر كون الرب ملك الناس.

وبهذا النوع لا تظهر ملوكية الرب في شيء من المخلوقات سوى الانسانية لان قدرة الله وقهره نافذان في جميع المخلوقات والمصنوعات بدون ارادة منها وهذا الحكم ينفذ في الانسانية باقتضاء من ارادتها فشتان ما بينهما.

نعرف من حكمة الامام ولي الله انه يقع جزا كل فعل حال انتهاء الفعل من الانسان وهذه المجازاة هي معنى الدين.

فالانسان في جميع أعماله محتاج الى مالك يوم الدين.

اذا اشتغل انسان بفعل من الافعال فيكون ذلك اليوم يوما للعمل ثم اذا انتهى من فعله ذلك يشرع يوم الجزاء. هذا في كل فعل يمكن تنفيذ جزائه على الفور. واذا كان فعل عظيم للاجتماعية الكبيرة فلا ينتهي الا بعد مئات من السنين ووقوع الجزاء التام لا يمكن الا

بعد انقضاء الفعل في قوانين الحكمة ايصال الجزاء على كل عمل صغير وكبير على الفور او على التراخي مقرر تحت قانون تقتضيه الفطرة الانسانية.

فالاجتماعية العامة لجميع الاقوام الانسانية اذا اشتركت في اعمال فجزاء تلك الاعمال كلها لا يقع الا بعد انقضاء الانسانية كلها عن وجه الأرض. واليوم الذي يقع فيه هذا الجزاء هو اعظم يوم الدين فاذا اطلق (يوم الدين) فلا يراد منه الا ذلك اليوم.

ولذلك الاعمال التي يشترك فيها الانسانية فى الاجتماعية الجامعة لا يرجي وقوع جزاءها فى الدنيا.

لكن في بعض المواضع يوكل الناس الى وقوع الجزاء على العاملين وهم يغلطون فى العمل، ويتعمدون الخطأ والظلم فمرافعة تلك القضاء لا يمكن فى الدنيا فمثل هذه الامور ايضاً تقضى في يوم الدين ينظر في اقضية الملوك والقضاة فان كان فيها شيء من الظلم وهضم الحقوق يقضي بنقض الحكم الاول ويفصل بين الناس بالحق.

فالانسان لا يخلو عن الاحتياج دائماً الى ملك في استطاعته ان يجازيه ويأخذ حقه المهضوم من الظالم. هذا كله داخل في كلمة مالك يوم الدين فاذا الانسان اعتمد على هذه المعرفة يصير فارغ البال عن ضياع حقوقه ويصل اليه باجتهاده جزاء عمله حقاً بعد ذلك تخرج القوة القاهرة من الانسانية لتنظيمها.

اذا كان الناس غير مؤمنين على وقوع جزاء اعمالهم فانهم يتبعون قانونا ما فى الاعمال يكون سببا للرقي عن الحيوانية فى الاجتماع فالفساد

الذي يكون في تنظيم الانسانية ليس مبدؤه الا عدم ثبوت هذه المعرفة في عقل الانسانية.

فكل ما يأتي في القرآن من مجازات الرب لاقوام اولرجال في الدنيا والآخرة فامرها كلها راجع الى هذه الآية الكريمة.

اياك نعبُد واياك نستعينُ

اذا تعينت نسبة الانسانية الى خالقها بانه رب لجميع الامم و ربوبيته راجعة اليهم مثل ربوبية الابوين الى الاولاد و فصل خصوماتهم والنظر في قضاياهم وايفاء حقوقهم وغيرها راجعة اليهم بفضل الملك الديان. وفي تلك الحالة لا تحتاج الانسانية الى حاكم او الى ملك غير الله الذي هو ربهم ولا يطمئنون بحكومة احد او ملكه عليهم فالانسانية اذا تقيدت بالله ورب الناس وبملك الناس وما تعدت عنه ولا تجاوزت عنه الى غيره لا تصيبها حسرة. هذا معنى قوله اياك نعبُد واياك نستعين نحن احرار بالنسبة الى كل احد سوى ربنا فنعبده بحب خالص في قلوبنا وبمعرفة تامة من عقولنا و واخضاع جوارحنا بطوع منا لذلك لا يرجو غيره ذلك منا.

معنى العبودية معين لكن يقع في الالفاظ اشتباه بسبب استعمال المجاز ولذلك يجب ان نعين ما نريد ونقصد من كلمة العبودية.

نحن لا نستعين باحد على شيء غير ربنا فان كان احد من المخلوقين يؤمل منا ان نتقيد باحكامه بمقابل انه اعاننا بشيء او اوصل الينا ما نحتاج اليه من لوازم حياتنا فليتنبه وليكن على علم اننا لا نقر بانه اعاننا بشيء حتى يجب علينا ان نتقيد باحكامه واوامره ولنا الخيار

بعد هذا ان شاء منع عنا كل ما كان يعيننا به .

حياتنا لا تسير الا بمعونة من ربنا ولذلك فاننا لا نحتاج الى غيره فان كان اوصل الينا شيئا من نعم الله التي اوتيها فنحن نشكره ونثني عليه بانه اطاع امر الله .ولكن الخضوع له وامره المخالفة لامر الله لا يكون.

فلو انا جعلنا واسطا من الوسائط مستحقا لشئ من العبادات و عبدناه فان جميع الوسائط يطلب منا ذلك فنقع في اسفل السافلين .

فاساس عملنا هو ترك الاعتماد على غير الله في قضاء حوائجنا و بذلك نستطيع ان ننكر عباداتهم ونستريح ونكون احرارًا.

اما اذا جعلنا افكارنا مقيدة باحتياجنا الى غير ربنا فانه يؤدي الى ان نكون عبيدًا لكل معطي وتسلب حريتنا.

فكلمة اياك نستعين فى الحقيقة شرح لكلمة اياك نعبد.

اذا ادرك رجل ان خالقه هو القادر المعطي ومع ذلك يوكل قضاء حوائجه الى غيره هذا الرجل لا يكون حرًا وموحدًا بل يكون عبدًا مشركا في التعليم القراني حسب ما فهمناه بطريقة الامام ولي الله ان كلمة المشرك وما جاء فى الرد على المشرك وما نصب له من العقوبات فى الدنيا والاخرة وكلمة الموحد الذي معناه على اصطلاحنا الحاضر هو الحر وما له من الفضائل والفوائد فى الدنيا والاخرة كلها راجعة الى هذه الاية الكريمة.

وبذلك كان نصف السورة تم وكان البحث فيه عن الانسان في اجتماعياته لكن لكل على حدة- وبعد هذا ياتي البحث عن الانسان على

حيثية الاجتماع.

اهدنا الصراط المستقيم

هذا دعاء. ومعنى الدعاء عندنا هو اظهار ما تقرر في قلوبنا من اننا نويد ان نحمل هذا الأمر حتى يحصل الأمر المطلوب المقرر عندنا بقرارمنا ونحن نجتهد في حصوله بكل قوتنا. لكن ربما تأتي موانع وتقوم عراقيل في طريقنا لا نقدر على ازالتها فنطلب من الربنا الرحمن الرحيم الملك القادر على كل شيء ان يزيل تلك الموانع ويزيح تلك العراقيل عن طريقنا حتى نصل الى الامر المطلوب.

وقد عرفنا بواسطة عباد الله المخلصين ان الله سبحانه يرضى من العبد بهذا الدعاء ويستجيب ثم جربناه فوجدناه كذلك فلذلك ندعوه ونطلب منه قضاء حوائجنا.

واذا كان المحرفون لتعاليم الانبياء والمغيرون للفطرة الانسانية قررو اللدعاء معنى غير هذا وانكره اهل الفطرة السليمة فاننا نتبرأ من هؤلاء واولئك،

فالدعاء في الحكمة العملية نجعله جزءا من العلة التامة للاعمال لان رفع الموانع من اهم اجزاء العلة التامة.

فاذا اعتقد المؤمن هذا وسأل الله بكل اخلاص وباحضاره في نفسه هذا الاعتقاد وجعل ربه بانه اقرب اليه من حبل وريده اطمأن قلبه وارتاح باله.

ونحن نعتقد ان القوة الارادية للانسان فيها تسعة اعشار العلية للاعمال وبعد الدعاء والطمينان الخاطر تظهر القوة الارادية بجميع مظاهرها.

واذا خطر في قلب الانسان ان هناك موانع لنيل المطلوب فالقوة العملية الارادية تفقد النشاط فى العمل فلا تعمل القوة الارادية بكل اجزائها ولا تظهر النتيجة بالمظهر التام.

فصل

السير على الفطرة ومقتضاها هو الصراط المستقيم ونعلم ان الله في حكمته يكمل الفطرة الانسانية وليس عنده اوامر ونواهي الا لهذا الفرض.

اذا صارت طبيعتنا ناحرة عن التقيد بمخلوق من المخلوقات واعتمدنا بكل قوتنا على ربنا زيادة عن اعتماد الاولاد على ابويهم في مبدأ ولادتهم فلا نفكر الا في تكميل فطرتنا وعند ذلك لا ندعو الا ربنا باهدنا الصراط المستقيم.

فصل

في ابداننا اعضاء كثيرة ولها وظائف معينة وكل واحد منها لا يتجاوز عن حده ونرتقى من هذا الى المعانى المختلفة الموجودة في ذواتنا ثم نقسمها في اول النظر الى قسمين (١) القوي العلمية (٢) القوي العملية. ثم يأتي في قلوبنا خواطر انه نكون في اجتماعنا قابلين للمدح والحمد ونترقى فى العلم والعمل لأن هذا كله انما هو اقتضاء الفطرة الانسانية ونحب ان يكون لنا اذا اختلفت الامور علينا باقتضاء قوانا الطبيعية المختلفة قرار احسن ما يمكن فهذا القرار هو الصراط المستقيم الذي نريد ان نسير عليه بكل قوتنا وهذا اول مظاهرة من القوة العملية.

قوله صراط الذين انعمت عليهم

الانسان لا تتكامل قواه الفطرية كلها الا اذا حصل له مجتمع انساني فيه انموذج لتكميل القوى كلها. فد عاؤنا اهدنا الصراط المستقيم كان كالنظريات وبدلناها في هذه الاية بالعمليات. الصراط المستقيم ماكان امرا نظريا فقط بل كان برنامج الحياة. وهذا البرنامج لا يمكن تنفيذه الا بالانسلاك في اجتماع فالجماعة التي يكون هذا الاجتماع جزء منها يصدق عليها ان الله انعم عليهم بحيث جعل قواهم الفطرية كلها كاملة واسباب الرقي فى الحياة مهيئة لهم واجتماعهم صار على اساس محكم. وكل من انسلك في سلك هذه الجماعة يرى انه على الصراط المستقيم.

و نشعر بالاشارة من تلك الاهميين ان تعيين الصراط المستقيم والطلب للمجتمع من واجبات الانسانية. فاذا قصر انسان في هذا الواجب فاللوم لا يرجع الا عليه.

مثال ذلك الجائع والعطشان يجب عليهما ان يطلب الطعام والشراب من مظانهما فاذا لم يطلبا بقوتهما وماتا جوعًا وعطشًا لا يكون اللوم الا عليهما. وقد جاء تفسير الذين انعم الله عليهم فى القرآن العظيم بالنبيين والصديقين والشهداء والصالحين.

الانسان جامع للعلم والعمل ولا يمكن فصل احدهما عن الاخر اذا كانت الفطرة سليمة ولكن بعض القوي في بعض الرجال اكثر واغلب من بعض ولذلك يتفاضل الرجال ويكون كل واحد منهم محتاجًا الى الاخر. فالذين تغلب عليهم القوة العلمية وكانوا فى الدرجة العالية يأخذو العلم من منبع الانسانية وهم الانبياء. والذين يلونهم يتأخرون

عنهم في أخذ العلم من المنبع ومساواتهم في القوة العملية للانبياء متحققة وهم الصديقون والذين تغلب عليهم القوة العملية وكانوا في نهاية الدرجة العالية بحيث يسهل عليهم ان يقتلوا اولم ينالوا مقصودهم وهم الشهداء.

والذين يلونهم لا يصلون الى درجة بحيث يفدون بأنفسهم ولكنهم في ايام حياتهم يجتهدون غاية الاجتهاد في تكميل المقصد وهم الصالحون وهي الدرجة الثانية من العاملين.

ومقصودنا اننا لا نتنازل في القوى العلمية والعملية عن الدرجة الثانية واذا وصلنا الى الدرجة الاولى فذلك حسن وشرط الوصول الى ذلك ان لا يودى الى الانحطاط عن الدرجة الثانية في العلم والعمل.

فالذين علموا بالحق وعرفوه وعرفوا ما يقتضيه فطرتهم من الصراط المستقيم ومع ذلك ما نهضوا للعمل على مقتضي ذلك هؤلاء في الدرجة الثانية من العمل ويعبر عنهم بالمغضوب عليهم.

والذين فيهم القوة العملية قوية الا انهم ما اهتدوا الى مقتضيات الفطرة من العلم هؤلاء في الدرجة الثالثة من العلم وعبر عنهم بالضالين ونحن نرجو ان يحصل لنا اجتماع صالح يكون مشتملا على الطبقة الثانية من العلماء وعلى الطبقة الاولى والثانية من العاملين ولا ندخل في ذلك الاجتماع من كان على الدرجة الثالثة من العلم والعمل بل نخرجهم من الاجتماع اذا كانوا فيه. وبذلك تم تفسير غير المغضوب عليهم ولا الضالين

فصل

هذا الدعاء معناه ان كان على وجه الأرض مجتمع صالح يفي بحاجاتنا

كلها فاوصلنا اليه ووفقنا السير له. وان لم يكن ذلك فوفقنا لتكوين ذلك المجتمع. وذلك ليس بسهل. وبدون هذه الارادة لا يتم تعميم الصراط المستقيم. ان كان رجل يريد ان ينهج الصراط المستقيم لكن بشرط ان يجد المجتمع كذلك ويكون فيه فان لم يجد جماعة على تلك الطريقة يجعل نفسه كالمعذور لان الانسان لا يقوم بمثل ذلك العمل العظيم الا بالاجتماع فهذا الرجل الذي يرى هذا الرأي ناقص العزم والارادة.

واما الذي يكون رأيه انه لولم يجد هذا الاجتماع فانه يسعى بكل جد لتكوين مثل ذلك الاجتماع فيكون عزم هذا كاملا وليس انشاء هذا المجتمع الا مثل بناء بلدة في صحراء جرداء ولا يخفي ما ذلك من الصعوبة ولكن ذلك سهل على اصحاب الهمم العالية.

فصل

القران العظيم دعوة الى حركة اجتماعية عالمية. ففي الدعاء الذي هو عنوان برنامجه ما تعيين شيء من الاشياء من المقتضيات القوميات المخصوصة.

الناس في النظريات العقلية على طبقات متباينة فمقصد واحد يدركه طائفة بوجه وطائفة اخرى بوجه اخر. وهذا المقصد لا يكون الا لتكميل الفطرة الانسانية فالصراط المستقيم متشخص عند قوم بصورة وعند قوم اخر بصورة اخرى فالدعاء الذي الهم الله نبيه كان عاما من التشخصات وكل رجل يعتمد بفطرته على ربه هل يثقل عليه ان يسأل الله الصراط المستقيم، فاذا كان رجل يوم الناس فليدع ربه ان يهديه الى الصراط المستقيم فهل يتخلف رجل سليم الفطرة مع ذلك عن الاجتماع

الصالح ولا يضره تشخصات الصراط المستقيم فان الامام يعتمد في تعيين الصراط المستقيم على ربه وعلى هدايته فيكون تسهيل الاجتماع لجميع الامم على دعاء واحد. واذا لم يكن برنامج الاقوام شيئاً واحداً كيف يمكنهم الاجتماع

وكذلك تعيين العمليات الصراط المستقيم وتفصيله بصراط الذين انعمت عليهم ايضا فانه ما ذكر اسم رجل من العظماء فيه من قوم دون قوم لا نقول صراط محمد وابي بكر وعمر ولا نقول صراط موسى وعيسى كذلك الامم لهم رجال عظماء ومع ذلك لم يذكر اسم احد منهم.

فالرجل الذي يعتمد على ربه بفطرته هل يتخلف عن الاجتماع بالذين انعم الله عليهم؛ ويكون تعيين هؤلاء الذين انعم الله عليهم مفوضاً الى الله ونحن انما ندعوه ونقول اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم فقط.

ما رأينا في جميع كتب الانبياء دعاء فيه غاية الانصاف مثل هذا الدعاء الذي يجمع الناس على كلمة واحدة.

وكذلك لا نعين المغضوب عليهم والضالين. تم الفصل.

لطيفة

نحن نرى المغضوب عليهم في زماننا هم الذين يقولون معاني القرآن مفهومة لكن العمل عليها غير ممكن او كالمستحيل.

وكذلك نجعل الضالين من يقول ان العلم بالقرآن في هذا الزمان مستحيل[له]

[له] لطيفة قال الشيخ :- نحن نفسر المغضوب عليهم في زماننا بمن يقول معاني القرآن مفهومة لكن العمل عليه مستحيل او كالمستحيل فهؤلاء نجعلهم من المغضوب عليهم. وجاء في الحديث ان النبي فسرهم باليهود فلا يخفى انه ليس تفسيرا في الازمنة كلها بل هو مثال ونظير وجد في ذلك الوقت فاينما سر الانسان في زمانه وبلاده باي قوم يشابههم فيجعله مصداق ذلك.

(ص٥٢) وكذلك نفسر الضالين بمن يقول ان العلم بالقرآن في هذا الزمان كالمستحيل. وفي الحديث فسّروا بالنصارى فهذا ايضا مثال ونظير وجد في زمنه صلعم.

انا رجل جديد الاسلام دخلت في الاسلام وانا ابن ست عشرة سنة وحصلت العلوم الدينية في بلادنا على جماعة من العلماء كل الناس كانوا يقدرون على الاخذ عنهم. وما كنت رجلا صاحب ثروة او مشتغلا بحرفة، بل كنت اطلب العلم مثل ما يطلب عامة المسلمين، ويتكفل المسلمون بحوائجهم بقدر ادنى الضرورات. فانا اقول بحمد الله تعالى اني توجهت الى فهم القرآن العظيم بواسطة شيخنا شيخ الهند واحد من جماعة العلماء الديوبنديين. واقران شيخنا في ذلك الزمان كان يشتغل عليهم الناس ويستفيدون منهم مثل الاستفادة من شيخنا اعرف منهم اربعة اوخمسة رجال فتوجهت الى تصانيف شيخ شيخنا محمد قاسم واعرف الوفا من الطلبة يتوجهون الى تلك التصانيف ثم ارتقيت الى معارف الامام ولي الله الدهلوي وولده الامام عبد العزيز الدهلوي وحفيده مولانا اسماعيل الشهيد. هؤلاء اكثر ما يعظمهم اهل الحق من علماء الهند مثل تعظيم الناس لاكابر المجتهدين او لاكابر شيوخ الطريقة. مقصدي ان طريقتهم ليست مختفية عن الناس وانما لم ينتفعوا منهم ومن تصانيفهم لتغافلهم فقط.

انا احمد ربي حمدا كثيرا اسهل لي الاسباب حتى وفقت ان اجعل فهم القرآن العظيم على طريقة هؤلاء الائمة مقصد حياتي. وكان يخاطر ببالي ان واحدا من الناس يسمع مني ما استفدت لان امري في نفسي حقير. فالله سبحانه اشكره شكرا جميلا وجزيلا دارست في حياتي رجالا من اولي العقول الصالحة وهم اطيب واعقل مني في الامور الدنيوية والدينية عامة فهم توجهوا الى الاخذ عني القرآن العظيم فقط.

ثم دارست طائفة ممن اخذوا عني وجعلوا مقصد حياتهم التدبر في القرآن والمدارسة فيه فتخرج عليهم ايضا افواج بعد افواج. وبعد ذلك الذين يقولون "في هذا الزمان لا يمكن فهم القرآن" فانا اقول انهم من الضالين على بينة من ربهم. فالاشتغال بالقرآن مثل ما اشتغلت انا سهل على كل المسلمين فكيف يقال ان القرآن لا يفهم في هذا الزمان، ونتعجب اذا رأينا من تلك الطائفة رجالا ينتظرون المهدي — هل هم شكروا الله في ما اتاهم من القرآن فهم يستزيدون من نعمائه.

الفاتحة قراءتها هي الصلوة. واما الطهارة والتوجه الى القبلة فمن المبادي والركوع والسجود من المكملات. والاصل حضور الانسان عند ربه في فكره وفي تخيله وعرضه اليه ما يحتاج اليه — وهذا تعليم لجميع من يدخل في الاسلام بصورة هذه السورة. فالمقصد من الصلوة هو الدعاء من الله لهداية الصراط المستقيم. ونضم معها سورة اخرى كانها جواب من الله ان الهداية هي القرآن — فاقرؤا ما تيسر من القرآن تهتدوا! ثم الركوع والسجود شكرا لاستجابة هذا الدعاء. هذا معنى الصلوة عند ما قرره شيخ شيخنا مولانا محمد قاسم. ثم نزيد على ذلك من صلى تلك الصلوة في جماعة المسلمين صار مسلما. الذي يصعب على الناس تحصيله،

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ

سُوْرَةُ الْبَقَرَة

هٰذه اول سورة نزلت بالمدينة وهي بمنزلة صحائف التوراة. وقد اعاد فيها ما نزل اولاً من القرآن في مكة ونظمت على طراز كتاب و اضاف عليها ما كان مبهمًا في تلك السور من مسائل الجهاد والخلافة.

وقد اقام فيها الحجة على بني اسرائيل خاصة كما كانت اقيمت الحجة في السور المكية على قريش خاصة وذلك لان امر قريش و بني اسرائيل متوازيان.

ويجب علينا ان نعرف انه قد كان في قريش ثلاثة احزاب سياسية احدها الحنفاء وهم كانوا بطبيعتهم يميلون الى احياء طريقة ابراهيم و اسماعيل فقط و يؤملون من وراء ذلك التغلب على جميع العالم تصديقا لما يوجد عندهم من الروايات والبشارات المتوارثة بخروج نبي منهم.

وثانيها حزب يميل الى الرومان. وثالثها الى فارس. وهذان الحزبان تعتقدان ان بالانضمام الى الروم و فارس يتمكنون في الارض ويترقون ثم يتغلبون على الدنيا.

وكذلك كانت اليهود تعتقد انه يبعث منهم نبي ثم يحكمون على الامم بكتابهم الموجود فيهم. ثم ان المدينة كانت في ذلك الايام عبارة عن مجموعة عدة قبائل. الاوس والخزرج من العرب وبني قريظة وبني النضير وقينقاع من اليهود. وكانت قرى هذه القبائل كلها متقاربة سمى مجموعها بيثرب وفي الاسلام بالمدينة.

والذي اظن انهم اخذوا هذا الاسم من السورة (يس) فانتفى السنة

العاشرة من المبعث اول وفدٍ جاء من يثرب للحج وكان مقصد هذا الوفد المفاوضة مع قريش فی امر الاستعانة بهم علی من عاداهم فلقيهم النبي صلى الله عليه وسلم ودعاهم الى الاسلام واخبرهم انه ينزل عندهم للدعوة الى الاسلام والدعاية له. فاستحسن ذلك شاب من الوفد وقال لهم هذا اولى مما جئنا له فاسكته شيوخ الوفد ولكن الشاب ثابر على فكرته وصار يبث الدعوة للاسلام فی المدينة حتى جاء فی السنة الحادی عشر الى مكة وفد للدعوة الى الهجرة فبعث اليهم الرسول صلى الله عليه وسلم داعيا. وتم فی السنة الثانية عشر الاتفاق على الهجرة الى المدينة.

فابتداء انتشار الاسلام فی المدينة وقبول دعوة النبي صلى الله عليه وسلم من اهل المدينة كانا فی السنة العاشرة من المبعث.

وقد رأينا ان حرف (ي) تساوى عشرة فوجدنا هنا مناسبة وفهمنا ان حرف (ي) في (يس) اشارة الى ما قلنا. [١]

وقد جاء في سورة (يس)، (وجاء رجل من اقصى المدينة يسعى قال ياقوم اتبعوا المرسلين) وبهذه المناسبة سمى يثرب بالمدينة. كما انه قد كان بسعى ذلك الشاب انتشر الاسلام بالمدينة وجاء الوفدان الاخيران الى مكة.

قلنا انه كان بالمدينة ثلاث قبائل من اليهود وقبيلتان من العرب وكان الغالب فی اهل المدينة اجتماعية اليهود وكان الاوس و الخزرج يتبعونهم في كثير من الامور الاجتماعية ويأخذون عنهم عوائدهم مع بقائهم على الصابئة وتهود البعض منهم.

فكما كان التقدم في مكة للحنفاء كذلك كان التقدم بالمدينة لليهود فنزلت سورة البقرة خطابا لليهود و قريش معًا فان كلا الامتين ترجوان

[١] اي بحسب حساب ابي جاد ١٢ ابو سعيد السندي.

التقدم في الدنيا على من سواهم.

فلما ثبت لنا ان اهل القرآن يتقدمون دون اهل التوراة كان حقا.

الٓمٓ ① قد فسرنا هذه الكلمة حسب فهمنا و نريد اليوم ان نفسرها على طريقة الامام ولي الله فنقول: للمقطعات بانفرادها معاني ايضا في اللغة العربية ويمكن استنباطها بعد مجاهدة طويلة فمثلا ننظر في الكلمات الثلاثية اذا اجتمع فيها حرفان فان معنى واحدا يشترك في جميع الكلمات فمثلا (ج) و (ن) اذا اجتمعا في كلمة واحدة فان معناها يكون التستر (جن) (الجنين) (الجنة) و غيرها.

ثم يتوجه الى اخذ المعنى من حرف حرف من عدة كلمات مشتملة على جيم (ج) مثلا وعند اذ يمكن انفراد معنى (ن) من معنى (ج).

هذا باعتبار مادة حروف المقطعات واما باعتبار صور الحروف و خروجها من مخارجها من الحلق والشفة واللسان لها معان ايضا.

فاذا كان رجل ماهرا في لطائف اللغة العربية وعارفا برموز البلغاء في تعبيراتهم واشاراتهم يمكنه ان يتنبه لما اريد من تلك المقطعات بعد ان يحيط بمعاني السورة كلها بتمامها.

وقد اختار الامام ولي الله في حل معاني الحروف المقطعة هذه الطريقة دون غيرها. ثم انه ليست اللغة العربية وحدها مختصة بهذه اللطائف و منفردة بتلك المحاسن بل نعرف ان هذه اللطائف وتلك المحاسن في اللغة السنسكرتية ايضا و مستعملة عند اهلها ولكن لعدم معرفة المسلمين

ﻪ كان من داب الشيخ انه كان يفسر القرآن من السور الصغار و في الآخر كان يدرس سورة البقرة فنفسر هذه الحكمة في السور الاخر. ابو سعيد السندي

هذه اللغة فى القرن الاول من الاسلام لم يتنبه المسلمون باشتراك اللغة السنسكرتية في محاسن اللغة العربية ولطائفها.

وقد نشأ فى الهند رجال من المسلمين مهروا في اللغتين و برعوا فيهما اولهم مسعود سليمان اللاهوري وله قصائد باللغتين وكان في ايام السلطنة الغزنوية وكان منشأ اللغة الهندية الدارجة هم هؤلاء. وكان مسعود هذا الذي ذكرناه في اول طبقات منشئ اللغة الهندوستانية. ومن اوسطها الامير (خسرو) ومن المتأخرين السيد غلام علي البلجرامي[١] صاحب كتاب (سبحة المرجان في آثار هندستان) وعم السيد مرتضى البلجرامي الزبيدي شارح القاموس والاحياء.

وقد كان بلغ الاخير في اتقان اللغتين ومهر الى حد انه كان زاد بحورا على العربية من السنسكرتية ونظم بها قصائد عربية.

ومن معاصرينا رجل بلجرامي ايضا وهو السيد علي البلجرامي من الاساتذة المسلم لهم في اوربا بجيد الالمانية والانجليزية معا وكان من رجال جامعة عليگڑه بارع فى السنسكرتية ايضا.

والمقصود ان المعنى الذي اراد استخراجه الامام ولي الله من العربية له ثبوت فى السنسكرتية كما ان المعنى الذي اردنا استخراجه له ثبوت فى العبرية عند اليهود —— ثم ان الامام ولي الله يجعل الشخص الاكبر في حكمته مثل الشخص الاصغر ويجعل حظيرة القدس[٢] دماغه ولسانه فكما

---

[١] السيد غلام علي كان من ارشد تلامذة الشيخ المحدث محمد حيات السندي المدني قرء عليه الجامع الصحيح للبخاري وغيره من كتب الحديث فى المدينة المنورة. راجع سبحة المرجان. ابو سعيد السندي.

[٢] اعلم ان للارواح البشرية حضرة تنجذب اليها انجذاب الحديد الى المقناطيس وتلك الحضرة هي حظيرة القدس محل اجتماع النفوس المتجردة عن جلابيب الابدان بالروح الاعظم الذي وصف النبي صلى الله عليه وسلم بكثرة الوجوه والالسن واللغات وانما هو تشبح لصورة نوع الانسان في عالم المثال الخ. راجع حجة الله البالغة ج ١ ص ١٥ طبع مصر. ابو سعيد السندي.

ان الشخص الاكبر اذا تكلم بالحروف يفهم المستمع اللبيب المعاني باعتبار اصواته كذلك فليكن في كلام الله وكتابه اشارة الى حالة في حظيرة القدس وهي تشبه خروج الحروف من لسان الشخص الاصغر.

فمثلا يخرج (ا) من اقصى الحلق فيكون فيه اشارة الى علوم مستترة في بطن التجلي الاعظم القائم على العرش الذي هو قاصي بالنسبة الى حظيرة القدس.

ثم (ل) فان مخرجه من وسط المخارج فيكون فيه اشارة الى الملائكة الحاملين للعرش والحافين حوله الذين هم وسائط نزول البركات من التجلي الاعظم الى حظيرة القدس.

ثم (م) ومخرجه اواخر المخارج فيكون فيه اشارة الى تنزل تلك العلوم والبركات من حظيرة القدس الى الخارج وهذا الامر عندنا معقول ايضا وان كان فيه غموض ودقة.

وقد كنا ذكرنا ان هنا سبع ارضين وبناء على ذلك قلنا انه يكون سبع أمم مختلفة العقلية فكان نزول العلوم والمعارف من حظيرة القدس اليهم على حسب عقليتهم واستعدادهم ولابد. فاذا أخذنا تلك الأمم المختلفة من حرف (م) فانه يختلف المطلب الواحد على سبعة وجوه اختلافا في السورة فقط لا في المعنى. ولذلك ينبغي ان يفهم فائدة تكرار (الم) في فواتح عدة سور.

وعدد السور التي افتتحت بقوله (الم) ست وهي البقرة وآل عمران والعنكبوت والروم ولقمان والسجدة. وذكرت (الم) في سورتين غير هذه السور ايضا ولكن ضم اليهما حرفا اخرى مثل سورة الاعراف ذكر فيها (الم)

ولكن ضم اليهما حرف (ص)، وكذلك سورة الرعد ذكر فيها (الم) وضم اليهما (ر) راء ـــ فاذا فكر مفكر على هذه الطريقة يجد التناسق والتناسب في كل شيئ من القرآن. فانه اذا ذكر في موضع حكمة اجمالية أساسية بمقابلة (اثم) يذكر تفصيلها في مكان آخر بأسلوب آخر مثل مخاصمة الكفار و الشياطين او مخاصمة الاتباع مع المتبوعين فى المحشر وفي جهنم او كلام الملائكة او كلام الانبياء السابقين.

ثم ان المناظرة مع المخاطبين فى الصور المعينة من الاعمال والعقائد والاحوال ايضا من لطائف العلوم ومحاسنها.

وقد قلنا ان الخطاب الموجه في سورة البقرة لليهود فانهم امة من الامم المركزية فى الارض المقدسة. واذ قد فرغنا من تفسير (الم) وبيان مطلب السورة فلنبين معنى قوله تعالى:-

ذٰلِكَ الْكِتٰبُ لَا رَيْبَ فِيْهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِيْنَ ۝٢

نظريتنا في شيوع تعاليم القرآن فى المجتمع المكي انه انتج حكومة اجتماعية بها فان الذين كانوا اسلموا لم يكونوا يتحاكمون في شيئ من امورهم الا الى القرآن بواسطة الداعي اليه الموجود فيهم. فان كان لدي الداعي علم بحكم تلك الواقعة اخذه من النبي صلى الله عليه وسلم عند تعلمه القرآن حكم به والا رجع الى النبي صلى الله عليه وسلم. وكانوا لا يسلمون حكومة احد غير هذه الحكومة ولا يخضعون لها مهما كان الامر ولم يكن هذا الا بين المسلمين فقط.

واما معاملاتهم مع غير المسلمين من العوائل والقبائل فكانت على نمط عاداتهم السابقة من ولاء وعداء ولم يكن يحيزلهم القرآن

ان يتدخلوا في تلك العوائد ويغيروها بل كان يحتم على الصبر والانتظار الى ان يأتي الأمر في ذلك.

فتكونت في مكة حكومة مثل هذه التي ذكرناها بتعاليم القرآن و اوجدت جماعة صالحة تريد القيام بالعدل والاحسان فى ارض الله وتأمر بصلة الارحام بين القبائل اولا وبين الناس جميعًا ثانيا. او بعبارة اخرى ان تلك الجماعة التي تكونت بتعليم الكتاب تريد ارجاع الانسانية الى فطرتها التي فطرها الله عليها ويكونون حاجزا بين الانسانية وبين التعاليم التي لا يشهد لها الفطرة. وهذا هو المراد من التقوى وايتاء ذى القربى.

وهذه الجماعة التي اوجدها الكتاب كان افرادها من قريش ومن غيرهم من العرب ومن اليهود والنصارى والمجوس فالذي يعتقد بأصول النبوة ويؤمن بالكتب المنزلة الموجودة بيد الانسان ثم يقارن هذه الجماعة بالجماعة التي اوجدتها تعاليم الكتب السابقة يجد الفرق بين الجماعتين واضحا فاذا كانت تعاليم الكتب السابقة اوجدت جماعات ناقصة الرقي ومع ذلك كانت تلك الكتب منزلة من عند الله على انبيائه افلا يكون هذا الكتاب الذي اوجد جماعة كاملة الرقي التي لم يكن لها نظير فى الامم السابقة منزلا من الله؟ وهل يشك عاقل بانه كتاب الهي بعد ذلك؟ كلا ثم كلا.

وحاصل كلامنا ان من يؤمن بالتوراة لتأثير تعاليمه فى الانسانية لانه انما يعرف صدق الكتاب باعتبار تأثيره ونتيجة تعاليمه فى الانسانية واثر تعاليم التوراة ونتائج تعاليمها موجودة بين الانسانية. فاذا رأينا ان تعاليم القرآن اشد تاثيرًا واقوى هداية من التوراة افلا يكون القرآن عند المنصف على الأقل مثل التوراة وانه من عند الله؟

فمعنى الآية عند نا ذلك الكتاب علة لهداية المتقين الذين تخرجوا بمكة بتعاليم الكتاب وهذا دليل قوي كونه كتابا الهيا.

جُملة مُعترضة

تخبط جمهور المفسرين في تفسير اوائل القرآن ولذلك ترى طالب العلم اذا اراد قراءة القرآن والتدبر فيه فاما ان تذهب عظمة القرآن من قلبه بسبب تفاسيرهم. واما ان ينكر على المفسرين ويرميهم بالجهل. وذلك ان عامة المفسرين فرضوا ان المخاطبين هم اعراب البادية الذين لم يكونوا يفهمون شيئاً من الاجتماعية والذين يشبهون السوفسطائية الذين ينكرون كل شيئ او ان الاعراب المخاطبين لم يكونوا يفهمون شيئا من الأمور الدينية.

ومنشأ تخبط هؤلاء المفسرين انهم ما كانوا يفهمون شيئاً من تاريخ المجتمع العربي في زمن نزول القرآن. انما قرءوا كتب الفلاسفة وراؤا آراء السوفسطائية وانكارهم كل شيئ ديني فقاسوا عليهم اعراب البادية وجعلوهم المخاطبين في السور الاول من القرآن ثم تكلفوا افهام هذه السور للجهال الذين ينحطون بجهلهم الى ادنى درجات الانسانية فلا يجدون طريقاً يسلكونها في افهامهم الا طريق التأويل البعيد الذي لا ينطبق بالآيات القرآنية ثم يقولون صدق القرآن وحقانيته ثابتان وان لم يفهمه الناس كما ان الشمس مشرقة وان لم يرها الاكمه. وان الهداية لا تكون الا للجهال والمضلين. واذا قيل كيف يكون هدى للمتقين؟ يؤولون ذلك ويقولون (المتقين) الذين يريدون الهداية. وهم لا يعرفون معنى التقوى الا ما كتبه المفسرون في تفاسيرهم من عدالة الشهود وغيرها فاذا ارادوا تطبيق

التقوى على المخاطبين فلا يجدون ادنى مناسبة لذلك بهم.

واذا كان المفسر هذا حاله لا يزال في وهدة الشكوك والاوهام و مع ذلك يحاول بكل قوته النجاة منها وافهام القرآن لطلبة العلم ولكن الطالب المسكين يجد نفسه لا يزال شاكا والشبهات لا تزال قائمة في قلبه افلا يعرض عند ذلك عن التدبر في القرآن و يلتفت الى علوم وفنون يمكنه فهمها واجادتها و يعتقد ان القرآن لا يمكن فهمه للمتأخرين،

وقد كنت انا نفسي متحيرا عند ما قرأت (المتقين) الصائرين الى التقوى كما فسرها المفسرون وكنت اقول لا بد ان يكون معنى التقوى مشتهرا بين المخاطبين غاية الشهرة و معروفا لدى الخاص والعام لأن القرآن انما يهدي الى ما يعرفونه.

وقد كنت ابحث عن معنى التقوى منذ عشرين سنة وسألت اقراني واصدقائي عنه فوجدتهم لا يعرفونه وغاية ما يفسرونها انها اجتناب الكبائر وعدم الاصرار على الصغائر وبحثت في السورة عن معنى الكبيرة فلم اجد ما يبين ان هذه كبيرة وذلك صغيرة الى ان عثرت على كتاب الكبائر لابن حجر الفقيه فوجدته قد اوصل الكبائر الى مئات فقلت في نفسي اذا كان معنى التقوى اجتناب هذه الكبائر ثم عدم الاصرار على الصغائر فما اوجد القرآن متقيا قط.

ورايت اخواني الهنديين يأتون بتأويلات مثل هذه وليس عند احدهم ما يطمئن اليه القلب فانكرت مثل هذه الطريقة في تفسير القرآن ولما كنت معتمدا على مشائخنا الديوبنديين مثل مولانا محمد قاسم وغيره وكنت معتقدا انهم ليسوا بمقلدين في كل شئ بل كانوا مجتهدين وكانوا

يعتمدون على الامام ولي الله واتباعه شرعت في البحث من معنى التقوى في تفاسيرهم فوجدت معرفة بهداية من الله في تفسير الامام عبد العزيز فقال هذا مثل قولنا اين دايه شيرده اين جوان است ومعناه ان هذا الشاب صار قويا لارضاعها له فاهتديت الى المقصد. فقلت انه وجدت التقوى فيهم بتعليم الكتاب فكان الكتاب حقا بالبداهة. ثم بسطت هذه الفكرة من عندي بسطا يلائمها فانفتح لي باب أخر في فهم القرآن.

ولما عرضت هذه الفكرة على اقراني واخواني رأيتهم كانهم استبشروا بفائدة عظيمة وفرحوا بها ورأيت بعد هذا ان جماعة الامام ولي الله كانجذبين لطريقة فهم القرآن.

وبعد ما استفدنا منهم اخذنا فوائد كثيرة من كتب المتقدمين وايقنا انا اذا حذفنا اولئك الائمة من البين لم نستفد من مثل كتب الرازي والبيضاوي وامثالهما.

وبعد ما استقر في قلبي معنى قوله تعالى (هدى للمتقين) على طريقة الامام عبد العزيز استعنت في ايضاح ذلك زيادة على ذلك من كلام الامام الرازي الذي ذكره التفتازاني في شرح العقائد. وحاصل ذلك هو ان الرازي يقول ان الاستدلال على نبوة نبينا بالمعجزة انما كان في الزمن المتقدم. واما الآن فلما ثبت عن الرسول هداية امم كثيرة مختلفة وثبت دينه واستقر في قلوب الناس لا حاجة الى الاستدلال بالمعجزة والقول انها دليل ام لا.

هذا ما علق بذهني من كلام ذلك الامام. وقد انتقلت انا منه وقلت ان اثبات نبوة نبينا في المدينة ليس بموقوف على المعجزات لان

الرسول هدى بتعاليمه جماعة صالحة في مكة وهذه الجماعة هي خير امة اخرجت للناس. وهذا اعظم دليل على نبوته عليه الصلوٰة والسلام. ورايت ان التفسير على هذه الطريقة اجلى واوضح.

ولنفسر الآن قوله تعالى (ذلك الكتاب لا ريب فيه).

فنقول المراد بالكتاب في اصطلاح الحنفاء هو التوراة ولما كانت التوراة كتابًا فالقرآن احق ان يسمي كتابًا لان القرآن كون جماعة واوجدها احسن من جماعة اخرجتها تعاليم التوراة.

وصفة هذه الجماعة التي اوجدتها تعاليم القرآن انهم يؤمنون بالغيب ويعتمدون على جميع ما يحكيه الرسول عن الله ويعتقدون ان ذلك من حظيرة القدس. وانهم ليسوا مثل اليهود والذين قالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة. وانهم يقيمون الصلوٰة. بخلاف المتخرجين بتعاليم التوراة حيث قالوا عند ما قيل لهم ادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة ما قالوا وفعلوا خلاف ما امروا وانهم ينفقون مما رزقهم الله قليلا كان اوكثيرا. واما بخل اليهود فاشهر من ان يذكر.

فاذا كان القرآن يخرج جماعة مثل هذه افلا يكون هو الأولى وأحق من التوراة ان يسمى كتابًا؟ وهذا معنى قوله تعالى (لا ريب فيه)

وكل ما ذكرت هو نتيجة بذر الامام عبد العزيز رحمه الله تعالى قوله تعالى الَّذِيْنَ يُؤْمِنُوْنَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيْمُوْنَ الصَّلٰوةَ وَمِمَّا رَزَقْنٰهُمْ يُنْفِقُوْنَ ﴿٣﴾ وفي الاعراف واذ اخذ ربك من بني ادم من ظهورهم ذريتهم واشهدهم على انفسهم ألست بربكم قالوا بلى. الى قوله تعالى. وكذلك نفصل الآيٰت ولعلهم يرجعون.

نقول ثبت لدينا ان الله سبحانه خلق في قلب كل انسان ما يعرف به ربه ونحن نعبر عن ذلك (بالحجر البحت) وهو عبارة عن نموذج للتجلي الاعظم ومدار التكاليف على هذا الحجر النوراني فاذا اشتغل الانسان بموافقة الحيوانية والعقلية وغفل عن مقتضي هذه اللطيفة وجاء رجل لتعلق بحظيرة القدس والتجلي الاعظم فصاحبه لهذا الغافل ولازمه انتبه وتيقظ الحجر البحت الكائن فيه فاهتدل.

واذا كنتم اتفقتم معنا في حكمة الامام ولي الله فلا بأس ان نقول ان الكتاب كلام صادر من حجر بحت النبي صلى الله عليه وسلم على عاقلته اولا ثم اتاه الملك من حظيرة القدس ثانيا فانطبق الاثنان وتيقن النبي عليه السلام على انه كتاب الله.

ومقصودنا من هذا الكلام ان كلام الله اثر على حجر بحت النبي صلى الله عليه وسلم فان الجماعة التي كانت لطائفهم صافية وضاحية بصحبة النبي حيث اثرت لطيفته عليه السلام في لطائفهم فأيقنت هذه الجماعة ايضا بأنه كتاب الله.

وسواء اسندنا هذا الأثر الى النبي او الى القرآن فان المعنى واحد عندنا. ثم انه بعد تيقظ الحجر البحت يتوجه الانسان الى حظيرة القدس. وهذا (هو الغيب) والايمان بما يصدر عنه هو الايمان بالغيب.

ثم انه كما ان النبي صلى الله عليه وسلم اذا سمع من جبريل من كلام الله شيئا ايقن انه من الله لانه نزل من التجلي الاعظم رأسا على حجره البحت اولا كذلك المتقون بعد تيقظ حجرهم البحت بصحبة النبي صلى الله عليه وسلم يعتقدون فيما يسمعون من النبي انه من عند الله وانه كلام الله

لانهم بتيقظ حجرهم البحت اتصلوا بحظيرة القدس وكانوا ايضا باتصالهم بها يجدون في نفوسهم شيئا فلما سمعوا من النبي شبيه ما كانوا يجدون في نفوسهم اولا ايقنوا بان ذلك من الله.

ولهذا هو اعظم مقام للانسان بعد النبوة ثم بعد هذا جميع الكمالات تكون شرحا لهذا المقام فقط. قوله تعالى ويقيمون الصلوٰة.

انما يقيمون الصلوٰة لحفظ الربط بينهم وبين حظيرة القدس التي هي الغيب كما مر.

قوله تعالى ومما رزقناهم ينفقون.

وذلك لانهم يفهمون ان الفطرة الانسانية محتاجة دائما الى شيء من الاشياء وحصول ذلك الشيء موقوف الى البذل والعطاء فلذلك ينفقون مما رزقهم الله سواء ذلك كان قليلا اوكثيرا. فاذا انفقوا على المحتاجين حدث في قلوبهم حب المعطي والمنفق وبذلك يستطيعون جذب المحتاجين الى حظيرة القدس فتتولد بذلك اجتماعية مركزية وقد حصل ذلك فعلا بصحبة النبي وتعاليمه في ايام قيامه بمكة فتولد هذه الجماعة من تعاليم القرآن لدليل واضح على كونه من الله ونازلا من حظيرة القدس الى النبي صلى الله عليه وسلم وان هذا الذي نزل عليه ذلك نبي حق بلا ريب. وبهذا يكون الامر واضحا بعد معرفة العلية والمعلولية وبين الجماعة وبين صحبة النبي صلى الله عليه وسلم وينتظم الكلام بهذه الطريقة ويرتبط بعضه ببعض.

واما ما يسعى اليه المفسرون ويجتهدون له بمهارتهم في اللغة العربية اوبذل الوسع في النظريات النقلية لايجاد الربط بين الآيات فذلك

لا يجدى ولا يغني كما لا يخفى.

وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٤

اختلف المفسرون في ان هذه صفات معطوفة على الموصوفين بالصفات الأول ام هي صفات الآخرين فقال بعضهم ان الصفات الاول كانت للمهاجرين الاولين وهذه صفات للانصار وهذا على حسب الظاهر. واما ما يميل اليه النفس هو ان هذه الصفات ايضا لمن اتصف بالصفات الأول وذلك لان المدار على تلك الآيات هو اثبات نبوة نبينا بقوة الاجتماعية الحادثة بمكة. وقد كان الانصار ايضا انضموا الى المهاجرين وصاروا اعضوا في تلك الاجتماعية ولا ينبغي ان تقسم تلك الاجتماعية الى قسمين لأن دائرتها ام القرى ومن حولها فكانت القبائل المجاورة لمكة وبعض مكان يثرب داخلون في هذه الجماعة ولذلك كان لزاما علينا ان نقول ان هذه الصفات صفات معطوفة على الموصوفين بالصفات الاول.

وقد تقرر عندنا في حكمة الامام ولي الله ان الرسول بعث بعثتين الاولى للعرب الاميين والثانية للعالمين فالصفات الاول التي عطفت عليها الصفات الأخر كانت مركزا للبعثة الثانية.

ولذلك حاز المتقون نوعين من الكمال الاول التوجه الى حظيرة القدس بالعلم والحال والعمل والثاني معرفة احوال العالم المقتضية لنزول التعاليم المختلفة اليهم من حظيرة القدس فهم حكماء يفهمون امزجة العرب ويوقنون بان ما انزل الى النبي مطابق وموافق لها.

وهذه المعرفة متفرعة على ايمانهم بالغيب ونجد مثل عمرؓ و
ان كان هو غير مختص بذلك يجد في قلبه داعية تشريع بعض الامور وهذا
اكبر دليل على انهم كانوا يعرفون الاسباب المقتضية لنزول الشرائع. و
هذه الاسباب هي المراد بالحكمة في كتاب الله. وقد امر النبي صلى الله
عليه وسلم ان يعلمهم الكتاب والحكمة بنص الكتاب.

ثم انه لا يستطيع الناس ان يفهموا القرآن بدون الحكماء ولا التدبر فيه بغير
توسطهم وكما ان فيهم حكماء يفهمون ويشعرون بحاجة نزول هذه الشريعة
كذلك فيهم حكماء يعرفون الاسباب المقتضية لنزول الشرائع المتقدمة
كاليهودية والنصرانية وبالتبع المجوسية والصابئة.

وقد ذكرنا الديانتين العاظمتين اللتين كانت الهند منبعهما عمت
الارض قبل اليهودية والنصرانية وهما البرهمية والسمنية. وهاتان
الديانتان شبيهتان باليهودية والنصرانية.

ثم ان المتقين من الحكماء يفهمون بما يجدون في قلوبهم الاسباب
المقتضية لنزول الشرائع المقدسة ايضا فيؤمنون بما انزل من قبل.
وقد صاروا بهذين الوصفين حاملين البعثة الثانية العالمية ايضا.

قوله وبالآخرة هم يوقنون.

الانسان اذا ادرك نظام الانسانية العالمية يضطر الى الايمان بالآخرة
ولما آمنوا بالآخرة كان ايمانهم بها دليلا واضحا على معرفتهم واتصالهم بفطرة
الانسانية العالمية المتفرقة بين الامم.

فايجاد القرآن جماعة مثل هذه تكوينها كان دليلا على انه كتاب
الله وانه من عند الله

أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾

كان يدل على فلاح امة من الامم في ذلك العصر اذا كان لديهم برنامج لتكميل الفطرة الانسانية وهو منطبق عليهم عمليا وصالح لدخول جميع الامم فيه واما الامة التي برنامجها قومي فقط فانه لا يدل على فلاحها وهدايتها فمعنى انهم على هدى من ربهم وانهم هم المفلحون ان لديهم برنامج صحيح لتكميل الفطرة الانسانية وهو برنامج صالح لدخول الامم فيه ومجرب بتطبيق ذلك على انفسهم تماما.

تنبيه

كل أُمة لا تأخذ ببرنامج القرآن لا تفلحُ ابدًا

قام المسلمون بتنظيم الدعوة القرآنية العامة وقد فازوا في تنظيمهم هذا في مدة خمسين سنة وكانت نهاية هذه المدة تحكيم صفين.

فاذا ارادت امة من الامم بعد هذا تنظيم دعوتهم لا يفلحون الا اذا اخذوا ببرنامج القرآن وقد تحققنا ذلك وآمنا به بعد مطالعتنا الحركات العالمية الموجودة اليوم.

وقد علم الناس ان الانقلاب الروسي انقلاب اقتصادي فقط لا يبحث عن الأديان ولا عن الحياة الأخروية ابدا. وقد جالسناهم وتداولنا الافكار معهم وقد ادلينا لهم بالتدريج واللطافة برنامج الامام ولي الله في حجة الله البالغة فاستحسنوه جدًا وسألونا عما اذا كان لدينا جماعة تعمل بهذا البرنامج ولما نفينا ذلك تأسفوا جدًا. وقالوا لو كانت هنالك جماعة تعمل بهذا البرنامج لكنا شاركناهم ودخلنا فيهم وفي مذهبهم وكان ذلك سهل علينا لمشاكل عظيمة عاقت برنامجنا في تنفيذه في الفلاحين.

هذه خلاصة قولهم بدون اي تحريف فايقنت بعد ذلك انهم مضطرون الى قبول برنامجنا القرآن ولو بعد حين ان شاء الله.

لم نر اليوم حركة من الحركات العالمية مثل حركة الروس الانقلابية مضادة لتعاليم القرآن مناقضة لها فاذا كانت هذه الحركة مع ماذكرنا مضطرة الى القرآن وبرنامجه الذي تصله احداصة نبيه عليه الصلاة والسلام فكيف بسواها من الحركات.

وهذا الذي زاد في ايماني بان الهداية والعلاج موقوفان على اتباع القرآن الحكيم بعد نزوله.

تم التنبيه.

يقول المفسرون انه تقدم هنا ذكر المتقين المؤمنين ويذكر بعد هذا الكفار الملعونين ثم يبحثون في توضيح هذا بافكارهم الكلامية ويقولون هل يجوز التكليف بما هو خارج عن القدرة؟ ويحرفون معاني الآيات. فكنت اقول في نفسي اي حاجة الى نزول مثل هذه المسائل في القرآن والبحث عنها لكن المدارس التي تدرس فيها مثل هذه التفاسير [illegible] مثل هذه الامور بل يمنعون الناس عن التكلم فيها مطلقاً. ولما كنت افكر دائما في ربط الآيات سنح في فكري ان هذا جواب سؤال يرد على الدليل الذي تقدم ذكره تقريره انكم استدللتم على ان القرآن اثر في افكار جماعة حتى انهم امنوا بالكتاب وصدقوا بحقانيته. ولكن كانت في مكة جماعة كافرة بالكتاب بل كذبت بجميع ما جاء به النبي بازاء تلك الجماعة المؤمنة فلو كان القرآن مؤثرا كما تقولون ووجدت تلك الجماعة بتأثير القرآن فلم لم يؤثر القرآن في افكار هذه الجماعة الكافرة؛ واذا لم يؤثر القرآن في هؤلاء [illegible]

ان نقول ان القرآن لم يؤثر في اولٰئك ايضاً. واما ايمانهم وصدقهم فكان له وجه آخر غير ما ذكرتم.

والجواب ان هٰذه الجماعة الغير المؤمنة لم يلتفتوا الى القرآن ولم يمعنوا في دلائله بل قالوا لاتسمعوا لهٰذا القرآن والغوافيه الخ ولم يعكروا في معانيه ثم فلم يؤثر القرآن فيهم فعدم التأثير في قلوب هٰؤلاء لايدل على ان القرآن غير مؤثر ولنقص فيه بل كان عدم التأثير لعدم التفاتهم اليه وعدم سماعهم له ويشير الى ذٰلك قوله تعالى:-

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٦ خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝٧

كان النبي صلى الله عليه وسلم يجتهد في انذارهم ودعوتهم الى القرآن فلما لم يصغ اولئك الى كلام الله ولم يعوا معانيه صاروا ملعونين ومبعدين من رحمة الله ومن هٰذه النعمة العظيمة.

ثم ان عدم التفاتهم كان لمرض في قلوبهم والحسد والبغض له فصاروا سواء عليهم الآية. وقد انتظم الكلام ببياننا هٰذا وارتبطت الآيات ولا حاجة الى القول بانه هل يجوز التكليف بالمحال ام لا؟

غالب المفسرين بعد المئة السابعة كانوا ينظرون الى القرآن كانه كتاب ائمتهم المتكلمين.	غالب المفسرين بعد ائمة السابقة ينظرون الى القرآن كانه كتاب احد ائمتهم في الكلام لا انه كتاب

الالٰهي او نحن نحمد الله جل وعلا على ان قدرنا على فهم القرآن بواسطة

الإمام ولي الله فانه لولم يكن هذا الامام لما كنا نطمئن بتفاسير مثل الرازي والبيضاوي ومن تبعهما من المتأخرين وان كنا لا ننكر وجود فوائد جمة في تفاسيرهم.

ورب قائل يقول اذا كان عدم الالتفات وعدم الاصغاء من الكفار جعلهم ملعونين ولم يؤثر فيهم القرآن كأبي جهل وغيره مثلاً فنرى جماعة المنافقين كانوا يصلون مع الرسول صلى الله عليه وسلم ويقرؤن القرآن فلم لم يؤثر فيهم ولم لم يهتدوا؛ ولذلك جوابكم السابق غير مقنع لانه غير صحيح بالمنافقين المذكورين من آية (٨) الى (٢٠)

وجواب هذا الاعتراض انا نقول انه لا شك في وجود جماعة منافقة كانت تصلي مع النبي صلى الله عليه وسلم وتقرأ القرآن ولكن هؤلاء ايضاً ما كانوا يفعلون فعلهم ذلك الا استهزاء بالمؤمنين وقد صرحوا هم بانفسهم بذلك قال تعالى حاكياً عنهم واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا و اذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم انما نحن مستهزءون.

فاذا لم يؤثر كلام الاستاذ المؤثر في عقل التلميذ المستهزئ لا اعتراض على كلام الاستاذ وقد تدرج الله في بيان احوالهم الخبيثة وسلم وجود جماعة مثل ما قلتم فيهم في آية (٨) وهي

وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَّقُولُ اٰمَنَّا بِاللّٰهِ وَبِالْيَوْمِ الْاٰخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِيْنَ ۞

ثم اثبت كذبهم في دعواهم انهم آمنوا بالله وباليوم الآخر من آية (٨) الى (١٠) تعالى.

يُخَادِعُونَ اللّٰهَ وَالَّذِينَ اٰمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ اِلَّا اَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللّٰهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ اَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾

دخول جماعة المنافقين في المؤمنين كان ببرنامج رجعي لا لقصد الايمان فقد كانوا دخلوا في المؤمنين لصدهم عن الانقلاب الذي ارادوه فصاروا يفعلون فعلهم ذلك خداعا لهم وقد ظنوا انهم يخدعون الله ثم يخدعون المؤمنين. والحقيقة انهم انخدعوا بظنهم ذلك وقد ثبت الله المؤمنين على برنامجهم.

ولما لم يفهم المؤمنون حقيقتهم بسرعة ظن المنافقون انهم خدعوا المؤمنين فعدهم المؤمنون مؤمنين مثلهم وظن المنافقون انهم فازوا بخديعتهم تلك وعما قريب يرجعونهم عن برنامجهم الانقلابي وهذا معنى قوله تعالى في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا.

قوله ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون.

لما تبين للمنافقين بعد ايام قليلة انه انكشف على المؤمنين نفاقهم وظهر للمؤمنين كذبهم في دعواهم وانهم لم ينجحوا في تنفيذ برنامجهم وفهموا ايضا انه عما قريب يصيرون ذليلين مهانين بايدي المؤمنين بعد ان كانوا يظنون انهم من اعلى طبقات الانسانية في امكانهم خداع كل ذكي وغبي صاروا في عذاب أليم.

اذا ارادت جماعة القيام بالعدل	الانقلابي لا يتفق مع الرجعي أبدا

او بعبارة اخرى «بالتقوى» وقابلتها جماعة اخرى فاسدة تدعي الرياسة

بجهلها والسائرة ببرنامج ابائهم واجدادهم وهم لايسمعون من الحق شيئاً ولايلتفتون الى ذلك كيف يجتمعان. ولذلك لايشك عاقل ان الانقلابي المتقدم لايتفق مع الرجعي المتأخر ابداً مهما كانت الحالة.

قوله وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ

في هذا بيان قبح حالهم ايضاً وذلك انه لما تبين للمؤمنين خبث طوية المنافقين وفساد نيتهم ومع ذلك ارادوا الاصلاح بينهم وبين الكافرين وعرف المؤمنون ايضاً انه لابد من القتال وقمع الباطل بالقوة قالوا للمنافقين لاتفسدوا في الارض بفعلكم هذا

قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾

بايقاف القتال بينكم ويكون الصلح بينكم بالتنازل عن شيئ من برنامجكم ويتنازل اولئك عن شيئ ايضاً.

وهذا السعي من المنافقين انما هو افساد لبرنامج المسلمين من غير فهم فان الانقلاب مضطر الى الحرب لقمع الباطل والرجعيين المفسدين

قوله أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾

في هذا تبيان لفسادهم. وقد تبين بهذا انهم مافهموا مرمى الايمان بالله وباليوم الآخر ومقصده وانما تلفظوا بالالفاظ فقط. وبمجرد التكلم بكلمة الايمان والنطق بحروف العلم لايكون المرء مؤمناً ولا عالماً.

اذا تمسك حزبان بآرائهما المتفق عليها من جميع افراد كل حزب منهما فانه لابد عند ذلك من الحرب بينهما.

وقد اوضح الله في اية (١٣) والم باصرح من الأول لأن المسئلة كانت مشكلة جداً فان

المنافقين مع عدم ايمانهم صرحوا بانهم آمنوا فلو قيل من جهة المؤمنين ان

المنافقين لم يؤمنوا حقيقة وان لك لم ينتفعوا بايمانهم و بالقرآن لم يكن الجواب تاما وافيا. وذلك لان الخصم المنافق يتهم المؤمنين بانهم يرمون كل رجل عاقل لم ينتفع بالقرآن بأنه لم يؤمن حقيقة. وليس هنا البحث عن الحقائق بل في هذا عصبية مذهبية. وللاجتناب من مثل هذا الاتهام بحث القرآن عن اوصافهم الذميمة رويدا رويدا درجة بعد درجة فالزمهم اولا انهم يتكبرون من الحق وانهم يخسرون في النهاية وهذا ظاهر من احوالهم حتى عند الخصم ايضا. ثم بعد هذا ناظرهم مناظرة عقلية. وذلك انه اذا كان هناك طائفتان متشبثتان بآرائهما المتفق عليهما من افراد كل منهما وصمم كل حزب منهما في تنفيذ رايه فلا مناص عند أذ من الحرب حتى يهزم احدهما الآخر والعاقل ينتظر ذلك بفارغ الصبر.

اذا كان هؤلاء سفهاء على زعمكم فلم دخلتم في حزبهم؟ قالوا انما نحن مستهزؤن اي دخلنا فيهم مستهزئين وصرحوا بذلك عند المخالفين ايضا. وبذلك لم يبق لهم حجة في الافتراء على المؤمنين بأنهم يرمون كل من لم يتأثر بالقرآن انه غير مؤمن تعصبا.

ثم انه قد صرح هؤلاء بانفسهم انهم انما دخلوا في المؤمنين مستهزئين فعدم تأثرهم بالقرآن في هذه الحالة لم يكن لنقص في القرآن بل كان لعدم التفاتهم اليه. واليه الاشارة في (١٣، ١٤)

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ ۗ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ﴿١٤﴾

اَللّٰهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِيْ طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُوْنَ ﴿١٥﴾

المنافقون ما فهموا في هذه المدة التي خالطوا المؤمنين فيها ان المؤمنين فهموا حقيقة امرهم من اول الامر ولم يفهموا ان المؤمنين لا يعتمدون عليهم في شيئ من أمورهم.

ثم انه مع بقائهم في المسلمين مدة طويلة وعلمهم اعمال المؤمنين لم يستدوا بل زادوا في الضلال والطغيان اكثر من قبل. وهذا كان جزاء استهزائهم وكبرهم.

اُولٰٓئِكَ الَّذِيْنَ اشْتَرَوُا الضَّلٰلَةَ بِالْهُدٰى فَمَا رَبِحَتْ تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوْا مُهْتَدِيْنَ ﴿١٦﴾

وفي هذه الآية ضرب الله مثلا لتفهيم هذه الصورة بتاجر يربح و وتاجر يخسر وصورة البيع والشراء واحدة عندهما. و كما يفهم التاجر الخسران في تجارته انه انما جاءت الخسارة من فعل كذا وكذا كذلك كان حالهم.

والتاجر الرابح هو المؤمن والخاسر هو المنافق وقد علموا ان خسارتهم في تجارتهم انما كانت بشؤم اعمالهم لا غير.

ثم ان المؤمنين حزب كان تنبه بفساد العالم فارادوا اصلاحه. والمنافقون ج انهم كانوا يخادعون المؤمنين كانوا انقسموا الى قسمين قسم منهم كانوا من اكابر الناس وزعمائهم وقسم منهم غوغاء الناس واتباعهم. فلما يفز اولئك في مقصدهم بقي هؤلاء في المسلمين آئسين تاركين النظر في مستقبل الاسلام.

مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِى اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ اَضَآءَتْ مَا حَوْلَهٗ ذَهَبَ اللّٰهُ بِنُوْرِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِيْ ظُلُمٰتٍ لَّا يُبْصِرُوْنَ ﴿١٧﴾

صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾

في هاتين الآيتين اشارة الى ما تقدم في تفهيم الآية التي قبلها. ثم في القسم الثاني من المنافقين استعداد لقبول الحق وفهمه والعمل بمقتضاه كما ان فيهم استعداد لقبول الباطل والعمل به ولكنهم بقوا مترددين في اي العملين يأخذون به والى ذلك اشارة في ما يأتي.

أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ
أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ ۚ وَاللَّهُ
مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿١٩﴾ يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ ۖ
كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُم مَّشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا ۚ وَلَوْ شَاءَ
اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾

قد رأينا سكان الأرياف من الفلاحين وغيرهم في مجالس المرشدين والمعلمين فانهم اذا امرهم مرشدهم باشياء عملوا بجميعها بكل اخلاص وبكل قوة امام مرشدهم. ثم اذا رجعوا الى بيوتهم تركوا جميع ذلك واشتغلوا بمرافق حياتهم ولم يلتفتوا الى ما كانوا عملوا من قبل. ومع ذلك يدعون الايمان بالله واليوم الآخر. وان فتشت عن ايمانهم وجدته ناقصا فانهم انما كانوا يعملون امام مرشدهم بما يأمرهم به بقوة خارجة عنهم وبتأثيرها ولما ضعف ذلك التأثير بعد انفصالهم تركوا كل ما امرهم به مرشدهم. وهذا يدل على ان فيهم استعداد لقبول الحق والعمل به ولكنهم يعطلون ذلك الاستعداد احيانا. والفطرة الانسانية قاضية بان كل قوة تهمل مدة طويلة فانها اما تنعدم بالكلية واما تضعف بحيث

لايمكن الاستفادة منها ۔ ولذا انذروا بقوله تعالى:۔ ولو شاء الله لذهب بسمعهم وابصارهم الآية و بهذا اتضح معنى هذه الجملة و ارتبطت بما سبق.

على نظريتنا تم الاستدلال بقوله تعالى هدى للمتقين على قوله ذلك الكتاب لاريب فيه. وهذا الدليل يسمى في اصطلاح المناطقة دليلا انيا يستدل بالمعلول على العلة ويكون الدليل الاني اقرب الى فهم العوام. واما الحكماء فلا يطمئنون به الا اذا قدروا على تحليل العلة باثبات لميتها ايضا.

فعلى نظريتنا قوله تعالى (يا ايها الناس اعبدوا الآية) بدوء في بيان الدليل اللمي على اي امر تشتمل الدعوة القرآنية، وهل فيها قوة واستعداد التي يتخرج المتقون منها، ويمتد الكلام في هذين الامرين من آية (٢١) الى (٣٩) و لنجعل هذا فصلا ثانيا فنقول:

الفصل الثاني من سورة البقرة

وفي هذا الفصل تأتي مقاصد القرآن كلها مجملة

الامر الاول الذي يدعوا اليه القرآن هو العبادة لله وحده خالصة والنهي عن عبادة غيره والمنع من ان يجعل لله اندادا وهذا قد اتفقت عليه جميع الكتب المنزلة ويبتدئ شرح هذا من قوله تعالى يا ايها الناس اعبدوا الآية.

قوله تعالى:۔ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾

الخطاب في هذه الآية للطبقة المتوسطة الذين فيهم استعداد للتقوى مثل الطبقة النازلة الذين مر ذكرهم في قوله:۔ او كصيب من السماء الآية. وليس

يجوز ان يكون المخاطب من كان دون هذه الطبقة في اول الدعوة ولذلك

قال فلا تجعلوا الله اندادا وانتم تعلمون.

الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾

وقال لعلكم تتقون فانهم كانوا ولاريب يفهمون المراد من التقوى ويعرفون التوحيد ولكن كان يصعب عليهم الاستقامة على ذلك. ولما كان الله انعم عليهم بان خلقهم اوجب عليهم ان يعبدوه وحده عبادة خالصة من شوائب الشرك.

ثم انه قد تقرر في السور المكية ان عباد الله المخلصين هم المخاطبون في الدعوة الابراهيمية والمدعوون اليها دائما. ولا يمكن الثبات على العبادة لله وحده دون غيره الا باتباع ما نزل من القران فلذلك وجه انظارهم الى معارف القران في اية (٢٣). قوله تعالى:-

وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾

نحن نجعل سور القران ابوابا له وهي بمنزلة ابواب التوراة التي هي اسفار التوراة فسورة واحدة من سور القران مثلا سورة البقرة ترى فيها مجموعة من التعاليم القرانية التي نزلت بمكة مرتبة. وهذه التعاليم وحدها كفيلة لهداية العالمين جميعا وكافية لهم. هذه صفة باب من ابواب القران. ثم خذ

بابا من ابواب التوراة او صحيفة منها وكتابا من الأناجيل الاربعة او كتابا من تعاليم الصابئة وانقلها الى العربية وعلم ذلك للحجازيين الذين علمناهم القرآن فان وجدت نتيجة ذلك مثل نتيجة تعاليم القرآن حينئذ يصح ان يقال انه لا حاجة في اتباع القرآن بل يتبع دين من الأديان الأخر فتحصل الهداية للطلوبة فان لم يمكن ذلك فالاعراض عن القرآن وعن تعاليمه يؤدي الى جهنم عند جميع الكتب الالاهية بلا شك.

والتحدى فى القرآن عندنا ليس للامم العجمية ببلاغة القرآن و فصاحته لأن الأعجام لا تعرف اللغة العربية اصلا فضلا عن بلاغتها و فصاحتها. وقد رأينا ان الله يتحدى الانس والجن بأن يأتوا بسورة من مثله. وكثير من اليهود والنصارى والصابئة وغيرهم من اصحاب الأديان الأخر موجود دون بالحجاز واطرافه. ولذلك فانما يتحداهم بأن يأتوا بتعاليم أديانهم ويحدثوا بها اجتماعية مثل الاجتماعية التي احدثتها تعاليم القرآن واحداث اجتماعية مثل هذه انما يتأتى من المعاني والحكمة العلمية والعملية معا لا من بلاغة لغة وفصاحتها. فمن يقول ان التحدى فى القرآن للجن و والانس جميعا كان ببلاغة القرآن وفصاحته فقوله هذا لا ينبغي ان يلتفت ولا ان يصغى اليه.

قوله وادعوا شهداءكم من دون الله.

يريد بذلك اصحاب الاديان الأخر الذين مر ذكرهم.

قوله :- **فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا**

هذا ظاهر. ونحن نتحدى الامم الى يومنا هذا بأن يأتوا بدين اقوى من دين الاسلام.

قوله تعالىٰ :- وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٢٤﴾

في هذا اشارة الى انهم لا يستطيعون أن يأتوا بدين اقوى من دين الاسلام. والكافر هو الرجيم المقهور. والنار التي انذروا بها هي في عالم المثال[1] في (حكمتنا) وذكر الحجارة هنا لا يتفق مع نظريتنا وذلك لان الاعمال الانسانية السيئة هي بعينها تلتهب بعد انحطاطها في الدركات السافلة في عالم المثال.

وتحقيق ذلك اننا لا نسلم التضارب و التناقض بين الحقائق في الوجود في عالم المثال ولذلك نقول شان عالم العناصر ان يتصل بعالم المثال بوجه من الوجوه ويمكن انتقال لاحدهما الى الآخر لاشتراك الأساس بينهما.

فايراد الحجارة في جهنم التي هي في عالم المثال انما يكون لزيادة العذاب فوق العذاب. ولنوضح ذلك بمقدمة ذكرها الشيخ اسماعيل في كتابه العبقات قال رحمه الله :- الشيئ و ان كان عالماً بالشيئ بالعلم الحضوري الا انه ان نجود النظر اليه وتفرغ للتوجه اليه يقع له بطرفيه، ويترتب آثار هذا التوجه اوفرما كان على حسب استعداد المدرك لاسيما اذا اعانه شيئ من خارج. الم تر

---

[1] هو عالم غير عنصري تتمثل فيه المعاني باجسام مناسبة لها في الصفة وتحقق هنالك الاشياء قبل وجودها في الارض نحوا من التحقق. وقد دلت أحاديث كثيرة على وجود هذا العالم. راجع حجة الله ج ١ صفحة ١٣ طبع مصر. قال المصنف الشهير الشاه اسماعيل :- الجاحد بالوجود المثالي ليس من اهل السنة حقا بل فيه شوب من الاعتزال لانه يضطر الى تاويل الف نص بل اكثر تاويلاً بعيداً. راجع العبقات صفحة ١٧٠.
ابو سعيد غلام مصطفى السندي.

ان الرجل اذا جاع اوعطش اوجُرِح فله علم حضوري بالجوع والعطش والألم الا اذا كان مشتغلاً في تضاعيف الاشغال كان يكون حاضراً في صف القتال اوفي جماعة الهاربين لا يكاد ان يتنبه لموضع الجرح ولا يترتب عليه آثار الألم . ولذا لا يكون مانعاً من العدو الشديد. فاذا زال الامور الشاغلة ادرك الألم اشد الادراك حتى لا يكاد ان يتحرك لاسيما اذا اعانه شيء من خارج كوقوع الزباب على الجرح اوحضور الطعام عند الجائع وحضور الماء عند العطشان فانه يتضاعف احساسه اه. قلت اعمال الانسان تكون حاضرة عنده في جهنم ويكون ملتفتاً اليها قصداً فتؤذيه نتائجها ايذاءً شديداً لابتعاد هذا الانسان من حظيرة القدس وتأذي الحجر البحت[1] من ذلك الابتعاد. ففي هذه الحالة اذا وقع عليه حجر يزداد احساسه ويشتد عذابه ويتضاعف.

وانتقال الاحجار الى عالم المثال لاتحاد الوجود بينهما ليس بمستبعد عندنا. والحكمة التي نعتمد نحن عليها لانتم الا بتأسيس مسألة وحدة الوجود الحقيقي. ولذا نشير الى ان حكمتنا توافق فلسفة الهند دائما.

حكمة الامام ولي الله توافق فلسفة الهند.

من المسلمين رجال لم يفهموا مسألة وحدة الوجود كما هي فانكروها بالكلية وشنعوا على قائليها تشنيعاً بليغا وامرهم بانهم اخذوا بداية الاجانب. ثم اذا اعترف بصحتها بعضهم فاما ان يسند تلك المسألة اما الى اليونان او الى ايران. واما انهم يسندوها الى الهند فلا.

---

[1] قد مر تحقيقه قبل فتذكر. ابوسعيد السندي.

وكان ذكر الهند يؤذيهم غاية الايذاء۔

ونحن نعرف انما سبب كل ذلك هو الجهل المتراكم فيهم ولا نتنازل ان نلتفت اليهم الا ان نكون شارحين لحقيقتهم فانهم ليسوا معاندين ولكنهم جاهلون غاية الجهل. ونحن نوقن بأنهم يدركون خطأهم قريبًا بتيقظ الهند وخضوع اوربا لهم في تلك المسألة وتسليم الغربيين لها فياخذون اولئك الجهال منهم اومن الهند انفسهم من غير واسطة.

واما انهم يأخذون هذه المسالة من المسلمين يقبلونها منهم فلا. ولا بأس بذلك فليس الأني ببعيد.

قوله تعالى:۔ وَبَشِّرِ الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا وَعَمِلُوا الصّٰلِحٰتِ

اي الذين امنوا بالقرآن ونظموا حياتهم على حسب ارشاداته

قوله تعالى:۔ اَنَّ لَهُمْ جَنّٰتٍ تَجْرِيْ مِنْ تَحْتِهَا الْاَنْهٰرُ

قد ذكرنا ان الجنات الارضية ايضًا يراد بها في هذه البشارة مع الجنات السماوية المثالية ومرادنا بالمثال هنا هو المثال الفاعل المؤثر لا المثال المنفعل المتأثر.

قوله تعالى:۔ كُلَّمَا رُزِقُوْا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُوْا هٰذَا الَّذِيْ رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَاُتُوْا بِهٖ مُتَشَابِهًا

وهذا دليل على نظريتنا في الجنة انهم اوتوا تلك الاشياء

فى الدنيا فلما رئوا مثل ذلك فى الجنة السماوية روا توا به متشابها
قالوا هذا الذي رزقنا من قبل فانهم اوتوا كل ما فى الجنة باسمائها
وصفاتها وطعمها.

وفي هذا اشارة ايضا على ان الآخرة تتمة النشأة الدنياوية.

قوله تعالى- وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٥﴾

ابتداء الخلود كان من دار الدنيا (لما قلنا ان الآخرة تتمة الدنيا)
ويتسلسل ويستمر الى امد بعيد جدًا. فان تقدموا بتعاليم القرآن
وترقوا على حسب ارشاداته فانهم يجدون جنّات الدنيا اولاً وجنّات
الآخرة بعد الموت ايضًا متواليًا. وان لم يتقدموا بالقران وبقوا متقهقرين
فليس لهم الاجهنّم وبئس المهاد.

هذا التحدي للامور المعنوية العقلية. والفصل بالامور الشهادية
الحسية دليل ساطع على صداقة القرآن. وهذا هو الجزء الثاني للدعوة
من آية (٢١-٢٧) وهذا الجزء هو بمثابة جملة معترضة عندنا.

غالب المفسرين قد رواعلى تنسيق الآيات المذكورة الى آية (٢٥)
وقالوا ان الله تعالى ذكر المؤمنين اولاً وذكر المعاندين ثانيا ثم ذكر
المنافقين ثالثًا لانه انما تعرف الاشياء بالاضداد فصارت الآيات
كلها كانها ذكرت في وصف المؤمنين ولكنه صعب عليهم ربط آية
(ان الله لايستحيى الآية) بما قبلها واتوا بعد ذلك بدلائل لا طائل
تحتها بانه لاحاجة الى ربط الآيات وتنسيقها غير مظهرين في
ذلك عجزهم.

وقد تنبهنا نحن بحمد الله على حسب نظريتنا وفهمنا ان هذا جواب سؤالٍ تقريره :- ان اتباع القرآن تحدّوا المنكرين له على ان يأتوا بمثله من كتبهم الالٰهية ففي هذه الحالة يمكن ان يقول المخالف ان الكلام الذي تتحدون بالاتيان بمثله غير خال من العيوب فادفعوا اولا هذه العيوب من كتابكم و نزّهوه منها ثم طالبوا مخالفيكم بالاتيان بمثله. واما قبل ذلك فليس من المستحسن التحدّي بالاتيان بمثل كتابكم. وهذا العيب هو ذكر الاشياء الخسيسة التافهة. فان كلام الملوك ملوك الكلام فان كان هذا على حسب زعمكم كلام الله فلم ذكر فيه البعوض والذباب ونحوهما ؟

والجواب عن ذلك هو انه اذا كان المثال لتوضيح المراد لازمًا وهو لا يؤثر في عقلية الناس الا اذا ذكر فيه الأشياء الخسيسة التافهة مثلا فحينئذ يجوز ذلك ويصح .

ثم ان الاشياء الخسيسة التافهة الحقيرة ربما كانت مشتملة على امور عظيمة في حكمة الله جل وعلا وكانت ايضًا سببا في حل مشاكل الناس او في الامور التكوينية ففي هذه الحالة لا يجوز ترك ذكرها لارضاء الناس اوحياءً منهم والله لا يستحيي من بيان ما هو الحق. تم الجواب.

اِنَّ اللّٰهَ لَا يَسْتَحْيٖٓ اَنْ يَّضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوْضَةً فَمَا فَوْقَهَا ۭ فَاَمَّا الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا فَيَعْلَمُوْنَ اَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَّبِّهِمْ ۚ

قوله تعالى - فَاَمَّا الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا الخ في هذه اشارة الى ان المؤمنين

يعرفون فائدة ذكر الأشياء الحقيرة فيما بعد لأن الأمثال تكشف الحقائق ثم في مخالفة عرف الناس فائدة أخرى ايضا وذلك ان المنافقين يبيحون بانكارهم في كتاب الله ويظهرونه فيظهر للناس نفاقهم. وتمييزهم من بين المؤمنين من اهم الاجتماعية المؤمنة.

قوله تعالى:- وَاَمَّا الَّذِيْنَ كَفَرُوْا فَيَقُوْلُوْنَ مَاذَآ اَرَادَ اللّٰهُ بِهٰذَا مَثَلًا ۘ

المراد بالكافر هنا هو المنافق كما ورد عن بعض التابعين رضي الله عنهم. وفي هٰذا اشارة الى ما مر وهو ظهور نفاق المؤمنين وتميزهم من بين المؤمنين بانكارهم ذكر الأشياء الخسيسة في القرآن بين المؤمنين لأن سؤالهم بقولهم ماذا اراد الله بهٰذا مثلا كان على سبيل الانكار وقد بين الله فائدة ذٰلك وهو اضلال كثيرين وهداية كثيرين وهٰذا هو معنى قوله:- يُضِلُّ بِهٖ كَثِيْرًا وَّيَهْدِيْ بِهٖ كَثِيْرًا ؕ

قوله:- وَمَا يُضِلُّ بِهٖۤ اِلَّا الْفٰسِقِيْنَ ۙ﴿۲۶﴾

في هٰذا تعيين من الله جل وعلا الذين يضلون.

والمراد بالفاسق في القرآن هو الذي لديه برنامج للرقي مخالف لبرنامج القرآن. ويراد بالكافر الرجعي المعاند بارتجاعه.

ثم ان من كان برنامجه على خلاف برنامج القرآن وضده فان ذٰلك البرنامج يحتوي على ثلاثة امور قبيحة جدا وهي (١) ان نقض العهد من بعد ميثاقه. وذٰلك انهم يدخلون في حزب الله

ويجاهد عن الله على ان يتبعوا دينه بلسانهم وقلوبهم مطمئنة بالكفر ويضمرون في انفسهم الخديعة للمؤمنين، ثم اذا وجدوا ادنى حيلة يخرجون منه وهذا من اقبح الافعال عند الانسان السليم الفطرة فانه لا يرضى ان يدخل في حزب يعتقد بطلان اصوله ويتظاهر باعتراف صحتها لاغراض دنيئة جدًا وهذا معنى قوله تعالى:-

اَلَّذِيْنَ يَنْقُضُوْنَ عَهْدَ اللّٰهِ مِنْۢ بَعْدِ مِيْثَاقِهٖ ص

قوله تعالى:- **وَيَقْطَعُوْنَ مَآ اَمَرَ اللّٰهُ بِهٖٓ اَنْ يُّوْصَلَ وَيُفْسِدُوْنَ فِي الْاَرْضِ**

الامر الثاني من تلك الامور القبيحه هو قطيعة الرحم فان قطيعة الرحم دليل واضح على انخداج فطرة القاطع فان من علامات تكميل فطرة الانسان وكمالها صلة الرحم.

الامر الثالث الذي هو قبيح جدا هو الافساد في الارض. هذه امور ثلاثة يحتوي عليها برنامج المخالف لبرنامج القرآن.

ثم انه اذا وصلت امة في اجتماعيتها الى اعلا المنازل واسماها ثم انحطت الى درجة البطلان مثلا فليس معنى ذلك ان جميع امورها من اولها الى آخرها باطلة وفاسدة فانه قد يكون مع انحطاطها الى درجة البطلان فيها امور صحيحة مفيدة للانسانية لا يجوز تغييرها ولا تبديلها. نعم اذا عمّ الفساد وتغلّب وصار هو الغالب في امورها وتجاوز الحد عند ذلك يجب محوها عن الوجود والقيام بدكها نصرة

للحق وان كان في ذلك تغيير بعض الحق الموجود فيها لانه لاينبغي ان يبقى الفاسد المتغلب لاجل الصحيح المنضم معه في نظر الحكمة. واما الدعائم الحقة التي لايستلزم تغيير الفاسد تغييرها فانها تترك على حالها حتما.

فهؤلاء المفسدون في الارض يفسدون هذه الدعائم ايضا ثم لايمكنهم بعد ذلك ان يقوموا باي اصلاح ابدا.

فالذين برنامجهم يحتوي على هذه الامور القبيحة ومع ذلك يدعون انهم على الرقي التام ويدخلون في جماعة المؤمنين على انهم انقلابيون مثل المسلمين فان ضررهم شديد جدا على الاسلام. فان انكروا على ذكر تلك الاشياء الحقيرة في القرآن أمام المؤمنين فانه ينكشف عليهم حقيقتهم ويفهمون خبث نيتهم ويكون في ذلك نفع عظيم للمؤمنين فلا يبقي ذكر تلك الاشياء الحقيرة بعد ذلك عيبا بلعتبار النتيجة.

قوله:- أُولَٰٓئِكَ هُمُ الْخٰسِرُوْنَ ﴿٢٧﴾

كيف يفلح من كان برنامجه محتويا على ما تقدم؟

قوله تعالى:- كَيْفَ تَكْفُرُوْنَ بِاللّٰهِ وَكُنْتُمْ اَمْوَاتًا فَاَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيْتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيْكُمْ ثُمَّ اِلَيْهِ تُرْجَعُوْنَ ﴿٢٨﴾

المراد بالكفر بالله هو الكفر بالقرآن لانه جاء قبل هذا،

(فاما الذين كفروا فيقولون ماذا اراد الله بهذا مثلاً) اليس ان الانكار على القرآن انكار على الله و الاعتراض على القرآن اعتراض على الله ثم الاعتراض على الله هو الكفر به جلّ وَعلاَ. و لذلك قال كيف تكفرون بالقرآن وقد اراد الله ان يجعلكم بواسطته خلفاءه في ارضه لان الخلافة من اهم الامور الانسانية المودعة في جبلة الانسان وفطرته وهي جامعة لصفات كثيرة منها الخلافة و تعتريكم موتان وحياتان لتدل على ان الانسان يحتوي على امور عظيمة جداً.

الموت الاول يقتضي الحياة لان قوة الحياة كانت كامنة فيه وان عبرعنها بالموت فان الموت ليس بعدم محض فكنتم امواتاً غير مظهرين الحياة فعلاً فان الحياة في تلك الحالة كانت بالقوة لا بالفعل. ثم كان في حكمة الخالق ان اوجب الموت الحياة فاحياكم و هذه الحياة ايضاً تقتضي الموت فتموتون ثم هذا الموت يقتضي الحياة فتحيون و لا موت بعد هذا ابداً. ثم اليه ترجعون الرجوع الى الله هو الاتصال به سبحانه.

و انما اعترتكم هذه الاطوار لاهمية الرجوع الى الله، و لاتصال به. ولا تظهر اهمية هذا الامر الا بصورة الخلافة.

قوله تعالى:- هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾

السماوات والارضون لم تخلق الا للانسانية ومنفعتها وليقيم الانسان الخلافة فيهما لانه لا يظهر جلال الله وعظمته الا بقيام الخلافة فيهما

قوله:- وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَآءَ ۚ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾

الملائكة نسبت سفك الدماء الى اولاد ادم لا الى ادم عليه السلام نفسه- وقد اراد الله سبحانه امتحان الملائكة بان يذكروا اولاد آدم المقصود من خلق كل فرد منهم لان المقصود من خلق كل واحد منهم هو اقامة خلافة في ارضه-

قوله:- وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَآءِ هٰٓؤُلَآءِ إِنْ كُنْتُمْ صٰدِقِينَ ﴿٣١﴾

اولاد ادم عرضوا على الملائكة ثم قال الله للملائكة انبئوني باسماء هؤلاء فلم تعرفهم الملائكة ولذلك لم يستحقوا ان يكونوا خلفاء في الارض عليهم

قوله:- قَالُوا سُبْحٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ اِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا اِنَّكَ اَنْتَ الْعَلِيْمُ الْحَكِيْمُ ﴿٣٢﴾

اظهروا بذلك عجزهم وعدم معرفتهم لهم.

قوله:- قَالَ يٰٓاٰدَمُ اَنْبِئْهُمْ بِاَسْمَآئِهِمْ فَلَمَّآ اَنْبَاَهُمْ بِاَسْمَآئِهِمْ قَالَ اَلَمْ اَقُلْ لَّكُمْ اِنِّيْٓ اَعْلَمُ غَيْبَ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ وَاَعْلَمُ مَا تُبْدُوْنَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُوْنَ ﴿٣٣﴾

انبأهم آدم باسمائهم فقال هذا نجار وهذا حداد وهذا بناء وهذا تاجر مثلاً وكان آدم عليه السلام يعرفهم بطبيعته وبمقتضاها واما الملائكة فلم تكن تعرفهم. وعلى نظريتنا هذه تنحل مشاكل كثيرة مما يذكرها المفسرون ويجيبون عنها باجوبة لا طائل تحتها وربما هان بذلك امر القرآن عندهم وذهب وقاره وشرفه من صدورهم.

قوله:- وَاِذْ قُلْنَا لِلْمَلٰٓئِكَةِ اسْجُدُوْا لِاٰدَمَ

هذا الامر كان لاعلان خلافة آدم على الارض ولم يكن السجود الا للتجلي القائم على قلب آدم عليه السلام. وبعد ان سجدت الملائكة لآدم صارت تعمل في الأرض بأمره وكانت اطاعة آدم اطاعة الله جل وعلا. وليس المراد بالملائكة هنا جميع الملائكة كما يتبادر الى الذهن وانما المراد هم الملأ السافل فقط. وقد عيّن ذلك

الامام ولي الله في كتابه (الخير الكثير)[1] مخالفا للمتكلمين جميعا لانه لا يرى وجوب موافقة المتكلمين على هذه المسائل و قد صرح بهذا في مقدمة حجة الله. و مع ذلك كان يداري اهل زمانه احيانا ويتكلف التأويل لموافقتهم وذلك لعدم صبر اهل زمانه على مخالفة المتكلمين المتقدمين ولذلك قال في بعض مؤلفاته[2] ان ملائكة الملأ الاعلى تمثلوا بالملأ السافل عند الأمر بالسجود للملائكة. وسجدوا فصار السجود من جميع الملائكة.

قوله:- فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ

مع الملأ السافل جنس من المخلوقات تشبه النسمة الحيوانية التي في بدن الانسان وهذه النسمة تستمد من ذلك المخلوق مثل استمداده من المثال كما ان البدن يستفيد من العناصر. وهذه المخلوقات هي الجن وهي في عالم المثال. وقد كانوا مأمورين بالسجود مع الملأ السافل فسجدوا الاصنف منهم وهم الابالسة.

وتحقيق هذا يحتاج الى مقدمة:-

وهي ان الانسان مركب من الحيوانية والملكية فطائفة من الحيوانات توافق الحيوانية المنضمة في وجود الانسان. وطائفة من

---

[1] قال الامام ولي الله:- و اما سجود الملائكة لآدم عليه السلام فانما كان عندنا من العنصريين الذين منهم ابليس لا الفلكيين الخ. راجع الخير الكثير صفحة ٣٣.

[2] قلت المراد منه كتابه تأويل الاحاديث. كتب فيه:- ان الملائكة العنصريين والسفلية أمروا بان يسجدوا لآدم بانفسهم وأمر الملائكة الملأ الأعلى بان يسجدوا له باشباحهم الخ. راجع تأويل الاحاديث صفحة ١٠. ابوسعيد السندي.

الحيوانات تضاد الانسان. مثلا الحيات لحومها تضر الانسان و تفكك بنيته وهذه الحيوانات لاتصلح ان تكون عضوا في الادارة الانسانية ولذلك وكل ادارة تلك الحيوانات الى نوع من الجن المشابه للملا السافل وهذا النوع من الجن هوالذي لم يسجد لادم.

وصنف من الجن يدبرالحيوانات التي توافق الحيوانية المنضمة في الانسان هؤلاء سجدوا مع الملا السافل.

قوله:- أَبٰى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكٰفِرِيْنَ ﴿٣٤﴾

ابليس كان من الكافرين لخلافة ادم واما كفره بالله فليس بظاهر فانه انما كان ينازع ادم في خلافته ويؤثر في نسمة بني ادم بواسطة وسوسته في بعض انواع الجن ويلقي الوسواس في قلوب بعض الحيوانات حتى يضر الانسان. والانسان يفكر دائما في الخلاص منه.

قوله تعالى:- وَقُلْنَا يٰاٰدَمُ اسْكُنْ اَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُوْنَا مِنَ الظّٰلِمِيْنَ ﴿٣٥﴾

الجنة التي كان يسكنها ادم وزوجه كانت جنة ارضية لان حالتهما كانت تشبه الطفولية فانهما لم يكونا قادرين على كسب معيشتهما والجري وراء حاجاتهما ولذلك قيل لهما وكلا منها رغدا حيث شئتما. وكانت الجنة بالنسبة لهما شبيهة بارضاع الام لاطفالها. ولما كان فطام الاولاد

ضروريا كذلك كان خروجهما من الجنة ضروريا مقررًا وكما ان الاطفال لا تترك الرضاعة بانفسهم وبطيبة نفس منهم حتى تستعمل الأُمّ شيئًا مُرًّا في ثديها كذلك ادم وزوجه لم يكونا يحبان الخروج من الجنة فاستعمل الله ابليس كما تستعمل الام اشياء مُرّةً في ثديها عند فطام الاطفال.

ثم ان صورة استعمال الله ابليس غير صورة استعمال الأُمِّ الدواء المُرّ مثلا. وتفصيل ذلك على نظريتي ان بقائهما في الجنة كان مقررًا الى ان يضاجع ادم حواء فانه اذا بلغا الحُلُم يشتهيان الوقاع بطبيعتهما ولا يهتديان الى الوصول الى كيفية ذلك سبيلًا لانهما كانا امثال صبيان لم يخلطوا صبيان مثلهم قطُّ وهؤلاء الصبيان يتصورون امورًا ولكنهم لا يهتدون الى تحصيل تلك الامور طريقا.

وقد رأينا نحن امثال ذلك كثيرًا وان كان يندر ذلك في المجتمعات الانسانية او المدن والقرى.

اما الصحاري والبداوة وبيوت المنقطعين عن المجتمعات الكبيرة او البيوت التي لا تدع اولادهم ان يخالطوا اولاد الآخرين مثلًا فانه يكثر فيهم مثل هذه البلادة والغباوة.

وقد اتى ابليس بجنيه وواقعها خارج الجنة ورأ هما ادم وحواء ثم وسوس في صدورهما بان يفعلا ذلك الفعل ففعلا فاخرجا من الجنة.

ثم ان الوقاع تمثل في جهنم بشجرة لانه كما ان الشجرة تثمر في كل مدة من الزمن كذلك الوقاع يثمر كل مدة من الزمن[1]. وقد تخيل

[1] ماذا كانت الشجرة؟ لقد قيل في ذلك ما قيل في التفاسير ولكن لا سند له من كتاب ولا سنة صحيحة. والله اعلم.

ابو محمد السندي

ابليس واشار الى الشجرة وقال لهما انهما يستطيعان ان يفعلا ذلك فاكلا من الشجرة. وقد كانت قوة ادم وحواء تامة ومتوفرة كما تكون قوة الشباب التام ولذلك تمكنا من الوقاع تمكنًا تامًا فصار فعلهما ذلك سببا لاخراجهما من الجنة كما نصير المرارة مثلًا في ثدي الام سببا لترك الطفل الرضيع الرضاعة وعلما انه لم يخرجهما من الجنة الا فعلهما فلم يلوما الا انفسهما.

قوله تعالىٰ:- فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ص

فان الشيطان قد كان هيأ الدواء المرّ للفطام مثل الأم ولذلك نسب اليه ذلك.

قوله:- وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ج وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَّمَتَاعٌ إِلٰى حِينٍ ﴿٣٦﴾

هذا القول من الله صار سبب انبعاث قوة الاحتراز والحفاظ في انفسهم لانفسهم. وهذا الانبعاث هو اساس كل الارتفاقات الارتفاعية في الانسان.

قوله:- فَتَلَقّٰى اٰدَمُ مِنْ رَّبِّهٖ كَلِمٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ط اِنَّهٗ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيْمُ ﴿٣٧﴾

فعل ادم هذا الذي صار سببًا لاخراجهما من الجنة لم يكن

معصية وان كانت صورة الفعل صورة معصية. لان ذلك كان من مقتضي فطرة الانسان. بل كان فعله ذلك تكميلا لما قدّ قدّره الله عليه ولأن الانسان لا يستطيع ان يتذكر شيئا من العهود والمواثيق في حال تغلب الشهوة على ترك الجماع. ولذلك افهمه الله ان فعله هذا لم يكن جرما يؤاخذ به مؤاخذة سيئة. وانما هو ابتداء دور جديد ونشأة مستأنفة وهداه ايضا الى ان يفعل اشياء صالحة له.

ولما كان ادم اجمال بنيه وعنوانا للصورة الانسانية صار جميع ما جرى عليه شريعة للانسانية بعده.

قوله:- قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا

اي باولادكما مع اولادكما ويقع لهم ما وقع لكما وربما يرجعون مايضرهم ولاينفعهم ومع ذلك يرحمهم الله ويهديهم الى العمل الصالح اما بالقاء الهامات في قلوبهم او قلوب الاذكياء منهم.

قوله:- فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾

قوله فمن تبع الاية. اي فمن تبع هداي منهم فانهم يترقون حتى يصيرون خلفاء الله في ارضه.

قوله:- وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٣٩﴾

اي من تراجع ولم يتقدم الى ان يكون خليفة الله في ارضه يصير مع ابليس وجنوده والحيوانات الضارة الخبيثة فيتأذي منها في جهنم خلداً. هذا الاساس قد الهمه الله آدم عليه السلام وعلم اولاده بعده الارتقاء الى الخلافة العالمية ثم جاء القرآن الحكيم لاتمام ذلك الالهام فكيف تكفرون به. ارجعوا الى ماجبلتكم وفطرتكم السيمة. وفي هذا تنبيه الى ما في جبلتهم السليمة -

ومقصد القرآن الحكيم هو قيام خلافة في ارض الله على يد المتقين بنوره وهدايته بطريق تمركز الجماعة القائمة على هداية القرآن فهل في استطاعة كتاب من الكتب السابقة تكوين جماعة تقوم باعباء الخلافة لامة من الامم؛ فاذا لايمكن ذلك نان القرآن العظيم هداية للمتقين وهذا هو ثبوت لحقية القرآن.

هذه خلاصة ماقرأناه الى آية (٣٩).

ومن آية (٤٠) الى (١٥٠) مذاكرات مع بني اسرائيل ومن (١٥٠) الى اخر السورة بيان وتفصيل لنظام اقامة الخلافة كان من اول السورة الى آية (٣٩) اجمال لهذا التفصيل. اما من آية (٤٠) الى (١٥٠) فانها كجملة معترضة. وكنت لا افهم ربطها بما قبلها وبما بعدها الى ان وقعت على كتاب لبعض من تنصر من الهندو فرأيت صاحبه قال فيه انه لاحاجة الى القرآن مع وجود التوراة والأناجيل فانها كافية لهداية الناس. وقد نبهت من ذلك الكتاب على الحاجة الى القرآن وان التوراة والاناجيل غير كافية وانها ليست مفيدة. فجعلت الآيات التي كنت جعلتها كجملة معترضة عنوانا الحاجة الانسانية الى القرآن.

وقد ذكر الله سبحانه بني اسرائيل قبائح اعمالهم التي ارتكبوها او كفرهم بنعمة الله التي اعطوها في ثلاث فصول. ولبتدأ كل فصل بقوله يا بني اسرائيل الخ.

وقد نبه نبي اسرائيل في الفصل الاول تنبيها لطيفا باصول الخطيئات من بني اسرائيل. وبين لهم ان كل امة تكون متلبسة بها لم تستحق ان تتقدم على الامم. وقد كانت تلك الاصول في بني اسرائيل متاصلة لا ينكرها الامن لم يؤمن بقبحها و لم يلتفت اليها.

وقد خاطب الله بني اسرائيل بتذكيرهم النعم التي أوتوها. ونحن نعرف من القران ان المراد من النعمة في لغته هو العلم والحكمة والنظام والقانون ثم الحكم على وفق ذلك العلم والحكمة (وليس الحكم على وفق ذلك العلم والحكمة منسوبا الا الى الله عزّوجلّ) ثم اذا قضيت حاجات افراد تلك الامة التي اعطيت ذلك من غير مشقة وكلفة، واجتمع فيها هذه الصفات (وهي الحكم على وفق حكم الله و قضاء حاجاتها بالطريقة التي ذكرناها) قيل في لغة القرآن ان الله جلّ وعلا انعم عليها فبنو اسرائيل قد كان الله انعم عليهم مثل ماذكر في زمن من الازمان كزمن موسى وداود وسليمان عليهم السلام.

قوله:- يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ﴿٤٠﴾

بنو اسرآءيل في ذلك العصر لم يكن يعادلهم امة من الامم

بل كانت الامم تتخذهم اماماً وهذا الكتاب الذي جاء من عند الله هو كالمتن للحكمة والقانون وفيه تأكيد بليغ بأن تلك النعم لا تدوم فيكم الا اذا استقمتم على احكام الله. وقد جاء هذا ايضاً مراراً في كتب انبياء بني اسرائيل. فاذا ادعوا انهم يكونون ائمة للناس وان كتابهم كاف في ذلك ولا حاجة الى كتاب غيرهم. فانه يعلم الانسان بداهة انه يجب عليهم ان يعملوا بكتابهم وبما فيه وانه بدون استقامتهم على تلك الاحكام لا يستحقون التقدم. وتركهم جميع الاحكام لا يخفي على احد من العارفين باخبارهم.

قوله:- وَآمِنُوا بِمَا أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ

قد جاءت عندهم بشارة في كتبهم ببعث نبي من بني اسماعيل مثل موسى وهذه بشارة لاتزال موجودة الى اليوم في كتبهم وحيث انهم يدعون انهم على طريقة ابراهيم وملته يجب عليهم أن يومنوا بهذا النبي الذي بُعِث على حسب بشارة كتبهم لان جميع الانبياء كنبي واحد.

وقد اثبت هذا النبي حججه وبراهينه على نبوته والزمهم انهم تركوا العمل بكتبهم تماماً واخبرهم انه جاء لهداية الناس جميعاً والأخذ بيدهم الى التقدم.

وليس معنى ان القرآن مصدق لما معهم ان احكام القرآن جميعها مطابقة لاحكام التوراة كلها بالتفصيل كما يظنه العامة. بل معنى ذلك ان القرآن يصدق ما معهم من البشارة الموجودة الى اليوم في التوراة. واذا لم يؤمنوا على حسب تلك البشارة التي عندهم بخروج نبي من بني اسماعيل لم يكن الايمان منهم بذلك ولا الايمان بكتابهم.

اما مطابقة احكام القرآن لاحكام التوراة فأمر يرجع الى حكمة الاحكام. فان من اصول الاحكام لاتتبدل مادامت الفطرة الانسانية باقية ولاتتبدل الفطرة الانسانية مادامت السماوات والارضون قائمة ولم تبدل لأن بتسلسل من الاسباب السماوية والارضية وجدت الفطرة الانسانية على وجه الارض.

ثم ان بعض الاحكام لاتتبدل ابدًا وبعض الاحكام تكون لزمن مخصوص ولحالات مخصوصة فهي تتبدل في حياة النبي الذي جاء بها ولكن الحكم ببقاء احكام وتبديلها يرجع الى معرفة حكمة تلك الاحكام.

ولايجب على النبي المتأخران يوافق على جميع احكام النبي المتقدم الا في الاصول فقط ولذلك لايجب اتباع جميع احكام التوراة على اتباع القرآن وليس ذلك مرادًا في القرآن قطعًا. فاذا المراد بمصدق لما معهم هو تصديق مامعهم من البشارة.

قوله:- وَلَا تَكُونُوٓا۟ أَوَّلَ كَافِرٍۭ بِهِۦ

هذا الخطاب لاهل الكتاب من سكان المدينة. يقول الله لهم ان انتم كفرتم اولا فان بني اسماعيل يكفرون بعدكم اقتداء بكم فيكون إثم ذلك عليكم ايضًا.

تخصيص هذا الخطاب بيهود المدينة بديهي جدًا. ونحن نستعين بمثل هذا التخصيص في حل آيات سورة النساء اللاتي اشكلت على كثير من الناس، واختاروا العدم فهمهم لها وهي (يسألك اهل الكتاب ان تُنَزِّلَ عليهم كتابًا من السماء) ولاشك ان هذا السؤال لم يكن الامن جماعة من اهل الكتاب القاطنين بالمدينة. لا اهل الكتاب كلهم وبهذا

تنحل مشاكل كثيرة ، منها مشكلة :- وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن
به قبل موته" فان المراد باهل الكتاب هناهم يهود المدينة فقط. وفي
هذا ابشارة الى انه لا يبقي يهودي من يهود المدينة الا ويؤمن
بهذا النبي قبل موته اما ايمان بطيب نفس ينفعه واما بقهر فيسلم
جميع احكام النبي رغم انفه.

وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ ﴿٤١﴾

اذا انصرف اهل العلم بكليتهم وانشغلوا في مرافق الحياة الدنيا
تاركين احكام الله التي اذا عملوا بها نالوا النعم الجزيلة صدق عليهم
انهم اشتروا بآيات الله ثمنا قليلا.

وفي هذا تنبيه عظيم على وجود نقص واضح في اخلاق علماء
بني اسرائيل ايضا.

وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤٢﴾

الدين يشتمل على امورة مقصودة بالذات وعلى امور هي
وسائل وذرائع الى تلك الامورة المقصودة فمن جعل الذرائع و
الوسائل مقصودة بالذات فقد لبس الحق بالباطل كذلك الذي يجعل
المستحبات والسنن مثل الواجبات والفرائض ويخفي حقيقة المستحب
والسنن ويجعلها نسيا منسيا. مثل ذلك في بلادنا كان الامر الاهم والمقصود
بالذات هو تحرير الهند من الكفار والخلاص من العبودية ولكن غالب الناس
جعلوا ذلك نسيا منسيا سوى جماعة مخصوصة قليلة من اتباع الامام ولي الله
وجعلوا ذبح البقر من اهم امور دينهم ، ولم يفهموا ان ذبح البقر انما كان في
بداية الفتح الاسلامي للهند للتفريق بين المسلمين والهندو وكان كالوسيلة

للتغلب عليهم ولكن الناس نسوا ذٰلك وجعلوه كالفرض والواجب.

مثال اٰخر: اصل الدين عند جميع المسلمين هو القراٰن والاحاديث بمثابة الشروح والحواشي له وكذٰلك المنطق والنحو والصرف والمعاني والبديع والبيان وغيرها كاصول الفقه والحديث كلها وسائل وذرائع الى الوصول الى القراٰن ولكن الناس جعلوا هٰذه الاشياء كلها مقصودة بالذات وتركوا القراٰن الا فئة قليلة من اتباع الامام ولي الله. وهٰذا كتمان الحق ولبسه بالباطل. وقد كانت اليهود في عهد النبي صلى الله عليه وسلم على هٰذه الصفة.[1]

وَأَقِيمُوا الصَّلٰوةَ وَآتُوا الزَّكٰوةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرّٰاكِعِينَ ﴿٤٣﴾

الانبياء عليهم السلام يأتون بشرائع وقوانين للحصول على مقاصد الدين ويكون أساسها شيئين. الاول اقامة الصلٰوة لتمكين التوجه الى حظيرة القدس من كل فرد وللتدبر في الكتاب النازل اليهم.

الأساس الثاني هو ايتاء الزكٰوة ومقصده الاشتراك فى الارتفاقات الضرورية فان كل رجل لديه مال فاضل عن حاجاته يجب عليه ان ينفق من ذٰلك المال على المحتاجين وبالعمل بهٰذين الاصلين وتعميمها يصير محل الاجتماع معينًا.

المساجد والكنائس يصطف الناس فيهما صفوفًا لاداء الفرائض

---

[1] ذكر الامام ولي الله في فوز الكبير بعد بيان قبائح اليهود" وبالجملة فان شئت أن ترى انموذج اليهود فانظر الى علماء السوء من الذين يطلبون الدنيا وقد اعتادوا تقليد السلف، واعرضوا عن نصوص الكتاب والسنة وتمسكوا بتعمق عالم وتشدده واستحسانه فاعرضوا عن كلام الشارع المعصوم وتمسكوا بأحاديث موضوعة وتأويلات فاسدة كانت سبب هلاكهم. راجع الفوز الكبير ص ٩ طبع المنيرية بمصر.

ويذكرون الله بجماعة وهذان اصلان من اصول الشرائع لايجوز لاحد يتدين بدين تركهما. وقد كانت اليهود تكاسلوا في تعميم هذين الاصلين فنبههم الله على ذلك بقوله "اقيموا الصلوة واتوا الزكوة واركعوا مع الراكعين".

أَتَأْمُرُوْنَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُوْنَ الْكِتٰبَ ۭ أَفَلَا تَعْقِلُوْنَ ﴿٤٤﴾

لايمكن لمدرس ان يدرس كتابا الا بعد تعلمه جيدا كذلك لا ينبغي لداع ان يدعو الى خلق الا بعد ان يكون متخلقا به ولايحث الناس رجل على عمل من الاعمال الا بعد العمل به ومن فعل شيئا من ذلك مخالفا لتلك الشروط صدق عليه قوله أتأمرون الناس بالبر وتنسون انفسكم الآية وقد كانت اليهود ترتكب مثل هذه الاغلاط فنبههم عليها.

قوله تعالى:- **وَاسْتَعِيْنُوْا بِالصَّبْرِ وَالصَّلٰوةِ ۭ**

اذا اراد رجل ان يبدل حالته السيئة التي هو عليها وطريقته التي يسير عليها بحالة احسن منها وطريقة امثل من الاولى ويرجع عن الخطيئات التي ارتكبها والاغلاط التي كان عليها فانه يجد امامه مشاكل كثيرة وعوائق عديدة تصده عن ذلك وتمنعه عنه وربما نبذه الناس وقاطعوه فاختل نظام معيشته وصعب عليه تحصيل ضروريات حياته. وفي هذه الحالة ينبغي له ان يصبر على تلك المصائب ولايبالي بها ويستعين على ذلك بالصبر والصلوة لان الصبر على الحق هو الثبات، ووسيلة الرجوع الى الله هي الصلوة

وَإِنَّهَا لَكَبِيْرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخٰشِعِيْنَ ﴿٤٥﴾ الَّذِيْنَ يَظُنُّوْنَ أَنَّهُمْ مُّلٰقُوْا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رٰجِعُوْنَ ﴿٤٦﴾

اي ان الاستعانة بذلك صعب جدا ولكن يمكن تذليل ذلك وازالة صعـ

بالتمسك بالفلسفة العقلية التي تجبر الانسان على الرجوع الى الله في جميع الاحوال. والانسان مرغم الى الرجوع الى الله بفطرته ومحتاج اليه كاحتياجه الى الطعام والشراب سواء تدين او تزندق. فاذا فهم الانسان ذلك وصفا فكره ثم لقى رجلا له اتصال بالله وصحبه اولازمه واخذ عنه واطمأن قلبه بذلك فانه حينئذ يسهل عليه الاستعانة بالصبر والصلوة على مصائبه — وليس معنى ملازمة الواصلين بالله والاستعانة بالصبر والصلوة الا ايجاد جماعة تنصبغ بصبغ الواصلين بالله والكاملين فى الهداية — وفي هذا ارشاد لطيف الى ان يتوجه اليهود الى النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه ويتعلموا ذلك الخلق منهم ويرجعوا اهم عليه. وهذا الارشاد وان كان على وجه العموم الا اننا نعلم انه لم يكن من يدلهم الى الله والى الطريقة التي توصلهم اليه على وجه الارض الا لنبي واصحابه رضوان الله عليهم اجمعين.

وبذلك تم الفصل وتمت التنبيهات الاجمالية البديهية.

ويبتدي الفصل الثاني من اية ٤٧ وفيه تفصيل لما اجمل فى الفصل السابق. ثم هذا الفصل ينقسم الى ثلاثة عناوين. العنوان الاول في ان بني اسرائيل تعودوا على التمرد على الحق وعدم الرضوخ له من ايام عبوديتهم على يد الفراعنة ولايزال هذا المرض باقيا فيهم مع طول صحبتهم لموسى عليه السلام. والعنوان الثاني من الفصل الثاني في بيان ان بني اسرائيل مع رقيهم العظيم لم يشفوا من هذا المرض والنجاة من هذا العيب يظهر ذلك من احوالهم المختلفة و شئونهم المتضاربة. والعنوان الثالث من هذا الفصل في بيان انه

يجب على المسلمين اجتنابهم وعدم مخالطتهم وان لايرجو الخير منهم ومن مشاركتهم في حال من الاحوال ولاينبغي لهم ان يقتدوا بهم في امر من الامور.

وبعد هذا ياتى الفصل الثالث وهو في بيان تذكيرهم من كتبهم ونهى المسلمين عن موافقتهم بعد معرفة عنادهم ضد الحق وجزيهم على الباطل وهذا الفصل يبتدي من اية (١٢٢)

العنوان الأول من الفصل الثاني.

قوله تعالى:- يَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ اذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ الَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى الۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾

ذكر الله في هذه الأية النعم التي اعطيت بني اسراءيل اولاثم ذكرهم تفضيلهم على العالمين حيث لم تكن امة على وجه الارض اعلىٰ جاها واوفر سطوة وقوة من بني اسراءيل ولااحسن حكما و لاحكمة. وقد تبين بهذا معنى العالمين. وهي الامم والاقوام.

كنت ذكرت لرجل من الهندو فضل اليهود عليهم لان اليهود حفظوا تاريخهم ولم يحفظ الهندو ذلك فاقر ذلك الرجل واعترف. ثم قلت انه لم تحفظ امة من الامم تاريخها الا بني اسرائيل.

ثم العلوم والفنون لاتتكامل الابتلاحق الافكار من جماعات كثيرة في عصور مختلفة ولذا يجب حفظ التاريخ. فاذا عرفنا ان الامم لم تحفظ تاريخها سوى بني اسرائيل عرفنا انهم اكمل امة في تحقيق الدين.

تنبيه

ثم ازيد على ذلك واقول لم تتقدم امة بعد بني اسرائيل في تحقيق الاديان — وانا نتأسف على حالة بلادنا عموماً فانهم لا يتوجهون الى تحقيق التاريخ ولا الى تفسير الكتاب واهميته هذين الامرين في تحقيق الملة وتقويتها لا تخفى — ونحمد ربنا على وجود بذور صالحة لرقي هذين الامرين بوجود الامام ولي الله واتباعه.

قوله تعالى:- وَاتَّقُوا يَوْمًا لَّا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٨﴾

معنى. واتقوا. عندنا قدموا تقواكم ليوم لا يظهر فضلكم فيه الا على قدر التقوى. والتقوى هو اقامة العدل والاحسان وايتاء ذي القربى وقد علمنا بذلك ان مقصود الشرائع كلها هو امر واحد وهو اقامة العدل والتقوى هذه الآية مثبتة في القرآن ومكررة وجرت مباحث في ملتنا للاختلاف في تفسيرها فقوله لا يقبل منها شفاعة. عندنا الشفاعة بالاذن انما هي نتيجة اعمال الانسان فنفي الشفاعة يكون على ظاهره. وتحريف معنى الشفاعة يفسد اخلاق الانسان لان المسئولية الشخصية هي اساس الاخلاق. كل ماجاء به المتشرعون من الكفارة والشفاعة وغيرهما مردود بنص هذه الآية. ولا يسأم الرجل الحصيف الفطين من تأويل الروايات الصحيحة الواردة على خلاف مفهوم الآية الى مفهومها وتطبيقها. واني احب ان يكون طالب العلم متيقظاً في ذلك فان لم يمكنه تأويل تلك الروايات فليتوقف من قبولها ولا يجوز له ان يبطل مفهوم هذه الآية بوجه من الوجوه فانها من

المحكمات التي لا تتبدل مادامت السماوات والارض.

قد ذكرنا ان في حكمة الامام ولي الله. كلمة (العبد بالطبع)[1] واخرجنا من المجتمع الانساني والحقناه بالحيوانات. فكل رجل لا يحس ان تكون امور على مسئوليته الشخصية هو عبد بالطبع وقد ابطلنا مجتمعنا واجتماعيتنا بالتحكم والاستبداد على ابنائنا ونسائنا الى حد انهم نسوا شخصياتهم ونسوا ايضاً مسئولية انفسهم. واحكي هذا عن نفسي انا ايضاً ثم تنبهت ورجعت عن ذلك وارجوا لله ان يغفر لي. واحب ان يحاسب كل رجل نفسه بالدقة واحب كذلك ان اثبت الشخصيات ثم احكم عليهم.

رأينا بيوتاً فيها الفوضوية باكملها ورأيت ان لا يرجى الخير منها ابداً. واما بيتي فكان منظماً وكانت لي فيه حكومة مستبدة حتى ادى ذلك الى ابطال مسئولية الاشخاص التابعين لي. ثم تنبهت على الخطأ في سلب حقوقهم الشخصية والتسلط عليها بقهر فتركت لهم حريتهم ومسئوليتهم الشخصية وحكومتي قائمة عليهم على حالها. واحب ان يحاسب اهل الحل والعقد اعضاء بيوتهم محاسبة دقيقة فتكون حكومة البيت منظمة ولا تبطل المسئولية الشخصية. انا بحمد الله بعد اصلاحي لنفسي سررت جداً. انا تركت اهلي في بلادي وما عملت لهم برنامجاً لمستقبلهم لهجوم نوائب ولما ل عمومية ماتركت لنا فرصة لذلك. فرأيت كل واحد منهم قام بنفسه معتمداً على نفسه متوكلاً على ربه ونجح في ذلك. ثم رأيتهم يقرون يعترفون بحسن تربيتي لهم وكل ذلك فضل من الله سبحانه وهذه الاعتقادات (١) اعتقاد الكفارة (٢) اعتقاد الشفاعة و

[1] العبد بالطبع هو من لا يستبد بالمعاش لضعف همته انما شانه الاتباع و الانقياد وهذا الرجل لا يستريح البتة الا اذا وجد من يتبعه. راجع البدور البازغة صفـ ٦٠ . ابو سعيد السندي.

امثالها فانها تفسد المسئولية الشخصية انا اعتقد بالشفاعة ولكن اعتقد كذلك انها نتيجة اعمال الانسان التي لم تكتبها الحفظة ولم يطلع عليها الا الله وحده وهو لا يضيع عمل عامل ولو كان مثل حبة من خردل. يجازي على تلك الاعمال بان يأمر بعض الخواص الذين للعامل تعلق بهم بان يشفعوا له وهذا الاعتقاد في الشفاعة لا يبطل المسئولية الشخصية. وواجب على كل رجل ان يربي اولاده واتباعه على مسئوليتهم الشخصية وعلى مثل هذا الاعتقاد رأيت السياسيين والحكام المسلمين ورأيت سياسة اوربا التي هي ارقى السياسيات اليوم هذا الفرق بين السياستين احس به تمامًا ايضًا. ان سياسة اوربا لا تلغي مسئولية شخص من خادم الى وزير. واما المسلمون فلا يضمون معهم شخصًا الا اذا افنى شخصيته في شخصياتهم. رأيت مستوفي الممالك في كابل. رجل ذوفهم وذوصلاح كان يقول في ملأ اصحابه ان هو دخل الجنة فانا اكون معه ايضًا ان شاء الله. فكنت اتأسف على ذله وعجزه بعد تنبهه وتمام درايته. كان هذا امراقبًا علي ونقلني الى دائرة بيوته. وكنت كلما رأيت منه تعديا على شخصيتي وتجاوزًا عن حدود مسئوليتي صُحْتُ عليه رافعًا صوتي، "رُدَّني الى السجن فان ذلك اهون علي ولا اخاف من ذلك اما عملك هذا معي فلا اقبله ولا ارضى به."

وانا اعترف بفضله فاني كل ما انكرته عليه قبله مني فعرفت انه رجل مجرب يفهم الامور ولكنه مظلوم ومضغوط عليه من الامير.

وهكذا كان حال نادرخان مع الامير حبيب الله خان هذا انما ذكرته ليتنبه اهل الاسلام جميعًا. تم =

ترتقي الاجتماعيات الى اربع مدارج = (١) الاولى. الاجتماعية البدوية التي ليس فيها الا المسئولية الشخصية والاخلاق (٢) الثانية الاجتماعية القروية. (٣) الثالثة الاجتماعية المصرية (٤) الرابعة الاجتماعية الاممية ـ فبنوا اسرائيل بعد خروجهم من مصر وتحررهم من فرعون بقوا في تربية موسى وقد دربهم موسى على المراتب الاربعة و رباهم عليها.

فجعلنا على نظريتنا قوله :ـ واذ نجيناكم من آل فرعون في آية (٤٩) الى قوله لعلكم تشكرون في (٥٦) المرتبة الاولى من هٰذه المراتب الاربعة.

المرتبة الاولى من هٰذه المراتب الاربعة

الاخلاق قد يكون فيها تفريط وافراط فاذا جرب التلميذ كلا الامرين استطاع ان يحافظ على المتوسط بينهما. فالله ذكر في (٤٩-٥٠) انعام الله على بني اسرائيل فقال:

وَإِذْ نَجَّيْنٰكُم مِّنْ اٰلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِي ذٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنجَيْنٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ اٰلَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٠﴾ في هٰذا امتنان من الله وامر بان يحافظوا على ادراك الاحسان ثم يذكر الله بعد ذلك في (٥١) تفريطهم بقوله:ـ وَإِذْ وٰعَدْنَا مُوسٰىٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظٰلِمُونَ ﴿٥١﴾ وهٰذا كان تفريط منهم وكان يلزم ان لا يصدر منهم. ففي (٥٢) قال تعالى:ـ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم

مِّنْ بَعْدِ ذٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُوْنَ ﴿٥٢﴾ يعني اذا فهمتم معنى التفريط يجب ان لايكون ذٰلك منكم مرة اخرى هٰذا معنى الشكر ثم يذكر نعمة اخرى. وهي. وَاِذْ اٰتَيْنَا مُوْسَى الْكِتٰبَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُوْنَ ﴿٥٣﴾ في هٰذه النعمة الافراط وهٰذا في افراط (٥٣) ثم في (٥٤) ذكر انهم تهيئوا لقتل انفسهم وكان هٰذا تقدمًا منهم في مدارج الاحسان بعد ما اوتوا الكتٰب والفرقان. قال. وَاِذْ قَالَ مُوْسٰى لِقَوْمِهٖ يٰقَوْمِ اِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ اَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوْبُوْآ اِلٰى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوْآ اَنْفُسَكُمْ ذٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ اِنَّهٗ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيْمُ ﴿٥٤﴾ يعني اذا قمتم بما امر الله به يغفر لكم. ويأتي بعد هٰذا ذكر افراطهم في الاحسان في (٥٥) قال تعالىٰ حاكيًا عنهم. وَاِذْ قُلْتُمْ يٰمُوْسٰى لَنْ نُّؤْمِنَ لَكَ حَتّٰى نَرَى اللّٰهَ جَهْرَةً فَاَخَذَتْكُمُ الصّٰعِقَةُ وَاَنْتُمْ تَنْظُرُوْنَ ﴿٥٥﴾ هٰذا هو الافراط وفي (٥٦) قال. ثُمَّ بَعَثْنٰكُمْ مِّنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُوْنَ ﴿٥٦﴾ اي لاتعودوا مرة ثانية في الافراط. انظر الى وحدة الكلمة وهي لعلكم تشكرون في التفريط والافراط في اٰية (٥٢) وفي اٰية (٥٦) معًا.

هٰذه كانت اجتماعية بدوية لتهذيب الاخلاق واصلاحها ويظهر ذٰلك من اٰية (٥٧) قوله تعالىٰ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَاَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوٰى كُلُوْا مِنْ طَيِّبٰتِ مَا رَزَقْنٰكُمْ وَمَا ظَلَمُوْنَا وَلٰكِنْ كَانُوْآ اَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُوْنَ ﴿٥٧﴾

هٰذه الاٰية صريحة في انهم كانوا في الصحارى. وفي اٰخر الاٰية جملة

وهي ماظلمونا الخ. انهم لم يكملوا المرتبة الاولى من المراتب الاربعة
كما ينبغي وبهذا تم الدور الاول ويبتدئ الدور الثاني من آيه (٥٨)
قوله:- وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هٰذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا
حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَّادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَّقُولُوا
حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطٰيٰكُمْ ۚ وَسَنَزِيْدُ الْمُحْسِنِيْنَ ﴿٥٨﴾

بنوا اسرائيل ما تقيدوا بهذا التشريع وهو ادخلوا الباب سجدًا
ومعنى ذلك صلوا صلاة واحدة وقت دخولكم القرية. تقارب الزمان
فى الحال وذى الحال يكفي عندنا ولذلك اذا فرغوا من الصلوٰة يدخلون
القرية حالا على الفور من غير تأخر ما. ولا حاجة الى بعض خزعبلات
بعض النحاة في اثبات وحدة الزمان للحال وذى الحال. وانما امروا
بالصلوٰة عند دخولهم القرية لان البدو اذا دخلوا قرية فان طبيعتهم
ربما تجبرهم على اكل شيئ ما زيادة عن اللزوم والحاجة. فاذا وقفوا على الباب
قليلا وذكروا ربهم وجدوا له تعتدل طبيعتهم وتزول الشراهة من نفوسهم
بحسن التوجه الى الله عزوجل ثم امروا. (وقولوا حطة) امروا ان يقولوا
حطة حطة طول اقامتهم فى القرية ومعنى (حطة) عندنا رب
اغفر. هذا الامر كان لتوجيههم الى الرب ولينصرفوا عن المأكولات و
يصرفوا نظرهم عنها ولئلا يأكلوا زيادة عن قدر الحاجة ويرضون بذلك.
وكان هذا امثل ما يأمر الانسان الطفل عند الاكل ان يغسل يده و
ان يسمي الله فاذا جلس على الاكل حدثه بحكاية ظريفة الهاه بها عن
زيادة الاكل عن اللزوم وصرفه بها عن لذة الطعام والشراب. فاذا

خالف ذلك يومًا ما ، انصرف الى الأكل واصابته تخمة ومرض عرف
قدر التشريع وفهم ان نفعه انما هو راجع الينا فقط .

وبهذا ظهر معنى قوله (وادخلوا الباب سجدًا وقولوا حِطّة
نغفر لكم خطاياكم وسنزيد المحسنين) فان من التزم القانون و
حافظ على النظام يكون في احسن حال وهو بطبيعته يستزيد مثل
ذلك في كل اموره .

هذا التقييد كان في طعامهم . ويتدرج منه الفطين الى تقييدات
في نومه ويقظته وفلاحته ثم في جميع احواله الشخصية يريد ان يستوي معطا. نفع
ثم قوله :- فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ
فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا
يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾ في هذه الآية اشارة الى انهم ما اكلوا هذه الدرجة ع
ايضًا كما ينبغي فاكلوا اكلات بشراهة سببت التخمة . ثم الاسهال .

والعجب من المفسرين فانهم يقولون انهم امروا بان يقولوا حطة
فقالوا حِنطة يعني انهم بدلوا كلمة بكلمة اخرى ولو يفهموا ان المراد
بذلك انهم انما تركوا القانون فقط . وبذلك تم الدور الثاني .

ثم عند الانتقال من القرية الى المدينة يمرون من الصحارى
لان القرية لم تكن متصلة بالمدينة وكان الغرض من مرورهم من الصحراء
امتحانهم هل هم محافظون على الدرجة الأولى ام لا .

ثمّ زادهم في هذه المرة عند مرورهم من الصحراء قانونًا آخر على ما
كان عندهم . وهو تقسيم الامر المشترك بينهم بالعدل : عندما وقعت
لهم واقعة فقدان الماء ، فاستسقوا فضرب موسى بعصاه حجرًا بامر

الله فنبعت عيون باذن الله على قدر عدد اسباط بني اسرائيل، وكانت كل عين على حسب كفاية عدد افراد كل سبط فكانت عيون صغيرة و عيون كبيرة وعيون متوسطة بينهما فاقتسموا العيون على حسب كفايتهم كل سبط اخذما يكفيه من غير اي نزاع وكان ذلك بقوة عدلهم وانصافهم وهذا معنى قوله تعالى:- وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ ۖ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۖ

واتضح لهم في ذلك التقسيم انهم ان جاروا فيه يخسرون جميعًا. واستنبط من عملهم هذا قاعدة وهي.

قوله:- كُلُوا وَاشْرَبُوا مِن رِّزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾

وهو ان كل ما يوجد في الارض من الطيبات واستطابه الانسان هو رزق من الله حلال اكله وشربه بشرط واحد وهو ان لا يمنع ذلك عن محتاج اليه الذي هو اولى بذلك من غيره والى ذلك يشير قوله ولا تعثوا في الارض مفسدين. فان الجور في التقسيم هو الفساد الذي لا بعده فساد. والحكمة الاجتماعية توجب ان يعطوا المحتاج ما احتاج اليه ولا يفسدوا.

المرتبة الثالثة الاجتماعية المصرية

هذه الاجتماعية تتكون بازدياد حاجاتهم وتكثيرها وتكون باقتضاء الطبيعة ويكون في هذه الاجتماعية منافع ومضار متبادلة فاذا

لم تكن هٰذه الاجتماعية طبيعية ويصبروا على مضار الاجتماعية بطبيعتهم فانهم يعودون الى البداوة فوراً. ولما كانوا لايجدون فى البادية ما يجدون من المنافع فى المدينة يختارون المدينة على البادية ويرجحونها لتلك المنافع ويصبرون على تلك المضرات بطبيعتهم والى ذٰلك يشير قوله تعالىٰ:- وَإِذْ قُلْتُمْ يٰمُوسٰى لَن نَّصْبِرَ عَلٰى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا

طلبهم هٰذا كان باقتضاء طبيعتهم. والحياة فى البادية تكون بسيطة لايكون فيها مضرات كثيرة. كل رجل منهم امره بيده. واما المدينة ففيها تقيد بالقوانين الاجتماعية ولما اثروا المدينة التي فيها تقيد وسلب الحرية. والحرية خير من التقيدات بالنسبة لهم قيل لهم. قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنٰى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ

ولما اصروا على طلبهم واختاروا التقيد بالقوانين الاجتماعية على الحرية التي كانوا اعتادوها فى البادية قيل لهم اِهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ

هٰذه المرتبة من الاجتماعية لم يكملوها ايضاً كما ينبغي. لأن عادتهم كانت العصيان والعدوان. العصيان هو التفريط. والعدوان هو الافراط وهٰذا التفريط والافراط صارا عادة لهم وديدنا فانتج ذٰلك الكفر بآيات الله وقتل الانبياء بغير حق. ثم كانت نتيجة ذٰلك الفعل غضب من الله. ثم لما استمروا على فعلهم ذٰلك ايضاً ضربت عليهم الذلة والمسكنة، اي سلبت منهم الحكومة — هٰذا التسلسل فى الاسباب والنتائج كان في دهور بعد موسٰى عليه السلام وكان بذر كل ذٰلك هو العصيان والعدوان الذين

اعتادوها في المراتب الاجتماعية الثلاثة. ويشير الى ذلك قوله :-

وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَآءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾ ٤

هذا الاجتماع في المصر او المدينة هو معنى القومية. ثم انه ليس معنى ماقلنا ان كل افراد هذا الاجتماع خرجوا عن حد الاعتدال بل الحكم على الغالب منهم في امر تفويض الحكومة اليهم فانهم فقدوا الاستعداد لذلك. واما ما يرجع الى تشخصيات الافراد فمن لم يظلم اويعين عليه بمال فهو ناج بلاشك اذا وقعت مصيبة عامة مثلاً فان الله ينجيهم منها بتدبير خاص في ذلك المكان واما في الآخرة فنجاتهم محققة ايضاً - ومثل هذا الامتياز للافراد المحقين ليس بخاص بقوم اوملة بل هو من النواميس العامة التي لاتتبدل. والى ذلك يشير قوله. ان الذين امنوا الآية (٦٢)

المرتبة الرابعة من المراتب الاربعة

قوله:- إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَىٰ وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾

في هذا الحكم جميع الملل و الاديان سواء لاتختلف في هذا ملة دون ملة اودين دون دين فالذين امنوا هم المسلمون واجمل بمقابلهم كلمة واحدة تشتمل جميع اديان الدنيا الصابئة وقد علمنا من القرآن

الكريم ان الانذار للانسان من حظيرة القدس شمل كل ملة. والنذرون
اما انبياء او محدثون في حكم الانبياء. وليس في الارض امة الا وفيهم انبياء
اما بالمعنى الاول او بالمعنى الثاني - ولا يشك الناس ان في الشرق ملة
مجوس ايران ولها عظمتها التاريخية وفي هذه العظمة التاريخية تشتمل توران
في ضمنها ايضاً - فعلى رواية الفردوسي كان لافريدون ولدان احدهما
يسمى (ايرج) تولى ايران. وثانيهما (تور) تولى توران. والترك عندنا منسوبون
الى (تور) اما دينا واما حكومة فايرج و تور اذا كانا شقيقين فايران و
توران شقيقتان وكانت المجوسية فاشية فيهما سواء بسواء.

واما ما نسب اليها من العيوب بعد نكبتها على يد بعض المحرفين لها
وصارت المجوسية مشهورة بها فليس شيء من ذلك من اصل شريعتها ولا يمكن
انكار عظمة الملة الايرانية فهل يمكن ان لا يكون فيهم نذير؟ وقد ذكر في آيات
بلفظ المجوس - ثم في الهند ديانة البرهمنية تشابه في شرائعها كثيراً
المجوسية واللسانان (الايراني والهندي) كانهما يتفرعان من اصل واحد
ومئات من الكلمات بل الالاف منها مشتركة بين الهندية والفارسية.

ثم ان الهند مع عظمتها هل يمكن ان لا يكون فيها نذير؟ وقد
انشعبت من الهندية الديانة السمنية وعمت شرق الارض كله الصين
وتوران وايران حتى الى بلاد اليونان وهذه الامم الكثيرة. [illegible] تهل
يمكن ان لا يكون فيها نذير؟ فعندنا كلمة الصابئة تجمع جميع هذه الامم
وملل - ذكر ابن الاثير في كامله ان ايران واله[illegible] وكذلك الامم واليونان
قبل تنصرهم كانوا صابئة. فترى من هذا ان [illegible] الاثير يفهم حقيقة الامر
ورأيت رجال الاليس في امكانهم تنظيم قرينة يحكمون [illegible] الامم بانهم لا يعرف[illegible]

دينًا من الاديان ابدًا۔ فكل رجل محق لم يدخل في الاجتماعيات الباطلة الظالمة من اي دين كان ذلك الرجل فان حكمه سواء في جميع الملل سواء كان ذلك الرجل مسلمًا او يهوديًا او نصرانيًا او صابئيًا او مجوسيًا.

كنت اقرئ في ديوبند ترجمة القرآن ولما وصلت الى هذه الآية فسرتها هكذا فنزل علي بعضهم غضبه مثل الصاعقة (وكنت افهم ان الناس لا يختلفون في ذلك) ولكن بالتدريج هدأ غضبهم وسكن. وبذلك تم الدور الثالث.

الدور الرابع ويشير اليه في (٦٣ = ٦٤)

قوله:- وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٤﴾

في هذا اشارة الى ما آتاهم الله من القانون الذي يجمع الامم ويحصل لهم به الاجتماعية العالمية ولذلك قال لهم (خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه) يعني اذا عملتم بالاستنباط فان الامم الاخرى تجد فيه مسلغًا لدخولهم فيكم ويسعهم القانون.

واخذ منهم الميثاق رافعًا فوقهم الطور. وقد اختلف المفسرون في رفع الطور ونحن لا نلتفت الى مثل هذه الاشياء ولكن طلبة العلم يحتاجون احيانا الى حل هذه المشاكل فلذلك وضعنا نظرية خاصة. وهي ان صخرة كبيرة من جبل مثلًا تكون ظلة على قرية اذا كانت القرية مثلًا قريبة من الجبل ويكون جانب من الصخرة متصلة من الجبل فيتصورون

المارون من تحت الجبل ان الصخرة ربما تسقط عليهم. ومن رأى البلاد الجبلية كالحجاز مثلاً يرى فيها الصخار الكبار جانب منها لاصق واكثرها كانه ظلة ليس فيه ما يثبته على الجبل فيجوز ان يكون الله اوقفهم عند مثل هذه الصخار وقال لهم خذوا ما آتيناكم بقوة والاسقطت الصخرة عليكم وهلكتم اجمعين — وقد كان هذا التصوير مفهوم انهم ان تركوا الدين ماتوا. وان الدين سبب حياتهم وقد كان في الدين صلاحية تعميه على الانسانية كلها كما اشار اليه الآية السابقة وهي من آمن منهم بالله واليوم الآخر وعمل صالحًا فلهم اجرهم عند ربهم.

قوله تعالى:- ثم توليتم من بعد ذلك فلولا فضل الله عليكم ورحمته لكنتم من الخاسرين.

ذكر الله في هذه الآية انهم ما اكملوا هذه الدرجة ايضًا.

الدين العمومي لا يوضع له قانون الاعلى قدر الحاجة والضرورة فاذا دخلت امة مثلاً فيه يفقه اذكياءهم في اصل الدين ثم يفوض اليهم وضع قانون لملتهم — فهذا الذي يضع القانون كما كنا نسميه فقيها نسميه الآن حكيمًا. ولتحديد عين المقصود من الشريعة يجب ان يكون الحكيم يقظا ونبيهًا فاذا رأى الناس لا يصلون بذلك القانون الذي وضعه الى المقصود اصلحه او بدله حسب الحاجة ووضع قانونًا جديدًا. وفي (٦٥-٦٦) اشارة الى ذلك قوله تعالى:- وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ (٦٥) فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ (٦٦)

التعدي في السبت اخرجهم من الانسانية وادخلهم في الحيوانية. الفرق

بين الانسان والحيوان هو اتباع القانون الانسان يتقيد بالقانون و الحيوان لايتقيد. تركوا القانون فصاروا قردة فان الانسان اذا انحط عن الانسانية فاول حيوان يلحق به هو القرد.

لي مطالعة خاصة لكن لا ادري هل الناس يقدرون قدرها ام لا وهي ان القانون انما ينشأ في الانسان التام بعد الاجتماع. واما ما يضعه الفرد بنفسه لنفسه فيسمى ذلك بالاخلاق. فاذا اجتمع شخصان فاصطلحا على أمر فان ذلك يسمى قانونًا. وينشأ القانون الطبيعي بين الرجل والمرأة بصورة معاهدة حيوية نسميها نحن نكاحًا. ويكون اساس هذه المعاهدة على القوة الحيوانية التي نسميها بالوقاع وهو الوقاع الخاص بالانسانية الذي يسير معه في كل ادوار حياته. وهو عدم اشتراك كثيرين في امرأة واحدة في زمن واحد وعدم التمتع بالذكران: هذا النكاح المتكامل في الانسان هو مصدر القانون الاجتماعي — فاذا ابطلنا تخصيص رجل بامرأة وجوزنا الاشتراك على الموطوءة في زمن واحد فالحيوان الذي نجده يمثل ذلك هو الخنزير. والحيوان الذى يمثل المستمتع بالذكران هو القرد رأينا الأمم المنحطة قد جعل الله منهم القردة والخنازير فانهم ابطلوا صورتي الوقاع الانساني — وقد يحدث في بعض الافراد لعصيانهم اثار الحيوان المطرود ليكون اية للعبرة والتبصر وليس ذلك بمستبعد عندنا.

ثم هذا ايقاظ للقوة القانونية المختفية في الانسانية. تم.

(٢) الثاني اتصاله بحظيرة القدس ليفهم المعاني المقصودة في الانسانية ويكون الاتصال بحظيرة القدس بصورة تجلي الالهي على الحجر البهت لذلك الانسان ويفهم اثر نزول التجلي اذا صدر من التجلي امر وكان تاثيره

مثل تاثير ارادة الحق (انما امره اذا اراد شيئًا ان يقول له كن فيكون)
صفة احياء الاموات خاص بالله عزوجل ثم إذا رأيتم يصدر من لسان
رجل كلمة يحيي الميت فأيقنوا ان التجلي نزل على قلبه.

الانبياء يتصلون بحظيرة القدس فيتكلم الله على لسانهم ويعرف الحواريون
تلك الآيات ثم الانبياء والمرسلون الذين يكونون من اولى العزم من الرسل
يتركون في حواريهم من تلك القوة ما يمكنهم بها على استنزال التجلي في قلب
رجل منهم ولو احيانًا. فيوقنون اذا رأو تلك الآيات بأن الله معهم فيعملون
بامر الله اعمالا تنفع الامم. واذا سلبت منهم تلك القوة يعرفون ان القانون
بقي بلا معنى. وحالتهم وحالة المغفلين من الناس الذين ليس لهم اتصال
بحظيرة القدس سواء — وتلك الاعمال الحسنة كلها نتيجة الاحسان
الذي هو جزء من التقوى نعرف في الانجيل كلمة من عيسى عليه السلام قال
لو كان فيكم ايمان مثل حبة من خردل لاحييتم الاموات مثلي او جملة نحو هذه.

والمقصود ان الانبياء العظام ان لم يقدروا على تكميل اصحابهم بايصالهم
الى حظيرة القدس فانهم لما أتوا بنعمة تامة للانسانية. فان اكثر الناس
الذين تركوا على تربية ناقصة عبدوا أنبياءهم لانهم لم يجعلوهم بشرًا مثلهم
واذا تكاملوا ورأوا ربهم على حسب استعدادهم عرفوا عظمة الانبياء
من غير ان يرفعوهم عن مرتبة البشر. هذه المقدمة نريد ان نؤول بها قصة
البقرة. اذا توجهت جماعة من الصالحين الى نقطة معينة تحدث فيها
قوة لانزال التجلي الالهي وهذا اسهل بالنسبة الى رجل كامل.

شريعة الاستسقاء معروفة وهي نوع من الاتصال بالتجلي لانزال المطر
يجتمع الصالحون ويتوجهون الى نقطة معينة فينزل اليهم الرب ويأمر

بنزول المطر۔ نحن نفهم مسألة التجلي بالتحقيق فنتحدث بها من غير إحجام و تردد في محاوراتنا عند الناس. واما عامة أهل العلم من جميع الأديان فانهم لا يقدرون على تحديد معنى التجلي ولذلك يتحاشون من استعمال كلمة حكمة التجلي في محاوراتهم ويقولون اذا اجتمع المسلمون الصالحون للاستسقاء انزل الله اليهم رحمته۔ ونحن نقول يتنزل الله اليهم برحمته. وليس بين العبارتين اختلاف عند التحقيق في المعنى.

فعلى نظريتنا خاصة ان موسى اراد ان يعلمهم طريق انزال رحمة الله ان احتاجوا يوما ما اليها لتأييدها في احياء الموتى. وذلك لا يمكن الا بتكميلهم في الاحسان۔ ولننظر الآن الى صورة الواقعة:

قال تعالى:۔ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً ۖ قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ (٦٧)

موسى قال لهم هذا اصدقة من غير ان يتعلق بهذا الامر شيء.

وقد كان ذبح البقر صعبا عند المصريين مثل هنود الهند لان المصريين كانوا اصحاب زرع وحرث وللبقر مدخل عظيم في ذلك فكانوا يحفظون البقر باهتمام فادى الغلو في حفظها الى تقديسها. ولما كان بني اسرائيل عند المصريين كانوا تعودوا بعوائدهم وجروا على رسومهم وتأثروا بها فصار ذبح البقر منكرا عندهم ايضا ولما قال لهم موسى ان الله يأمركم ان تذبحوا بقرة قالوا أتتخذنا هزواء قال اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين يعني ليس الامر بهزو بل هو جد لا بد من امتثاله.

قوله:۔ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ ۚ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ

إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَّلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذٰلِكَ ۖ فَافْعَلُوا مَا
تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا ۚ قَالَ
إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ النّٰظِرِيْنَ ﴿٦٩﴾
قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا ۖ
وَإِنَّا إِن شَاءَ اللّٰهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا
بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ
فِيهَا ۚ قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ ۚ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾ ع

بهذه الكيفية دار بينهم الكلام في فهم الامر الجدي حتى تمركز توجه جميعهم الى ذبح بقرة. فلما ذبحوها طائعين لامر الله ومجتمعين نزل في ذلك القضاء تجلي الالهي. وحدث في بني اسرائيل واقعة وهي انه قتل منهم رجل ولم يعرفوا قاتله فرفعوا القضية الى موسى عليه السلام

قال تعالى:- وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادّٰرَءْتُمْ فِيهَا ۖ وَاللّٰهُ مُخْرِجٌ
مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذٰلِكَ
يُحْيِي اللّٰهُ الْمَوْتٰى وَيُرِيكُمْ اٰيٰتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾

فقوله (كذلك يحي الله الموتى) معناه تعليم النبي يحي الموتى (لعلكم تعقلون) طريق الاستمداد من رحمة الله. وهي الاجتماع على طاعة الله كجسد واحد. فاذا لم يكن لقوم قوة ووحدة مثل هذه كيف يصنعون قوانين للامم؟ وقد علمهم موسى عليه السلام طريق حصول قوة

يحكمون بها على الامم جميعا وانتهت قصة الواقعة الى نهاية (٧٣) كما فهمنا من سياق الآيات والله اعلم.

قوله:- ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِّنْ بَعْدِ ذٰلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللّٰهِ ۗ وَمَا اللّٰهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾

ذكر في هذه الآية ان بني اسرائيل فقدوا الاحسان باكمله ولم يبق فيهم شي من ذلك وذكر ايضا ثلاث علامات في الامة يعرف بها تمكن الاحسان فيهم وهي اولا (١) يقوم رجل منهم فيضع قانونا يشبه الانهار التي تمثل الامم. (٢) ورجل اخر منهم يضع قانونا لقوم خاص ومثله مثل الذي يسقي ظمئانا (٣) ورجل يسجد لله فيتصل بسجوده ذلك بالله وكل من سجد معه يرى آيات الله. فاذا فقدت امة احدى هذه الصفات فان قلوبها تصير اشد قسوة من الحجارة.

حكاية تتعلق بالموضوع

ذكر الامام ولي الله في كتابه انفاس العارفين في ترجمة عمه الشيخ ابي الرضا محمد قال كان الشيخ جالسا في مسجد وكان مقابل المسجد خصاف يخصف النعال تحت شجرة فقال بعضهم متعرضا بالشيخ اننا نسمع جلبة بعض المشائخ واحوالهم ولا نرى فيهم قوة باطنية. فقد كان ابو يزيد البسطامي يجذب روح بعضهم احيانا بقوة نظره وجدته فيميته. فاخذت الشيخ غيرة شديدة واحتد وقال ان النبي صلى الله عليه

وسلم بنفسه هذب قلبي مثل قلبه فاعطيت قوة يمكن بها جذب روح احدهم ان شئت وردها ايضًا ان شئت وكان البسطامي يجذب الارواح ولم يكن في استطاعته ردها ثم نظر الي فمت وسقطت على الارض ولا احس بشيء من هذا العالم ورأيت نفسي في بحر عظيم ثم توجه الى المعترض وقال انظر اليه هل به رمق؟ فحركني فوجدني ميتًا. ثم قال له ان شئت تركته على حاله وان شئت احييته؟ فقال الرجل لا بل ارجو الشيخ ان يتكرم عليه برد روحه فنظر الي مرة ثانية فاحييت وقمت فتعجب الحاضرون من احوال الشيخ.

حكاية اخرى تتعلق بالموضوع ايضًا

الامير الشهيد السيد احمد الدهلوي اخذ عن الامام عبد العزيز وتربى بامره بارشاد الشيخ عبد القادر ثلاث سنوات. ثم اجازه له الشيخ عبد العزيز وكان معه ربطا الشيخ عبد الحي الدهلوي والصدر الشهيد ولاتصال الشيخ اسماعيل والشيخ عبد الحي قصة عجيبة وهي ان الشيخ اسماعيل اتى بكتاب الصلوٰة للشيخ عبد الحق الدهلوي وفيه بيان احضار القلب في الصلوٰة وجاء الى الامير وقال ان هذه الحالة لا تستقر فينا فقال الامير هذا لا يحصل بالكتب فقال الشيخ اسماعيل فكيف العمل؟ قال له الامير تعال وصل معي ثم تقدم. فتقدم الامير وصلى ركعتين واقتدى به الشيخ اسماعيل الشهيد فحصل له ذلك المقام واستقر فيه حضور القلب ثم ذهب وذكر قصته للشيخ عبد الحي وكان هذا اكبر من الشيخ اسماعيل فجاء الشيخ الى الامير فقال له هل يمكني انا ذلك ايضا؛ قال الامير نعم فصلّى معه ركعتين فحصل له ذلك الحضور فكان كلاهما مدة حياتهما مع الامير كخادمين له. توفى الشيخ عبد الحي في ايام جهادهم مع الكفار فجاء اليه الامير وسأله

هل تشتهي شيئاً؟ قال نعم اريد ان تضع قدمك على صدري فصد الامير وقد اشتهد الامير والصدر الشهيد الشيخ اسمٰعيل معاًفي واقعة واحدة.

هٰذا امثال لما يهبط من خشية الله . والامام ولي الله مثال للانهار والامام عبد العزيز مثله مثل من يشقق فيخرج منه الماء.

ونحن نعرف ان الله معنا بوجود هٰذه الطائفة فينا . والحمد لله.

ومن اٰية (٧٥) الى (١٠٢) بيان في ان بني اسرائيل مضوا على التملص من شريعتهم وازدادو في الانتقاض اللذين كانا فيهم بعد موسٰى.

مسألة :- كان علماء اليهود يضعون نظريات لرقيهم على حسب حالاتهم وعلى قدر عقولهم ثم يسعون في ارجاع اٰيات الكتاب بتأويلات بعيدة على نظرياتهم التي وضعوها ولو بالتحريف مع علمهم ان ذٰلك دون مدلول الكتاب ثم يوهمون العامة انهم متمسكون بالكتاب وعاملون بما فيه.
ثم يزيدون في التراجم كلمات على حسب ذٰلك التأويل البعيد ولم يكونوا يزيدون شيئاً في نفس الكتاب. هٰذه كانت عادة عامتهم. ولم يبق في ايدي الناس الا التراجم او نقل عن الاصل من غير ارجاعها ومقابلتها بالاصل الموجود في مراكزهم وقد علمت انهم كانوا يزيدون في هٰذا النقل والتراجم من عند انفسهم كلمات على حسب اهوائهم ومثل الحواشي والشروح لفهم التاويل. ثم دخلت تلك الحواشي والشروح في النسخ المنتقلة الى الاماكن البعيدة عن مراكزهم ولما بطلت مراكزهم لم يقدروا على تمييز تلك الحواشي والشروح من الاصل الا لخواصهم — هٰذه كانت طريقة تحريفهم وعادة مستمرة فيهم.

تنبيه :- قد علم المسلمون من تاريخهم ان السلف لم يجوزوا ان يزاد كلمة في المصحف حتى اسامي السور وحتى الحركات والاعراب والنقط. وكان ذٰلك

بسبب انهم كانوا يعرفون من حال اليهود وان التحريف قد جرى في كتبهم بالتدريج.

وقد بقي القرآن سالماً من التحريف لأنه محفوظ في القلوب وفي الصدور ولأن تواتر حفظه لم ينقطع في دور من الأدوار لجريان سنة التراويح في جميع مساجد المسلمين من زمن الفاروق رضي الله عنه. فان كان عند المسلمين مثلاً الف مسجد فان الف حافظ يصلون التراويح كل سنة. ويزداد كل سنة عدد الحفاظ من زمن عمر رضي الله عنه فيؤدون سنة التراويح في مساجدهم وهذا العمل المبارك قد الهم الله جل وعلا الفاروق الأعظم ونفع به الاسلام ـ وقد رأينا بعض الفقهاء الذين ليس لهم إحساس بالحكمة الاجتماعية يسعون في ابطال سنة التراويح من مساجد المسلمين بظن ان ذلك بدعة عمرية. هؤلاء المحققون لا يعملون الا بما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم فقط. وهؤلاء عندنا مصداق من لم يدخل القرآن في قلوبهم. انتهى التنبيه.

قوله تعالى:ـ أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ المسلمون منعوا من ان يطمعوا في اليهود انهم يعاملون المسلمين معاملة الانصاف وانهم اذا وجدوا القرآن مصدقاً لما معهم يؤمنون به. اهل الرأي والنظر من اليهود الذين يسيطر افكارهم وآرائهم على الاجتماع بالطبع يظهرون للناس بانهم انما يعملون بالاصل لانه ليس في الارض عالم يلتزم على نفسه بانه ترك الكتاب من اي دين كان. وهذه كانت طريق اخفائهم الكتاب عن عامة الناس والى ذلك يشير قوله تعالى (٧٦)

وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ

بَعْضٍ قَالُوٓا اَتُحَدِّثُوْنَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللّٰهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَآجُّوْكُمْ
بِهٖ عِنْدَ رَبِّكُمْ ؕ اَفَلَا تَعْقِلُوْنَ ﴿٧٦﴾ اَوَلَا يَعْلَمُوْنَ اَنَّ اللّٰهَ
يَعْلَمُ مَا يُسِرُّوْنَ وَمَا يُعْلِنُوْنَ ﴿٧٧﴾ يعني كان ان الله انزل الكتاب
لينتفع به عامة الناس كذلك يظهر الله عيوب ... سعي من العلماء في اخفاء
الكتاب عنهم. قوله (٧٨)

وَمِنْهُمْ اُمِّيُّوْنَ لَا يَعْلَمُوْنَ الْكِتٰبَ اِلَّآ اَمَانِيَّ وَاِنْ هُمْ اِلَّا
يَظُنُّوْنَ ﴿٧٨﴾ هذه كانت حالة عامة الناس منهم غير اهل النظر والعقل فانهم
لا يعلمون من الكتاب الا الالفاظ ومعنى الاماني. الالفاظ ولم يكونوا يأخذون العقائد
والمعاني من نفس الكتاب لانهم لا يفهمونه وانما كانوا يأخذون ذلك من علمائهم.

تنبيه

ارى على ضوء هذا التقسيم ان حال المسلمين كذلك الا حال طائفة قليلة منهم. واما عامة العلماء فانهم لا يؤمنون بالكتاب الا اذا صيروه مطابقا لأراء ائمتهم مع تنبههم بضعف أراء ائمتهم في بعض المسائل. وقد وجد بذلك التحريف المعنوى الذي كان عند اليهود بين المسلمين ايضاً.

فائدة

يجب على المفكر ان يفرق بين من يأخذ بكلام ائمتهم من المتكلمين والفقهاء ويجعله ذريعة لفهم كتاب الله. وعلامتهم انهم اذا تفطنوا بضعف كلام ائمتهم وعدم انطباقه على كتاب الله يتركونه ويأخذون بكلام الائمة الأخرين الذين ينطبق كلامهم بكتاب الله في تلك المسألة خاصة. وهؤلاء لا يجعلون هذا الانحراف البسيط عن اتباع ائمتهم

خروجًا من التقليد وانحرافًا عن جادتهم بل انما يعملون بذلك اداءً لحقوق وصايا ائمتهم حيث قال كل واحد منهم اذا صح الحديث فهو مذهبي. واتركوا قولي بخبر الرسول صلى الله عليه وسلم.

فمن لم يترك قول امامه مع علمه بضعف قوله وعدم انطباقه بكتاب الله اوسنة رسوله فهو منضم الى زمرة اليهود. انتهت الفائدة وانتهى التنبيه.

فائدة أخرى

عامة الناس يعتقدون انهم ان تلفظوا بالفاظ الكتاب ادوا ما وجب عليهم من حقوقه الا من اشتغل بقرأة التفاسير العربية.

وقد تفطن الامام ولي الله من اهل الهند ان ذلك الاعتقاد منشأه عدم وجود ترجمة للقرآن في لسانهم الذي يمكن الاستفادة منها للعامي فترجم لهم القرآن باللغة الفارسية التي كانت اللغة الرسمية في حكومة المسلمين في ذلك العهد من اتباعه جماعة يفهمون القرآن وتسمى ترجمته تلك بفتح الرحمان وقد استفدنا منها اكثر مما استفدناه من اي تفسير آخر من التفاسير المطولة.

ثم قام بعده ولده الشيخ عبد القادر فترجم القرآن بلسان عامة اهل الهند وسماها موضح القرآن وقد اصلحها شيخنا شيخ الهند وسماها موضح الفرقان.

وقد احسست بعد سياحتي في بلدان المسلمين بان الذين تنبهوا لأمر الدين من مسلمي الهند اكثر من تنبه جميع الامم المركزية من المسلمين وما نعلم سببًا لذلك الا ترجمة القرآن بلسانهم. انتهى التنبيه والفائدة.

قوله تعالى:۔ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتٰبَ بِاَيْدِيْهِمْ ثُمَّ يَقُوْلُوْنَ هٰذَا مِنْ عِنْدِ اللّٰهِ لِيَشْتَرُوْا بِهٖ ثَمَنًا قَلِيْلًا ؕ فَوَيْلٌ لَّهُمْ مِّمَّا كَتَبَتْ اَيْدِيْهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُمْ مِّمَّا يَكْسِبُوْنَ ﴿٧٩﴾

مثال التحريف المعنوي

هٰذه حكاية حال اليهود الذين كانوا يكتبون نسخًا لأنفسهم و يزيدون فيها حواشي وشروحًا ولايرون في ذٰلك بأسا.

والقرآن العظيم وان لم يقدر المسلمون على اضافة شئ في متنه الا انهم فعلوا فى الشروح والتفاسير مافعلوا.

مثال ذٰلك لفهم الناس هٰذا الفعل الشنيع الجاري فى الحنفاء اليهود والنصارٰى والمسلمين جميعا. هو انا قرأنا اولا الفقه الحنفي اصولا وفروعًا ثم اشتغلنا بالصحاح الست من كتب الحديث فوجدنا فيها روايات كثيرة تخالف فقهنا الذي قرأناه ثم رأينا الفقها المحدثين من الحنفية مختلفين في امر ذٰلك. طائفة منهم تؤول الاحاديث الصحيحة الى اقوال الفقهاء وآراء اماهم منهم في بلادنا الشيخ عبدالحق الدهلوي المحدث[1] بل وعامة اهل بلادنا.

---

[1] قال الأمير القنوجي في الحطة" اعلم ان الهند لم يكن بها علم الحديث من فتحها اهل الاسلام وعمدة بضاعتهم هي فقه الحنفية حتى مَنَّ الله على الهند بافاضة هٰذا العلم على بعض علماءه كالشيخ عبدالحق بن سيف الدين الترك الدهلوي ثم تصدى له ولده الشيخ نور الحق وكذٰلك بعض تلاميذه على القلة وتحديث هٰؤلاء وان كان على طريقة الفقهاء المحدثة لكن مع ذٰلك لايخلو عن كثير فائدة فى الدين اهـ (توفى رحـ في سنة ١٠٥٢ھـ)

قال الامام الرباني فى المكتوب التاسع والعشرين من المجلد الثاني مخاطبا للشيخ المحدث عبدالحق الدهلوي" وفي مثل هٰذا الزمان زمن غربة الدين بركات وجودكم الشريف غنيمة للمسلمين سلمكم الله وابقاكم اهـ. كذا في التمهيد لشيخي المؤلف رحـ قلت بما اختار الشيخ المحدث الدهلوى فى شرح الحديث ما اختار ترغيبا لأهل مصره الى الحديث والله اعلم ابوسعيد غلام مصطفى السندي.

وطائفة تؤول اقوال الفقهاء الى مطابقة الحديث فان لم يقدروا على التأويل يتركون اقوالهم ويأخذون مثلاً بقول مالك او غيره من الفقهاء ولا يعدون ذلك خروجاً عن المذهب الحنفي. وامام هذه الطائفة القائم ولي الله. وقد تبعه على ذلك طوائف من اهل الهند. ومشائخ ديوبند من اتباعهم.

طريقة تعليم ديوبند

اما مدرسة ديوبند فانها تجمع بين طريقتي الشيخ عبد الحق الدهلوي والامام ولي الله في التدريس فالتعليم الابتدائي العمومي يراعى فيه طريقة الشيخ عبد الحق اكثر ويشار الى طريقة الامام ولي الله في مواضع مخصوصة ضمناً وبعد هذا يأتي التعليم التكميلي لجماعة مخصوصة على طريقة الامام ولي الله فقط. وقد تعلمت انا على الطريقتين سواء بسواء.

وكنت عندما انتهيت من الدرجة الأولى من التعليم في ديوبند صممت على ان لا اعمل بالحديث ولكن طبيعتي كانت تميل الى العمل به خلاف ارادتي فكنت متحيراً حتى هداني ربي الى طريقة الامام ولي الله بواسطة ائمتها ومشائخي فاشتفيت. واما عامة الطلبة الذين هم في الدرجة الأولى فانهم يتوهمون انهم انما يعملون بالحديث وان كيفية تعليمهم هو معنى التحقيق للحديث الذي وجد في كتبهم الفقهية.

واما الرجل المحقق فيفهم انهم غالطون في ذلك خصوصاً من كان مثلي جامعاً بين الدرجتين.

مثال لهم للتعريف المعنوي

ولنتقدم الآن في فهم النسبة بين علوم القرآن وعلوم السنة على هذه الطريقة فنجد هنا ايضاً مثل اولئك طائفتين. اذا ظهر خلاف بين رواية وبين القرآن طائفة تؤول آيات القرآن الى معنى الرواية الصحيحة في نظرها وتجزم بان ذلك هو المعنى الحقيقي مثل الطائفة

الاولى من فقهائنا الحنفية في ديوبند وغيرها. وطائفة تؤول الروايات الى معنى القرآن فاذا لم يقدروا على ذلك فانهم يتركون الروايات وانا بحمد الله جزت هذا المقام ايضًا بتوسط الامام ولي الله واصحابه.

ولنسأل المنصف أليست الطائفة الأولى من المشتغلين بالحديث وتفسير القرآن من المحرفين لبعض الآيات بالمعنى الذي كان موجودًا في اليهود والنصارى وان ذلك موجودًا في طوائف المسلمين ايضًا؟ فليتوجه الانسان الى تحقيق الفرق بالدقة. ونحن ما قدرنا على فهم ذلك الا باتباع الامام ولي الله.

ثم هناك مرض آخر ايضًا.

وقد اشار الى لوازم ذلك التحريف في آية (٨٠)

وَقَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ۚ قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ ۖ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾

المحرف يعلم بان الناس ليسوا على طريقته وانه لو ظهر لهم حقيقة امره لما اتبعوه فهو مجبور من طبيعته على ان يحصر النجاة في اتباع طريقته والجنة لمتبعيه ويثبت ذلك في اذهان العامة في غاية التأكيد والعامة بعد ذلك يذهلون عن تحقيق زلاته ويتغافلون عن كشف تمويهاته و يقولون لن تمسنا النار الا اياما معدودة ثم بعد ذلك النجاة بشفاعة لازمة.

ونرى هذا المرض فاش في طوائف المسلمين ايضًا فانهم يجعلون النجاة لمن اتبع القرآن وهذا المرض بعينه كان فاشيًا في اليهود.

و المحقق يقول كل من اتبع كتاب الله ورجع عن كل قول ثبت لديه
انه مخالف لكلام الله هو الناجي . لأن خطأ الاجتهاد مغفور.
اما الذي يصر على الخطأ بعد ماثبت لديه انه خطأ فهو من الهالكين.

قوله:- بَلَىٰ مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَّاَحَاطَتْ بِهٖ خَطِيْٓئَتُهٗ
فَاُولٰٓئِكَ اَصْحٰبُ النَّارِۚ هُمْ فِيْهَا خٰلِدُوْنَ ﴿٨١﴾ وَالَّذِيْنَ اٰمَنُوْا
وَعَمِلُوا الصّٰلِحٰتِ اُولٰٓئِكَ اَصْحٰبُ الْجَنَّةِۚ هُمْ فِيْهَا خٰلِدُوْنَ ﴿٨٢﴾ ع

في هاتين الآيتين رد على من حصر النجاة في متبعيه مخالفا
لكتاب الله . فالايمان و العمل الصالح يحتاجان الى الابتعاد من التحريف
ولكن اليهود غارقون فيه ولايتبعون المسلمين.

مسالة اخرى

الدين يشتمل على نوعين من العلم (١) تهذيب الاخلاق بتصحيح
العقائد والتزام الاعمال الصالحة هذا العلم يسمى في الاصطلاح الاحسان.
(٢) حقوق الاجتماعية التي تنشأ فيها من المنزل والمحلة والقرية ثم المدينة
ثم الملك والدولة. ويعبر عن المدينة في الاصطلاح السياسي بالقوم.

فاذا جاءت حقوق الاجتماعية يجب عليه اولا لأنه يستعين بهم في
حياته مكافأة والديه اذ كبرا و ضعفا لأنهما ربياه في صغره وهذه المكافأة
هي صلة الارحام ـــ ثم مكافأة اهل مدينته و مملكته ودولته وهذا يسمى
عدلا. وهذا العدل الذي هو اداء حقوق قومه يستلزم عداوة قوم يعتدون
على قومه و ولاء قوم يوالون قومه . وهذا العداء وهذا الولاء يسميان
بالسياسة في نظر عامة الناس . اما عامة اهل العلم فهم يعرفون انهما من

الدين يشتمل على نوعين من العلم

حقوق الاجتماع فقط فاذا السياسة عندهم شئ عام.

العدل في الاجتماع والحرب مع الاعداء، جزءان متساويان للسياسة عند المحققين. والتفريق بين الاحسان والعدل لا يجوز في دين من اديان الله. لانهما جزءان متساويان للتقوى.

لكن اذا فسد مزاج الاجتماع الديني يقوم اناس ويجعلون الاحسان وتهذيب الاخلاق هو الدين فقط ويجعلون الامور السياسية تابعة لاهوائهم لا تابعة للقانون الديني. وهذا افساد للدين.

وهذا الفساد قد كان سرى في بني اسرائيل وهذا الفساد هو الذي كان سببًا لتحريف الدين.

وقد جربت انا بحمد الله هذا في اليهود عامة وهذا الذي ابطل دينهم بعد ان كانوا ملة عظيمة وصار الآن لا يعرف الحق من الباطل من كتبهم ولانه قد كان بعث منهم مجددون للاحسان اعرضوا عن السياسيات وان كان الناس لا يمكنهم الاعراض عن السياسة بالكلية و صاروا احزابا مختلفة في السياسيات لاتباعهم اهواءهم واخذوا يتقاتلون وبذلك صار تمييز الحق من الايمان والاسلام والاحسان من كتبهم محالًا.

ثم نرجع الى كتب الهنود فنجد الحق فيها لا يزال موجودًا على جميع اقسامه لكنه مختلط بالباطل.

وقد وقع مثل ذلك في طوائف المسلمين جميعًا خصوصًا في بلادنا نعرف ذلك بلا تردد والى هذه المسألة الدقيقة اشار القرآن من آية (٨٣ - ٨٦) قوله:- وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَاءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَى

لا يجوز تفريق السياسة عن الدين.

وَالْيَتٰمٰى وَالْمَسٰكِيْنِ وَقُوْلُوْا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَّاَقِيْمُوا
الصَّلٰوةَ وَاٰتُوا الزَّكٰوةَ ؕ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ اِلَّا قَلِيْلًا مِّنْكُمْ
وَاَنْتُمْ مُّعْرِضُوْنَ ﴿٨٣﴾ وَاِذْ اَخَذْنَا مِيْثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُوْنَ
دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُوْنَ اَنْفُسَكُمْ مِّنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ اَقْرَرْتُمْ
وَاَنْتُمْ تَشْهَدُوْنَ ﴿٨٤﴾ ثُمَّ اَنْتُمْ هٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُوْنَ اَنْفُسَكُمْ
وَتُخْرِجُوْنَ فَرِيْقًا مِّنْكُمْ مِّنْ دِيَارِهِمْ تَظٰهَرُوْنَ عَلَيْهِمْ
بِالْاِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ؕ وَاِنْ يَّاْتُوْكُمْ اُسٰرٰى تُفٰدُوْهُمْ
وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ اِخْرَاجُهُمْ ؕ اَفَتُؤْمِنُوْنَ بِبَعْضِ الْكِتٰبِ وَ
تَكْفُرُوْنَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَنْ يَّفْعَلُ ذٰلِكَ مِنْكُمْ اِلَّا
خِزْيٌ فِي الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا ۚ وَيَوْمَ الْقِيٰمَةِ يُرَدُّوْنَ اِلٰٓى اَشَدِّ
الْعَذَابِ ؕ وَمَا اللّٰهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُوْنَ ﴿٨٥﴾ اُولٰٓئِكَ
الَّذِيْنَ اشْتَرَوُا الْحَيٰوةَ الدُّنْيَا بِالْاٰخِرَةِ ؗ فَلَا يُخَفَّفُ
عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْصَرُوْنَ ﴿٨٦﴾ ع

فقوله تعالى:- واذ اخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم الآية بيان لمسألة العدل وشروع في بيان الحقوق الاجتماعية. فقوله و اذ اخذنا ميثاقكم الآية. هي الحقوق القومية كل فرد من افراد امة متساكنة في قانون واحد في مدينة واحدة لايجوز قتل احد منهم ولا اخراجه من ملكه بغير حق. وقوله ثم اقررتم وانتم تشهدون يعني

ان ذٰلك كان معروفا عندكم وما كنتم تجهلون اصل المسألة. ولكنهم كانوا يتبعون اهواءهم جميعًا. قوله. ثم انتم هٰؤلاء تقتلون انفسكم. الى قوله (بالاثم والعدوان) انهم يوالون قومًا اٰخرين مع انهم يحاربون فريقا منهم. وهٰؤلاء ايضًا يحاربون ذٰلك الفريق وفاء لحلفهم لاولٰئك القوم المحاربين لقومهم المتبعين لدينهم. وهٰذا هو اتباع الهوى بالاثم والعدوان لانهم يعرفون ان ذٰلك حرام عليهم.

ونأسف نحن غاية الاسف فان قومنا في الهند حاربوا المسلمين في صفوف الكفار المتغلبين علينا وفاء لموالاتهم في الحرب العمومية الأولى وكان ذٰلك لضعف دينهم لبقائهم تحت حكم النصارٰى. ولكن لي الفخر بأن مشائخنا من علماء ديوبند الذين كانوا عارفين قبح هٰذه الموالاة وان كانوا عاجزين عن منع عامة المسلين من هٰذه الموالاة ومن الاشتراك في هٰذا الاثم. ومع ذٰلك سعوا بكل قوتهم في رد كيد الخائنين. وهٰذه الحركة الضعيفة ما سكنت بل تقوت واصبحت نارًا متأججة بالتدريج ولكن السكون الذي طرأ على جماعتنا بعد وفاة مولانا رشيد احمد هو الذي اخرنا كثيرًا عن الفوز في مقصدنا.

ونحن وان كنا لا يمكننا الفخر بملء أفواهنا ولكنا نعرف من مشائخنا رجالا ساروا في طريقتهم بعد وفاة شيخ شيخنا وان كان سيرًا بطيئًا حسب قدرتهم ومراعين اجتماع الجماعة وقد كان شرع احدهم في جمع القوة من الجماعة بالتدريج فلو تأخرت الحرب العظمى الأولى مدة سنتين لوجد الفرصة الكافية (في هٰذه المدة) في تنظيم الحركة وفي ظني انه كان نجح في مقصده.

وهذا السكون الطاري قد اوجد في جماعتنا رجالا ارتجاعيين متقاعدين وان كانوا لا يستطيعون التصريح بمقصدهم لقيام طائفة من الجماعة بامور الجهاد لان الامر لم يكن مقصورًا على شيخنا فقط بل كان معه جماعة من اتباع مولانا محمد قاسم وطائفة من اتباع مولانا رشيد احمد مثل مولانا عبد الرحيم الراء پوري)

وقد صار هذا فيما بعد رئيسًا للمجاهدين بعد ما خرج شيخنا شيخ الهند الى الحجاز واضطررنا الى التصريح بهذا لان الجماعة الارتجاعية القاعدة تدعي زورًا انها تابعة في هذا القصود لشيخنا رشيد احمد.

وقد عمل شيخنا رشيد احمد في ايام هذا السكون اعمالا لا يجوز افشاؤها ويكفي في رد كيد القاعدين وتكذيب دعواهم الباطل دخول مولانا عبد الرحيم في جماعة شيخنا. تم.

قوله :- وان ياتوكم اسارى تفادوهم وهو محرم عليكم اخراجهم.

هكذا يكون ديدن المتقاعدين فانه اذا انتهت الحرب يقومون بالامور السياسية. مثل قيام جمعية الخلافة عندنا في الهند بعد انتهاء الحرب لنصرة الخلافة العثمانية.

وقد كان فعلهم هذا مطابقًا لفعل اليهود حذو النعل بالنعل. ويستثنى من ذلك فعل طائفة قليلة كانت قامت في اثناء الحرب ضد الانجليز ورئيس هذه الفئة هو شيخنا شيخ الهند الذي كان اتباعه من بين جميع طبقات علماء ديوبند ومن غيرهم ايضًا، وسبب ضم غير الديوبند اليهم هو انه لما رأي من بعض جماعته الانحراف عن مسلكهم الاصلي وتيقظ جماعة عليگره وتصريحهم بعداوة الانجليز فجمع رجالا منهم

الى جماعته واول رجل من اولئك هو الدكتور الانصاري الذي كان هو وعائلته من اتباع شيخنا ببيعتهم له بالبيعة الصوفية. ثم الحكيم اجمل خان المشهور وكان بيته بيت طب وكان مركزه مواليا لمولانا محمد قاسم ولاصحابه ولذلك انضم اجمل خان ايضًا الى جماعة شيخنا. بواسطتهما توجهت جماعة عليگڑه الى شيخنا. واثر ذلك على مولانا ابى الكلام تأثيرًا قويا وابو الكلام فى الاصل من اهل الحديث ثم دخل في زمرة الأفندية.

ولما رأى شيخنا ذلك امرني بالدخول في عليگڑه وعرف الانصاري بي وعرفني به فصار هذا وسيطا للدخول بينهما.

وكان فى الطبقة الثانية من عليگڑه جماعة من الديوبنديين ايضًا ثم انهم اتفقوا على ان يبايعوني على الجهاد فأعتذرت لهم فاتفقوا على مبايعة شيخنا شيخ الهند ولكن نفسي كانت تميل الى ان يقوم بالأمارة رجل له خبرة بالعلوم الغربية ورأيت ان الزعامة في هذا العصر لايتحملها الا رجل شاب نشيط مثقف بالثقافة الحديثة الغربية فتجرأت وعرضت هذه الفكرة بلطف على شيخنا فقبلها واستحسنها ولكنه لم يصرح لي بذلك. ثم حضر محمد علي رئيس جماعة عليگڑه عند شيخنا فحمله القيادة ووكل اليه الزعامة برموز يعرفونها فقبل كل ذلك محمد علي ولقب شيخنا بشيخ الهند. وقد كان محمد علي قائمًا بما عهد اليه شيخنا احسن قيام طول حياته معترفًا بسيادة شيخنا دوامًا.

وهذا التنازل من الزعامة من شيخنا لمحمد علي لم ار مثله من احد من معاصرينا وكان ذلك لحسن نيته وصفاء طويته وحسن حزمه في الامور كلها وانما لم ينجح في اموره كلها لأنه لم يجد رجال المخلصين يعينونه

في مقصده كما ينبغي

واما القاعدون فانقسموا بعد الحرب الى جماعتين (١) جماعة منهم رجعوا الى الله وتابوا واخذوا على انفسهم ان يستمروا على الكفاح والنضال والجماعة الثانية بقيت على ما كانت عليه بل ازدادوا انهماكًا وقعودًا.

وهٰذه الجماعة هي المستحقة للّوم والتهديد ويصدق عليهم مصدق على اليهود في قوله - أفتؤمنون ببعض الكتٰب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذٰلك منكم الاخزي في الحيٰوة الدنيا الآية.

ففصل الاحسان من العدل هو انكار لدين الرحمٰن وقد ابتلى قومنا بذٰلك وذٰلك ظاهر جدًا. ونحن نفرق بكل صعوبة بين الفئة الضعيفة واكثرية الهند المبتلين بذٰلك المرض ونريد ان تكون تلك الفئة مستمرة في كفاحها وجهادها ولكن قوة الحكومة المتغلبة وقوة المتقاعدين اتحدتا وانصرفتا الى منعنا والحيلولة دون مقصدنا في الجهاد فلم نجد من يوازرنا الا حزب ضعيف في (كانگريس) فانه يحب مواصلة الكفاح للاستقلال ولكنهم ليسوا بمسلمين. فنحن نشترك معهم في الكفاح ضد الحكومة المتغلبة علينا ونترك قومنا القاعدين.

فصل السياسة من الاحسان ضلال.

وهم يحاججوننا بالآيت القرآنية والاحاديث النبوية المانعة من الاشتراك على زعمهم مع الكفار ويجعلون اشتراكنا مع كانگرس من اكبر الكبائر ولا يحسون بجواز الاثم للانجليز وانهم يعملون اعمالا افظع من اعمالنا. والى الله المشتكي.

وقوله - اولٰئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى. الى قوله. ولا هم ينصرون - هٰذه نتيجة تفريق السياسة من الاحسان ويتبدل الاحسان

---

(١) هٰذا لما كان الهند تحت الانجليز. واما الآن فقد استقلت وخرج منها الانجليز.

بالتهاون فيه ويؤدي الى الكفر نسأل الله السّلامة.

ونرجوا من الامم للمسلمة الذين يخالفون الانجليز ان ينظروا الى حالنا ويعتبروا ويفكروا في التخلص من شرورهم.

مسالة اخرى

اذا فسد الذوق السياسي فانه لا يفرق الانسان من الحق والباطل وقد نبه الله على ذلك في ٨٧-٩٠ قال

وَلَقَدْ اٰتَيْنَا مُوْسَى الْكِتٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهٖ بِالرُّسُلِ ز وَ
اٰتَيْنَا عِيْسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنٰتِ وَاَيَّدْنٰهُ بِرُوْحِ الْقُدُسِ ط
اَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُوْلٌۢ بِمَا لَا تَهْوٰى اَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ ج
فَفَرِيْقًا كَذَّبْتُمْ ز وَفَرِيْقًا تَقْتُلُوْنَ ﴿٨٧﴾ وَقَالُوْا قُلُوْبُنَا غُلْفٌ ط
بَلْ لَّعَنَهُمُ اللّٰهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيْلًا مَّا يُؤْمِنُوْنَ ﴿٨٨﴾ وَلَمَّا جَآءَهُمْ
كِتٰبٌ مِّنْ عِنْدِ اللّٰهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ لا وَكَانُوْا مِنْ قَبْلُ
يَسْتَفْتِحُوْنَ عَلَى الَّذِيْنَ كَفَرُوْا ج صلے فَلَمَّا جَآءَهُمْ مَّا عَرَفُوْا
كَفَرُوْا بِهٖ ز فَلَعْنَةُ اللّٰهِ عَلَى الْكٰفِرِيْنَ ﴿٨٩﴾ بِئْسَمَا اشْتَرَوْا
بِهٖ اَنْفُسَهُمْ اَنْ يَّكْفُرُوْا بِمَا اَنْزَلَ اللّٰهُ بَغْيًا اَنْ يُّنَزِّلَ
اللّٰهُ مِنْ فَضْلِهٖ عَلٰى مَنْ يَّشَآءُ مِنْ عِبَادِهٖ ج فَبَآءُوْ بِغَضَبٍ
عَلٰى غَضَبٍ ط وَلِلْكٰفِرِيْنَ عَذَابٌ مُّهِيْنٌ ﴿٩٠﴾

اليهود بعد موسى كثيراً اما انكروا على الرسل جميعا وعلى عيسى خصوصًا وكان ذلك بسبب فساد ذوقهم السياسي. فانهم تركوا كتاب ربهم واتبعوا اهواءهم فصاروا يعتقدون في كل ما يخالف اهواءهم بأنه باطل وأدى ذلك الى تضعيف نزول الغضب عليهم ثم سلبت منهم حكوماتهم تدريجيا لأن فساد الذوق السياسي يجعل الرجل محروما من القيام بالحكومة ثم ازدادو وتباعدا وقد عبر عن ذلك بقوله (فباؤا بغضب على غضب).

معنى المغضوب عليهم في لسان القرآن

وقد تعين بذلك المغضوب عليهم في لسان القرآن وهو من كان عارفا بالدين ولا يريد قيام حكومة على وفق دينه الذي يتدين به و يتخيل نظريات لا يمكن تحقيقها على وجه الأرض فيبتعد عن اقامة الحكومة لأنفسهم فيخضع لكل امة تغلبت عليهم ويصير في عذاب مهين فقوله- ولقد أتينا موسى الكتب. الى قوله وقالوا قلوبنا غلف-

اذا تخيلوا نظريات مستحيلة العمل بمقتضاها او متعسرة في العادة مثلا ورسخت تلك النظريات في اذهانهم فانهم لا يستطيعون التطبيق بينها وبين النظريات السياسية الجارية لعدم قبول عقولهم تلك النظريات وهذا هو المراد من قوله وقالوا قلوبنا غلف يعني لا تقبل عقولهم النظريات السياسية الجارية. على ما فهمناه. وفي الحقيقة ان ذلك كان نتيجة كفرهم الذي ذكر في قوله افتؤمنون ببعض الكتب وتكفرون ببعض. وهو الذي افسد ذوقهم السياسي-

تنبيه

مثل هؤلاء الذين يتبعون اهواءهم من اصحاب المذاهب ينكر عليهم السياسيون العارفون للاجتماعيات والفطرة الانسانية وانه لا يمكنهم

القيام بالسياسيات اليهود ينتظرون منجيا ولكن كلما جاءهم رسول منج لهم قتلوه حتى المسيح بن مريم انكروا عليه وكذبوه (اوقتلوه على زعمهم) لان لديهم نظريات خصوصية في شان هذا المنجي وهوان يأتي لهم بمدد سماوي وامثال ذلك.

فلينظر القاعدون عن الجهاد والمتخلفون عن الكفاح في احوالهم وليرجعوا الى ضمائرهم وما الذي حملهم الى ان علقوا قيام دينهم و تحريرهم مماهم عليه باتيان رجل موهوم مثل المهدي وغيره فان التحقيق في تفسير القرآن وعلم الحديث اوصلنا الى ان اتيانه ليس من اليقينيات فان صاحب المواقف لم يدخل ذلك فى العقائد الايمانية[1] وانما جاءت هذه المصيبة من المتأخرين. وقد وقع فى الخطأ كثير من المحققين في هذه المسألة لعدم تفرغهم لتحقيق هذه المسألة والتفاتهم اليها والى نتيجتها — فمن يعتقد بمجيء المهدي ونزول عيسى و يعلق قيام دينهم بهما وانه لابد من مجيئهما فلينظر فى الغربيين والى جماعة الاجتماعيين (سوشيليسٹ) كيف يتقدمون في جهادهم وكفاحهم بدون مهدي وعيسى. والمسلمون مع وجود القرآن بين ايديهم والتاريخ الذهبي والامم الفعالة كيف يحتاجون الى قيام دينهم الى من يحتاج اليه اليهود والنصارى؟

ولعل هذه العقائد ما دخلت فيهم الامن اليهود والنصارى.

---

[1] ذكر صاحب كتاب المدخل الى مذهب الامام احمد بن حنبل ان السلف لم يكونوا يدخلون في كتب العقائد مجيء المهدي الموعود وانما مظان ذلك كتب الفتن ثم انتقد على الذين ادخلوا هذه المسألة في كتب العقائد. راجع الكتاب المذكور وهو مطبوع. كتبه محمد نور مرشد.

قوله:- ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم الآية

كما انكر هؤلاء على انبياء بني اسرائيل كذلك انكروا القرآن لفساد

ذوقهم السياسي - وقد اعترف من كان يعتقد بالمهدي اعتقاداً جازماً

بان هؤلاء الذين ينتظرونه اذا قدموا اليه فانه اول من يبدأ بقتلهم

هم هؤلاء. ولذلك يجب على المسلمين ان يسعوا بكل قوتهم ويجدوا في الحصول

على القوة السياسية للمسلمين. ثم اذا جاء رجل فانه يضم معهم ويقويهم

او يؤيدهم واما القاعدون فليس حالهم الا كحال اليهود كانوا يستفتحون

على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين.

قوله:- بئس ما اشتروا به انفسهم ان يكفروا بما انزل الله بغيا الآية

يظهر من هذا انهم ما كانوا يقبلون الحق الا اذا كان مطابقاً لآرائهم

وموافقاً لاهوائهم وما كانوا يتبعونه ايضا اذا كان بيد غيرهم.

مسألة اخرى

اقامة الحجج عليهم بانهم تركوا الايمان بالتوراة ايضا وذلك من (٩١)

قوله:- وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ ط فقوله: نؤمن بما انزل علينا. هو التوراة. وقوله. ويكفرون بما وراءه

ولو كان ذلك مطابقا لما في التوراة تماما. وبذلك بطل دعواهم بانهم آمنوا بالتوراة،

قوله:- قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٩١)

وفي هذا يحتج عليهم على ما كان منهم من التساهل والتكاسل في ايام

موسى وفي الاصل كانوا ضعفاء الايمان وقد ازدادوا ضعفا في ذلك حتى

صاروا كانهم لم يؤمنوا او يوضح ذلك ما يأتي.

قوله:۔ وَلَقَدْ جَآءَكُمْ مُّوسٰى بِالْبَيِّنٰتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهٖ وَاَنْتُمْ ظٰلِمُوْنَ ﴿٩٢﴾ وَاِذْ اَخَذْنَا مِيْثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّوْرَ ؕ خُذُوْا مَآ اٰتَيْنٰكُمْ بِقُوَّةٍ وَّاسْمَعُوْا ؕ قَالُوْا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا ق وَاُشْرِبُوْا فِيْ قُلُوْبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ؕ

هٰذا الايمان الممزوج بالكفر هل يعتد به؟ وقد كان الواجب عليكم ان تكفروا عن تلك الخطيئات وتستقيموا في نصرة الحق دائما.

قُلْ بِئْسَمَا يَاْمُرُكُمْ بِهٖۤ اِيْمَانُكُمْ اِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِيْنَ ﴿٩٣﴾

ولكنكم تتقهقرون وترجعون الى ورائكم وتعملون بما يجعلكم كفاراً مثل الاول.

مسألة اخرى

هنا يأتي الدليل العملي على انهم مبطلون كما تقدم الدليل النظري على كفرهم

قوله:۔ قُلْ اِنْ كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْاٰخِرَةُ عِنْدَ اللّٰهِ خَالِصَةً مِّنْ دُوْنِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ اِنْ كُنْتُمْ صٰدِقِيْنَ ﴿٩٤﴾

اليهود كانوا يحصرون النجاة لانفسهم خاصة من دون الناس ولذلك قيل لهم قل ان كانت الخ وهٰذا المرض فشا في المسلمين عامة وتسربت اليهم من اليهود وبتقليدهم للمتكلمين والفقهاء فان المتكلمين والفقهاء يحصرون النجاة في طائفة خاصة ويصرحون بان من سواهم لاينجون. وقد كانت هٰذه العقيدة هي السبب في قعودهم عن الجهاد والكفاح.

وقوله:۔ فتمنوا الموت ان كنتم صادقين.

هٰذه الحيوة التي انتم عليها هي حياة الذل والاهانة وحياة العبودية للكفار فاجتهدوا في نصرة الحق وموتوا في سبيله وادخلوا الجنة.

وليس معنى تمنى الموت عندنا الا الأمر لليهود بالجهاد وبقتال من يخالف الحق من المبطلين. اذا كان رجل يعتقد انه على الحق فالموت في سبيله يهون عليه. واذا ترددوا عن القتال في سبيله ولم يتقدموا فان ذلك دليل على عدم ايمانهم بحقانيتهم والى ذلك يشير قوله:-

وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٩٥﴾ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا ۚ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ ۗ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ ع

لا يتمنون الموت لانهم ظالمون. بل يحرصون على حب الدنيا.

مسألة أخرى

اذا انهزمت امة في ميدان العمل فانها تعيد نظرها الى فلسفتها مرة ثانية وتربيها على هواها وتحتج بها على الناس فاثبات بطلان فلسفتهم يكون من تمام اقامة الحجة عليهم ايضًا ومن فلسفتهم ان بعض الملائكة عدو لنا فنحن لا نقبل الافكار النازلة بواسطة القوي المخالفة لنا. وهذا عذرنا في عدم قبولنا لتعاليم القرآن.

هذا الفكر مأخوذ من تعاليم الصابئة فانهم يقولون ان كل شخص مختص بنجمه بتأئيد كوكب. فاذا هبط ذلك الكوكب واستمر في الهبوط فانهم لا يرجون عروج ذلك الشخص ابدًا حتى يعود ذلك الكوكب الى الصعود وينتظرون ذلك مدة طويلة جدًا.

وقد بطلت تلك الفلسفة وثبت اختلاط ذلك العلم بالباطل حتى

لا يمكن تفريق الحق منه من الباطل ولا يستطيع الانسان ان يتثبت بشي صحيح منه و يعتقد صحته.

وقد سار اليهود على مثل ذلك الاعتقاد في ائمة حظيرة القدس ولا يعرفون ان هؤلاء الائمة جميعا على مزاج رجل واحد لا يجوز عليهم ذلك الفرق الموجود فى الكواكب وقد اشار الى هذا فى الآيات الآتية

قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيْلَ فَإِنَّهٗ نَزَّلَهٗ عَلٰى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللّٰهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَّبُشْرٰى لِلْمُؤْمِنِيْنَ ﴿٩٧﴾ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِّلّٰهِ وَمَلٰٓئِكَتِهٖ وَرُسُلِهٖ وَجِبْرِيْلَ وَمِيْكٰلَ فَإِنَّ اللّٰهَ عَدُوٌّ لِّلْكٰفِرِيْنَ ﴿٩٨﴾ وَلَقَدْ أَنْزَلْنَآ إِلَيْكَ اٰيٰتٍۭ بَيِّنٰتٍ ۚ وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ إِلَّا الْفٰسِقُوْنَ ﴿٩٩﴾

هاتان الآيتان في بيان حقيقة حظيرة القدس وهي انما اية بينة في كل الاديان ولا يكفر بها الا من يسير برنامج باطل متولـيًا عن الحق.

مسألة أخرى

الفلسفة تنتج النظريات السياسة العملية. وهؤلاء كما بطل تخيلهم فلم يقدروا على اخذ الحقائق على وجهها كذلك فسدت قوتهم العملية و[illegible] فلا يمكنهم الوفاء بالمعاهدات. وقد بلغ هذا النقص فيهم الى حد [illegible] ينقضون العهد مع [illegible] وائمة دينهم ايضا ثم يشتركون في [illegible] المنكرين للنبوات تبعا لاهوائهم والى ذلك الاشارة في قوله [illegible] كلما

عٰهَدُوْا عَهْدًا نَّبَذَهٗ فَرِيْقٌ مِّنْهُمْ ۭ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُوْنَ ﴿١٠٠﴾

هٰؤلاء فقدوا قوة الوفاء بالعهد ولذلك صاروا لا يقدرون على السياسات المحلية ابدًا لأن الجماعات السياسية لا تقبل في جماعتهم الا من يستقيم على عهوده ثم كل من يخرج من جماعتهم بعد الانضمام اليهم ليس له جزاء عندهم الا القتل فمن ليس في استطاعته الوفاء بالعهد هل يمكنه الاستقامة في السياسيات؟ كلا. هٰذا هو المراد من تلك الآية.

ولنجعل ما يتعلق بتتميم المسألة من نقض عهودهم مع ائمة دينهم مسألة مستقلة

قوله:- وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾

في هٰذه الآية بيان انهم تركوا كتاب ربهم وراء ظهورهم كانهم لا يعلمون وذلك عندما رأوا ان الرسول يلزمهم اتباع كتابهم. ونقض عهودهم مع ائمة دينهم في الدين لأن وفاء العهد مع ائمة دينهم هو الائتمار بأوامر كتابهم الذي جاءهم من عند الله. وقد ترك هٰؤلاء الكتاب بالكلية واتبعوا امورًا مخلوطة من وحي الشياطين ومن وحي الملائكة وصاروا يعملون للناس للمحبة والقبول والقاء البغض والعداوة بينهم بعمليات ما انزل الله بها من سلطان. وجعلوا علمهم هٰذا قائمًا مقام دينهم.

ونرى مثل هٰذا في بلادنا من ائمة المساجد في القرى فان عندهم كتب العمليات فيها ادعية مباركة وسور قرآنية واسماء الٰهية وعمليات مبنية على ذلك مثل ان يامر بقرأة سورة المزمل كل صباح دائمًا او يلتزم على نفسه ان يقرأ يا مغني او يا باسط كل من يريد ان يوسع في رزقه او مثل عبدة الكواكب من الصابئة.

فكتاب العمليات يشتمل على فصلين مشتركين في فصل منه ادعية و اسماء مباركة وآيات قرآنية وفصل منه اشياء مثل تضرعات عبدة الكواكب من الصابئة ــ وقد رأينا عند الهنود رجالهم ونسائهم الأدعية المباركة والاسماء الالهية معظمة ومحترمة ايضًا مثل التجائهم الى الكواكب والتضرع اليه والدعاء بين يديها وسوالهم اياها مثل الذي في كتب المسلمين في العمليات.

ائمة المساجد في القرى في الاصل يعهد اليهم علاوة على امامة الصلاة بالجماعة غسل الاموات وتجهيز الجنائز و الاذان في اذن المولود وذبح ذبائح العقيقة و الاضحية وغيرها من الاعمال الدينية التي يحتاج اليها المسلمون في اجتماعهم دوامًا. و امام المسجد اذا كان عفيفا يعظمه الناس جميعا - ثم اذا احدثت لهم حاجة اعيت بهم المذاهب في قضائها التجأوا الى امام مسجدهم فيكتب لهم تمائم ويعلمهم ادعية تقضي حوائجهم. فاذا قضيت حوائجهم بتلك التمائم والادعية ازدادوا احترامًا وتعظيمًا في امام مسجدهم و اعتقدوا فيه اعتقادًا حسنًا.

و امثال هؤلاء الائمة غالبهم جهالا ليس لهم علم الا بمثل كتب العمليات. فقد رأيت امرًا عجيبًا وهو انني اعرف اللسان البنجابي والسندي فرأيت صدفة كتابا باللسانين عند احد ائمة المساجد في احدى القرى و هو مشتمل على الايمانيات وعلى الشركيات معًا. و رأيت مرجع دين اولئك العامة هو ذلك الكتاب بواسطة ذلك الامام وهم لا يعرفون شيئًا من الامور الدينية ولا شيئًا من القرآن

وعندهم بعض كتب الفقه بلسانهم يأخذون منه مسائل الطهارة و صلاة الجنازة وعند بعضهم كتاب في الخطب الجمعية مشتمل على اشعار في الوعظ فقط.

وهذه الاجتماعية هي السائدة في بلادنا الهند في الاقطار المتاخرة منها وهذا الذي شرحناه من حال المسلمين نقيس عليه حال اليهود بعد تركهم كتاب ربهم في بيعهم — وغالب ظني ان الاجتماعيات الفاسدة انما تسربت الى المسلمين من اليهود ولنشرح الآية على هذه النظرية.

قوله:- وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيٰطِيْنُ عَلٰى مُلْكِ سُلَيْمٰنَ ۚ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمٰنُ وَلٰكِنَّ الشَّيٰطِيْنَ كَفَرُوْا يُعَلِّمُوْنَ النَّاسَ السِّحْرَ ۖ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوْتَ وَمَارُوْتَ ؕ

اتبع اليهود ماتتلوا الشياطين على عهد سليمان. سليمان عليه السلام كان اخذ رجالا اقوياء مثل الجن من الامم المجاورة له.

اذا تمثل الجن في افكار عامة الناس فانهم يظنون انهم اقوى من البشر بمراحل ثم ان هناك طائفة من الجن نسميها بالشياطين.

فسليمان عليه السلام قد كان اخذ من الامم المتاخمة له رجالا اقوياء بواسطة ملوكهم وسخرهم للاعمال الشاقة. وخصص بني اسرائيل للاعمال الشريفة التي كانوا يعرفونها من نظام الفراعنه.

وهؤلاء الرجال الاقوياء الذين نجعلهم مثل الجن كانوا يعملون لسليمان تحت ضغط العاملين الاقوياء وكانوا يعتقدون انهم لايستطيعون الفرار والتخلص من حكم سليمان وانه لايقبلهم ملوكهم اذا رجعوا الى ماكنهم. فدخل فيهم بعض الجن الذين في امكانهم التشكل بشكل البشر هذا ليس بمستبعد عندنا فنحن نعلم جمعيات سرية بعد ان تمسكوا باعمال يمكنهم بها تسخير بعض القوى المثالية من ادنى طبقات عالم المثال

بوحي الجن الشياطين. لأن الاتصال بالقوي العالية يصعب عليهم ولأن سليمان نبي

فهؤلاء الجن شرعوا سنناً شركية بما يمكنهم ان يسخروا القوي المثالية.

ونحن نعرف ذلك في الهنود المشركين رجالاً اولى عزم يعملون رقي وتمائم

بلعمال شركية ويعطونها الناس فينجحون في حاجاتهم من شفاء المريض

وغيره فان سمينا ذلك العمل سحراً فلا بأس فان هذا يقرب الى اذهان

المتدينين حقيقة احوالهم والا فالسحر شئ غير هذا وهم قد تعلموه.

وقد رأينا في الصوفية المسلمة جماعة تعلموا السحر والعمليات جميعاً

من الهنود. ثم جردوا الشركيات من غيرها وادخلوا فيها اسماء الله الحسنى

وصورة العمل لم يتغير ولها تأثير مثل الاول وليس فيها شرك.

وقد كان عندنا في الهند رجل من الصوفية وهو الشيخ غوث الگواليارى

وقد وضع كتاباً في العمليات وسماه الجواهر الخمسة. ومن الذين اخذوا

عنه طريقته الشيخ وجيه الدين الگجراتي وهو عالم جليل له حاشية على

الجامي (في النحو) وعلى شرح النخبة — ورحل ناس منهم الى الحجاز ايضاً

فاخذ كثير من علماء الحجاز العمليات السيني وغير ذلك. فاذا عرفنا هذا في

المتدين المسلم ثم عرفنا مثل ذلك في المشركين فهل نقدر بعد ذلك

بان نحكم بان كل ذلك باطلٌ؟ ولذلك جاء الامام ولي الله في التفهيمات

بشرح احوالهم. والبوني احد علماء المغاربة المشهورين له اعمال كذلك ايضاً.

ونقول بان اليهود تركوا كتاب ربهم واشتغلوا بما كان يعمله الشياطين

في عهد سليمان مع الكفريات والشركيات مثل هنود بلادنا.

وقوله وما انزل على الملكين.

اتبعوا ما انزل على الرجلين الصالحين الذين هما مثل الملائكة

في صلاحها. كالبوني ومحمد غوث الگواليري. وهذان الرجلان كانا ببابل ويسمي احدهما هاروت والآخر ماروت وقد بقي من تاريخهما عند اليهود وراثي منقول ايام حبسهم في بابل مثل ما نجد في كتب العليات ذكر دانيال.

وقد بقي عندهم تلك الاعمال وورثوها بواسطة جمعيات سرية يرجع عهدها الى زمن سليمان.

وقد اتبعوا هذه الاعمال التي هي مختلطة بشيء من وحي الشياطين وبشيء من الملائكة. قوله - فيتعلمون منهما.

اي فيتعلم اليهود ما تتلوه الشياطين على ملك سليمان ومما انزل على الملكين. عامة المفسرين يجعلون الضمير في (منهما) يعود الى الملكين والبعض الآخر الى الشياطين ولا يستطيعون حل ما ذكر بعده.

وانما جاء البلاء كله من ارجاع الضمير اليهما لا الى ما تتلوه الشياطين والى ما انزل على الملكين. وقد تفطن مولانا اسماعيل الصدر الشهيد فجعل مرجع الضمير ما تتلوه الشياطين وما انزل على الملكين في كتابه ايضاح الحق الصريح في احكام الميت والضريح. ومثل بذلك الحالة الاجتماعية لعلماء المسلمين في دهلي بل وفي اقطار الهند الذين يقومون بانكارهم على الامام ولي الله واصحابه. فان اولئك العلماء تركوا كتاب الله ونبذوه وراء ظهورهم واتبعوا ما نقل من الفلاسفة اليونانيين مثل ارسطو وافلاطون وما نقل من فقه الامامين ابي حنيفة والشافعي فصاروا لا يعرفون الا الفلسفة والفقه. وهذا حقيقة حالهم.

يقول الشيخ هؤلاء مثل اليهود الذين اتبعوا ما تتلوه الشياطين وما انزل على الملكين رأينا في هذا البيان امرا عجيبا لم يتوجه اليه المفسرون. ورأينا

الاجتماعية الدينية في حال انحطاطها انها تتنزل الى تلك الحالة . وقد رأينا ذلك فى الهنود ورأيناه كذلك فى المسلمين . واذا نظرت الى البوذية رأيت عجبًا.

ونحن نعرف ان فى الحرمين كان الناس يتسألون عن العمليات وعن التمائم وكانوا يجتمعون في مواسم الحج في عهد الأتراك لأجلها ونرى دلائل الخيرات و قصيدة البردة وامثالها كانت منتشرة وكانت تقرأ علنا. وهذا النوع قريب من ذلك وان كانت الأوصاف تختلف .

ونرى اليوم البردة يقرأها الناس لانجاح حوائجهم ويجعلها البعض دعوة شركية فى المسلمين ثم حالة الانحطاط كلها تكون على الدوام متقاربة جدًا.

وبهذا قد فرغنا من شرح اصل الآية ولكن بقي علينا جملة منها فلنشرحها.

فقوله. وماكفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر

كانت الشياطين تشيع طريقتها بين الناس بقولها ان سليمان لم يصل الى ما وصل اليه الا بهذا الطريق .

ولعله يكون لسليمان شياطين بمقابلة اولئك الشياطين. يقولون انه كما ان عند سليمان جمعيات سرية كذلك عندنا جمعيات سرية .

وقد تأثر اليهود بذلك ايضًا فيقولون ان سليمان في آخر عمره لجاز الكفر والشرك في بيوته ولا يؤمنون بنبوته كل ذلك بتأثر اليهود من دعايات تلك الشياطين اذ كانت جماعة منهم يأخذون تلك الأعمال من الشياطين.

وقد رد الله عليهم بان سليمان لم يكفر وانما كفرت الشياطين بتعليم السحر للناس .

الانكشافات الطبيعية اذا ذكرت عند ناس بعيدين عن العلوم و الفنون لا يسمونها الا سحرًا. كذلك الانكشافات المثالية يسمونها سحرًا -

والمثال على طبقات. وقد شرح ذلك الامام ولي الله في حكمته. فالحق المحض منحصر في حظيرة القدس وبعدها ايضا طبقتان متوسطة. وسافلة وفيهما الحق والباطل. والسحر انما ينشأ من تسخير القوي المثالية وتسخيرها في قدرة الشياطين والجن وابن ادم على حد سواء. عندي انكار طائفة من اهل العلم امثال هذه راجع الى عدم وقوفهم على حقيقة الامر كانكار الرجل المتدين على علم النجوم والرمل وغيرهما لعدم وقوفه عليهما.

والحكيم اذا لم يعرف ان بعض الحقائق يضر الناس ولذلك يمنع الانبياء عن تعليمه وتعلمه لعدم احاطتهم بتلك الحقائق لا لبطلانها لا يسهل عليه حل كثير من المشكلات.

قوله:- وَمَا يُعَلِّمٰنِ مِنْ اَحَدٍ حَتّٰى يَقُوْلَآ اِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ

هؤلاء أصحاب العمليات والتمائم الصالحون منهم يشترطون ان لا يستعمل ذلك في حرام. وعندنا في الفقه الحنفي ان من شرع بسم الله الرحمن الرحيم في اكل طعام حرام قطعا يكفر. استعمال المقدمات في المحرمات كفر.

فَيَتَعَلَّمُوْنَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُوْنَ بِهٖ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهٖ

عمل تمائم الحب والقبول والبغض هو مقصد هؤلاء الى يومنا هذا.

اخبرني رجل ثقة بحكاية تتعلق بالموضوع وهي ان رجلا من ائمة المساجد من احد القرى كان له معرفة تامة بعمل التمائم والتولة للمحبة والقبول وكان العشاق يستعينون به في اغراضهم ويدفعون له نقودا كثيرة جدا.

وكان بعمله هذا اذى خلقا كثيرين فاراد بعضهم ان ينتقم منه ويجازيه جزاء وفاقا فجاء اليه وتباكى بين يديه بكاء مرا الى ان لان قلبه عليه فسأله عن سبب بكائه هذا البكاء فقال ياسيدي اني عاشق ولهان وميت في حب

امرأة ولكن لا استطيع ان ابوح باسمها احترامًا لك وتأدبا معك فأرجوا ان تعينني على قضاء حاجتي ودفع له مبلغًا جسيمًا. فقال له الشيخ لابأس ثم قال الرجل للشيخ ياسيدي صادف اسمها اسم ابنتك واسم ابيها اسم حضرتك صدفة فانخدع الشيخ بكلام ذلك الرجل وكتب له تميمة فما رأى ذلك الامام الا وبنته في بيت ذلك الرجل. فعلم بعد ذلك بحيلة الرجل وانه اراد ان يجازيه ربه على عمله الشنيع بمثله فتاب توبة نصوحًا. ولم يعد الى عمله بعده ابدا.

وقوله. منهما — اي من العلمين. مايفرقون به بين المرء وزوجه

وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ

كل حركة وكل سكون وكل نفع وكل ضر يقع فى الكائنات انما هو بقدر الله وتدبيره لايشك في هذا مؤمن والحكيم. ولكن الانسان مأمور باتباع فطرته برجوعه الى حظيرة القدس ومأمور بترك كل مايبعده من حظيرة القدس. فاذا خالف هذا المنهج المخصوص بفطرته. وان كان في امر الله وتدبيره امرًا جائزًا فانه يضر نفسه ولا ينفعها والى ذلك الاشارة في قوله

وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ — وقوله:-

وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ ۚ قف

كل من يشتغل بذلك يبعد عن منهج الانبياء وعن حظيرة القدس ويحرم على الانسان ان يشتغل بالامور المختلطة بحق وباطل من الفلسفة والنجوم والسحر وامثالها واشاعتها فى الاجتماعية الانسانية تصدها عن الامور الضرورية اللازمة لها والواجبة عليها.

قوله:- وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (١٠٢)

فانهم باعوا انفسهم بمنافع جزئية حقيرة ولو انهم اشتغلوا بالكتاب

مثل اشتغالهم بتلك الاعمال لكانوا حكماء ملوكا.

قوله:- وَلَوْ اَنَّهُمْ اٰمَنُوْا وَاتَّقَوْا لَمَثُوْبَةٌ مِّنْ عِنْدِ اللّٰهِ خَيْرٌ ط وذلك الخير كالعلم والحكمة والاتصال بحظيرة القدس وغيرها

ع لَوْ كَانُوْا يَعْلَمُوْنَ (۱۰۳)

وبهذا تمّ العنوان الثّاني.

في بيان ان بني اسرائيل بعد موسى انحطوا غاية الانحطاط لاسباب كثيرة ثم تم انحطاطهم عند نزول القرآن وصاروا بحيث لا يجوز ان يتعاون معهم بل يجب الابتعاد عنهم كما يجب الابتعاد عن المرضي بمرض معدي.

العنوان الثالث من (۱۰۴) الى (۱۲۱) في بيان انه اذا بلغ انحطاط بني اسرائيل الى ما ذكر في العنوان الثاني ينبغي ان ينسخ دينهم ومع ذلك الانحطاط فيهم كانت جماعة من الانصار تأثرت منهم قبل الاسلام وصاروا يؤثرون لهم عليهم بعد الاسلام ايضًا. فوجب ان يعلموا الاعراض عنهم لئلا يسرى خبثهم في هذا الدين الجديد.

قوله:- يٰاَيُّهَا الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا لَا تَقُوْلُوْا رَاعِنَا

المسلمون لما رأوا اليهود يحترمون النبي بعبارة خاصة ظنوا انه هكذا ينبغي ان يحترم الانبياء لان اليهود في نظرهم اعرف منهم بهذا الامر فقلدوهم فنهوا عن ذلك لان التشبه الظاهري ولو في الامور المباحة ربما يؤدي الى الاقتداء بهم.

ولليهود دعايات دقيقة خفية في الرد على الاسلام والدعوة الى اليهود المنحطه لا يطلع عليها ولا يفهمها عوام المسلمين ولذلك نهوا عن التشبه

الصوري وحرم ذلك عليهم لكن بشرط رعاية الحكمة اعني يجب عليهم ان يمعنوا النظر في مقصد كلامهم فان رأو فيه مايفهم منه غرضًا خاصًا لهم يجب الاحتراز عنه و الاحتفاظ منه.

و انما اشترطنا ذلك الشرط للتجنب من فقهائنا المعاصرين لنا فانهم عند نهي الناس عن التشبه بالكفار لا يعلمونهم مراعاة الحكمة فافسدوا الفقه ولحار الناس فتركوا الاخذ باقوال الفقهاء واشتغلوا بأرائهم واهوائهم.

وفي هذا دليل على ان المسلمين انحطوا غاية الانحطاط في قانونهم المدون وصار لايصلح لهذا العصر ولذلك يجب تبديله وتغييره ولايمكن التبديل الابعد الانقلاب والتدبر في مسائل الانقلاب والجهاد حرم منه المسلمون واهل العلم بسبب فساد أرائهم كما حرموا من اتباعهم.

قوله:- وَقُولُوا انْظُرْنَا وَاسْمَعُوا ؕ

اي خذوا الاحكام من النبي ﷺ رأسًا لامن اليهود.

قوله:- وَلِلْكٰفِرِيْنَ عَذَابٌ اَلِيْمٌ ﴿١٠٤﴾

اذا لم يترك اليهود يهوديتهم المنحطة فانهم يستوجبون العقاب واذا دعوا الى اليهودية ايضًا يضاعف لهم العذاب.

قوله:- مَا يَوَدُّ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا مِنْ اَهْلِ الْكِتٰبِ وَلَا الْمُشْرِكِيْنَ اَنْ يُّنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِّنْ خَيْرٍ مِّنْ رَّبِّكُمْ ؕ وَاللّٰهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهٖ مَنْ يَّشَآءُ ؕ وَاللّٰهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيْمِ ﴿١٠٥﴾

في هذه الآية اوضح الله سبحانه حكمة الحكم السابق في الآية التي قبل هذه - والمشركون في مكة واهل الكتب في المدينة من انكر منهم

الاسلام والقرآن وكفر بهما فانه لا يود أن ينتظم مانزل اليكم من الدين وهو تكون جماعة تقوم بالحكومة العسكرية . ولذا يبثون الدعايات فيكم ومن دعاياتهم التلفظ بكلمة ذات معنيين يؤذون بها النبي وتتبعونهم في ذلك من غير علم وفهم وانتم لا تقصدون بتقليدهم ايذاء النبي كما يقصد اولئك واذا فهمتم مرمى كلامهم تتركون تقليدهم والتشبه بهم. قوله :-

مَا نَنْسَخْ مِنْ اٰيَةٍ اَوْ نُنْسِهَا نَاْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ اَوْ مِثْلِهَا ؕ اَلَمْ تَعْلَمْ اَنَّ اللّٰهَ عَلٰی كُلِّ شَیْءٍ قَدِیْرٌ ﴿١٠٦﴾ اَلَمْ تَعْلَمْ اَنَّ اللّٰهَ لَهٗ مُلْكُ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ ؕ وَمَا لَكُمْ مِّنْ دُوْنِ اللّٰهِ مِنْ وَّلِیٍّ وَّلَا نَصِیْرٍ ﴿١٠٧﴾

يهود المدينة كانوا ادخلوا في افكار الانصار قبل الاسلام ان التوراة كتاب لا ينسخ ابداً ثم جاء القرآن باحترام التوراة فصار الانصار يوقرون اليهود وقد اوضح الله في الآيتين (١٠٦) و (١٠٧) معنى النسخ حتى يثبت في اذهانهم ذلك ويفهموا ان التوراة نسخ كثير من احكامها. فقوله :- ما ننسخ من آية الخ كل ما ينسخ من الاحكام لا يعاد . وما ينسى من الاحكام يعاد بعد زمان اذا اقتضت المصلحة. قوله :- نأت بخير منها او مثلها.

شرح الامام ولي الله في حجة الله البالغة ان التثليثة مختصة بالشرائع والمناهج واصل الدين واحد لا يتغير فان الشرائع والمناهج تتبدل بتبدل الاحوال ويكون الحكم في تلك الاحوال في درجة واحدة ولا يقال في هذه الحالة ان الشرع المتأخر خير من المتقدم ولا خلاف بينهما . وقد يكون النسخ مع الخلاف في الاصل اذا تهيأ قوم (لنظم الخلاف) وتلك الشريعة تكون خيراً من الاولى فانكار اليهود جواز النسخ ليس بصحيح . وقد اشير الى ذلك في قوله :- الم تعلم

ان الله على كل شيء قدير. يعني اذا تبدل الحكام يتبدل الاحكام والقانون ايضاً
ومعنى عدم جواز النسخ هو ان لا يتبدل الحكام لان اليهود لا صلاحية لهم ولا استعداد للقيام بالخلافة. ولكن القانون لا يتبدل عندهم. وقد تبين لهم ان الله قادر ان يبدل القانون كما بدل الحكام. ويبدل القانون بلسان الحكام حتى يسهل عليهم فهمه ثم تنفيذه.

تنبيه

قد رأينا في الهند القانون الاكبري احسن ما رتب في مبدأ الالف الثاني لتنظيم امور الهند وقد كان ثلاثة من اولاد اكبر الذين هم خلفاءه في الدرجة الاولى في الحكم وثلاثة منهم في الدرجة الثانية. وبعد هؤلاء الست ضاعت قوة الحكم من تلك العائلة وما استعد لاقامة الامبراطورية الاقوم من اوربا وقد سعوا في ذلك نحو مئة سنة فانتقل الحكم اليهم بالتدريج. وكانوا في اول امرهم يستعينون بقضاة مسلمين ومديرين منهم حتى تعلموا القانون. و بالتدريج نقلوه الى لسانهم وبعد تغييرات طفيفة و تنسيخ بسيط اخرجوا المسلمين من المحاكم واستبدوا بالامر واستعانوا في ذلك بالهنود ولانهم أمنوا جانبهم وقد مضى على ذلك ايضاً مئة سنة ايضاً فقام الهنود الآن. ولا نعلم ما يأتي الى بلادنا بتنازع الامم الثلاثة عليها.

نحن نفكر في ان نتحد مع الهندو و نسترد ملكنا من ايدى المتغلبين على بلادنا ونعلم اننا نستطيع حفظ انفسنا من الهندو. ولكن للمتغلبين علينا سياسة مجربة وهي يفرقون بين مسلمي الهند وبين سكان وطنهم بدعايات اتحاد الاسلام من المراكز الاسلامية الواقعة في قبضتهم. وهذا هو السبب الوحيد على تغلبهم على مراكز المسلمين و احتلالهم لها بواسطة سفرائهم

وقاصلهم سياسيًا - وقدكان الأنجليز مسالمين للخلفاء العثمانيين المتأخرين ضد روسيا فبثوا بواسطتهم دعايات حثيثة في الهند لاتحاد الاسلام.

ولما قام شبان الأتراك واستبدوا ومالوا الى الألمان اقام الانجليز مركز اتحاد الاسلام في بلاد العرب وجعله في مصر[1] وبثوا الدعايات من هناك في الهند - ولما رأى ذلك بعض شبان الهند وبعض شبان الاتراك اجتمعوا في بعض عواصم اوربا فصار الانجليز عدو الدودًا للاتراك وخافوا من دعاية اتحاد الاسلام - ويريد الانجليز الآن تنظيم العرب مرة ثانية لذلك الغرض نفسه لأن العرب في بث الدعاية لاتحاد الاسلام بلسانهم خلفاء الانجليز وكلاؤهم والانجليز مطمئن جدا من جهتهم لايخاف منهم.

والقوة المعارضة لنا في الهند حزب قائم على انقاض الحزب المتقدم يدعوا جميع المسلمين في جميع اقطار الارض الى اتحاد الاسلام ولعلهم يجعلون مركزهم مصر ايضًا هذا الحزب من المسلمين المعارضين لنا خادم أمين ونافع للانجليز جدًا - والى الله المشتكي من صنائع الامم المنحطة وتلاعبهم بالاسلام.

قوله :- الم تعلم ان الله له ملك السموات والأرض.

الملك لله يبدل فيه خلفاءه فتتبدل الأديان فلما اراد الله ان يقيم من قريش ومن العرب خلافة في الأرض نسخ الاديان التي كانت قبل هذا.

ومسألة النسخ فرع لهذا.

قوله :- ومالكم من دون الله من ولي ولا نصير.

يعني ان الله وليكم وهو ناصركم وهو الذي اراد استخلافكم.

---

[1] ماقال شيخي العلامة كان في الزمن الذي كان الملك الفاروق متسلطا على مصر وكان تحت اثر الانجليز واما الآن فقد تغيرت السياسة واخرج الفاروق من مصر واستقل مصر واخرج الانجليز. كتبه ابو سعيد السندي.

قوله:- أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِنْ قَبْلُ ط

كان اليهود علموا بعض الانصار ان يسألوا النبي صلى الله عليه وسلم عن موعد حصول الخلافة لهم حتى يطمئنوا. وقد كان هذا السؤال مثل سوال اليهود موسى ارنا الله جهرة ولذلك الاصرار على هذا السوال كفر والى ذلك يشير قوله تعالى:-

وَمَنْ يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١٠٨﴾

وقد حفظ الله المؤمنين. ولكن اهل الكتاب يحبون ان يرتد المسلمون والى ذلك يشير

قوله:- وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا ۚ حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ ۖ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾

ولما علم المؤمنون ذلك منهم هموا بمخاصمتهم ومنازعتهم ولكن المصلحة الدينية كانت تمنعهم في ذلك الوقت من ذلك ولذلك امروا بقوله فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره. اي بأمر الجهاد والخصام. إنّ الله على كل شيء قدير.

وبعد هذا امروا بتقوية الجماعة في ذلك الوقت بقوله:-

وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٠﴾

وفي اية (١١٠) دعاية اليهود لبني اسرائيل. قوله تعالى:-
وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ ط

هذا مثل مايدعى كل طائفة من طوائف المسلمين انهم هم الناجون فقط و

ان الوعد للمؤمنين بدخول الجنة المراد بهم هم وحدهم دون غيرهم من الفرق .

كذلك هاتان الملتان فانهما كانتا من اتباع التوراة ولكن ادعت كل واحدة

منهما انها هي وحدها على الحق . وبطلان هذه الدعوى يظهر عند مطالبتها بالحجة .

قال تعالى :- تِلْكَ اَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ اِنْ كُنْتُمْ صٰدِقِيْنَ ﴿١١١﴾

طولبوا ببرهان من الكتاب والأفكل رجل له نظرية خاصة تتعلق به .

تنبيه

المسلمون اليوم مبتلون بتلك المصيبة نفسها وقد اعتمدوا على بعض

احاديث رويت في كتب طائفة من اهل السنة والثقة في نظريتهم تلك وتلك الأحاديث

لا تنفعهم عند احتدام الخصام وانما كان الواجب عليهم ان يعتمدوا على الكتاب

الذي هو مستند الجميع ولكن للمسلمون لا يتدبرون فيه الا اتباع الامام ولي الله .

والمصريون الذين يتدبرون في القرآن لا يخرجون من جماعة الامام ولي الله

بتوسط جمال الدين الافغاني الذي ايقظهم[١] - انتهى التنبيه .

قوله :- بَلٰى مَنْ اَسْلَمَ وَجْهَهٗ لِلّٰهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهٗٓ

اَجْرُهٗ عِنْدَ رَبِّهٖ ۠ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُوْنَ ﴿١١٢﴾ ع

(في الهامش: المصريون الذين يتدبرون في القرآن لا يخرجون من كونهم من اتباع الامام ولي الله بواسطة جمال الدين .)

عامة التوراة هي صحيفة ابراهيم فان الصحيفة الأولى منها وهي التكوين هي

صحيفة ابراهيم . وقد امر الله باتباع دين ابراهيم فتكون النجاة نصيب كل من

اتبع دين ابراهيم سواء كان يهوديا او نصرانيا بحكم الكتاب . وليس الاختلاف

بينهما الا كالاختلاف بين الحنفاء والصابئة ولا يمكن الفصل بين هذا الاختلاف .

[١] (١٨٣٨ - ١٨٩٨) ولد في اسعد آباد افغانستان ، جال في الشرق و الغرب فاحرز ثقافة واسطة دعا الى الوحدة الاسلامية .

قبل يوم القيٰمة ابدا. ولذٰلك ينبغي الرجوع الى الاصل الذي هو دين ابراهيم تاركًا كل اختلاف فى الخصوصيات المذهبية.

اما لو ان اليهود والنصارىٰ اتفقوا على تعيين شيءٍ من دين ابراهيم لكان اتفاقهم ذٰلك حجة ولكن لما لم يكن ذٰلك ولا يمكن ذٰلك قبل يوم القيٰمة فان الرجوع الى الاصل الذي هو دين ابراهيم واجب. والىٰ ذٰلك يشير قوله تعالىٰ:-

وَقَالَتِ الْيَهُوْدُ لَيْسَتِ النَّصٰرٰى عَلٰى شَيْءٍ ۖ وَّقَالَتِ النَّصٰرٰى لَيْسَتِ الْيَهُوْدُ عَلٰى شَيْءٍ ۙ وَّهُمْ يَتْلُوْنَ الْكِتٰبَ ۗ كَذٰلِكَ قَالَ الَّذِيْنَ لَا يَعْلَمُوْنَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ۚ فَاللّٰهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ فِيْمَا كَانُوْا فِيْهِ يَخْتَلِفُوْنَ ﴿١١٣﴾

المراد بالذين لا يعلمون الكتاب هنا هم الصابئة. وامّا حملها على اهل مكة فغير صحيح. فان النزاع فى الدنيا ليس الا بين الحنفاء والصابئة.

مسئلة اخرىٰ مِنَ الدّعاية

البحث والمناظرة في مسألة القبلة.

اليهود والنصارىٰ مختلفون في جهات القبلة ومع ذٰلك يوجبون على غيرهم التوجه الىٰ جهات قبلتهم واتباعهم فيها. ومقصدهم من هذا هو افساد مركزية المسجد الحرام مع ان مسألة القبلة من مسائل فروع الملة لا من اصولها التي لا يجوز تركها بحال. فجعلها من اصول الملة ليس في ذٰلك الا ابطال مركزية المسجد الحرام فقط بل ابطال لجميع مساجد الملل على وجه الارض.

والبحث وان كان في مسألة المسجد الحرام الا ان الكلمة العمومية الا تترة توجب لاحترام جميع المساجد التي بنيت لذكر الله من مساجد جميع الملل. والىٰ ذٰلك يشير

يجب ان تحترم جميع معابد الامم

قوله تعالى:- وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَّنَعَ مَسٰجِدَ اللهِ أَنْ يُّذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعٰى فِي خَرَابِهَاۗ أُولٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَّدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ ۗ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَّلَهُمْ فِي الْأٰخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١١٤)

فقوله (من منع مساجد الله) في ضمنها اول مسجد بني على وجه الارض.

وهٰذه الكلمة العمومية وهي (مساجد الله) اقدرقدرها واعرف جهل مسلمي الهند كما اعرف عاقبة جهلهم فان هٰذا الجهل صار من اعظم الاسباب المانعة من رقي المسلمين في الهند فانهم ماراعوا حرمة معابد الهنود ولا احترموها من بداية حكمهم على الهند بسبب جهل (بعض) الفقهاء وتعصبهم الممقوت. بان الاديان المهمة المعتبرة هي اليهودية والنصرانية والاسلامية لاغير ولذلك لم يحترموا حرمة معابد الهنود ومساجدهم.

وقد سقطت الآن حكومتهم وزالت فصار الهنود ينتقمون منهم شر انتقام بهدم مساجدهم وتحويلها الى معابد اوغيرها فيدع الجهال والاغبياء واصحاب الاهواء للمسلمين الى منازلة الهنود وقتالهم بدون سلاح وبغير نظام بظن ان مسلمي العالم يؤيدونهم. وهٰذا الجهل المتراكم باجتماعيتهم وباجتماعيات المسلمين افسد كثيرًا من الامور الدينية التي كان يمكن اصلاحها اليوم.

نعم. المسلمون من العرب حولوا كثيرًا من المعابد التي كانت منصوبة باسم الاصنام في الجاهلية الى المساجد في عصر النبي وبعده ولكن كل ذٰلك كان بعد اسلام اولٰئك القوم وبعد اسلام تلك القبيلة وبيدها.

ومن اجهل الناس من معرفة اديان الله ومعرفة الحكمة الدينية

السياسية اولئك الفقهاء الذين اذا تغلبوا على امة حولوا معابدهم الى مساجد جبرا وقهرا وظنوا ان فعلهم هذا خدمة دينية.

الم يقرأوا في كتاب الله. ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسب الله عدوا بغير علم؛ وهل يجدون في سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم مثالا لذلك[1]؟ ولذلك نقول نحن لا نصوب فعل اولئك الملوك والسلاطين والفقهاء المتعصبين.

وقد ابتلى الاتراك بنفس ذلك الجهل عند فتحهم استنبول فكانوا حولوا كنيسة اياصوفيا الى مسجد وقد اضطروا الآن الى ارجاعها الى ما كانت عليه قبل الفتح — فاعمال السلاطين والفقهاء الجهال المتعصبين ليست على عاتق الاسلام ولا على مسئولية حكمه فان الله قد نص. ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله.

فاذا الاسلام يأمر باحترام كل مسجد بني لذكر الله وكل معبد على وجه الأرض ويقول (ومن اظلم ممن منع مساجد الله) جملة مسجد اية ملة كان يذكر فيها اسمه — وقوله. اولئك ما كان لهم ان يدخلوها) اي مساجدهم (الا خائفين) لان الزمان يتبدل والامور تتغير. وتلك الأيام نداولها بين الناس.

وقوله (لهم في الدنيا خزي) اذا كانوا عالمين مثل اليهود. ولكنا نعرف جهل كثير من اهل الصلاح باوامر الله ونواهيه. نسأل الله ان يغفر لهم.

ولنعد الى مسألة تعيين جهة القبلة. فهذا التعيين في جهة القبلة او في نفس القبلة ليس له اصل في الاديان. وانما الاصل فيها التوجه الى حظيرة القدس والى وجه الله بواسطة حظيرة القدس. فكل شخص يتوجه الى الله باخلاص فان حظيرة القدس تتوجه اليه اكثر منه قبل

[1] يعني ليس لهم في سيرة الرسول حجة لمثل ذلك التبديل قبل اسلام القوم. ابو سعيد السندي.

توجهه اليها. وقدجاء في الحديث مامعناه اذاتقرب اليّ العبد شبراً اقربت اليه ذراعًا واذاجاء اليّ ماشيًاجئت اليه مهرولاً. اوكما قال[1]. والى ذٰلك يشير قوله

وَلِلّٰهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ ۚ فَاَيْنَمَا تُوَلُّوْا فَثَمَّ وَجْهُ اللّٰهِ ۭ اِنَّ اللّٰهَ وَاسِعٌ عَلِيْمٌ ﴿١١٥﴾

يعني الجهات كلها عنده سواء. وانما يتعين القبلة لتنظيم راجع الى امام الملة وصاحبها ويكون هٰذا التعيين كتعيين موضع السوق لتسهل التجارة بين الناس فيسهل التوجه الى حظيرة القدس باعتبار القدرة و الاستطاعة والعلم بجهتها.

اما اذا كانوا غير عالمين ولا قادرين على التوجه فلا يؤاخذون على مخالفة ذٰلك الحكم. ومن جعل التوجه واجبًا على كل حال سواء جهل الجهة وعجز عن التوجه فقد ابطل جميع المساجد الامسجده. وهٰذا هوالخطأ الفظيع الذي نبه الله عليه. ومثل هٰذا الخطأ الذي هو حصر رحمة الله الواسعة في جهة هو تعيين رجل لقرب الله والى ذٰلك يشير قوله تعالى:-

وَقَالُوا اتَّخَذَ اللّٰهُ وَلَدًا ۙ سُبْحٰنَهٗ ۭ بَلْ لَّهٗ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ ۭ كُلٌّ لَّهٗ قٰنِتُوْنَ ﴿١١٦﴾

حقيقة عيسٰى ليست الارجل تقرب الى الله فحصروا جميع انواع التقرب في شخصه فأوقعوا الانسانية في الظلمات وقالوا من لم يتبع هٰذا الولد فلا نجاة له عند الله. قوله (سبحانه)

اي الله منزه ومبرأ عن ذٰلك. ولا يحكم على الله احد من خلقه.

وهٰؤلاء انما يريدون اثبات الولدية لأحد منهم لينزلوه منزلة من قبله وهٰذا الامر يرده الله. وهٰؤلاء يريدون ايضًا ان يتحكم عيسى على الله

[1] اخرجه الشيخان والترمذي راجع تيسير الوصول صفحة ١٠٥ ج ٢. السندي.

فيقبل الله منه مثل ما يقبل الوالد من اولاده وهذا اضلال ليس بعده ضلال والى ذلك يشير قوله - (بل له ما في السماوات والارض كل له قنتون) فكيف يقبل الله ان يتحكم عليه احد من القانتين له وكيف يجوز ذلك؟

ثم جاء هؤلاء بنظريات وتوضيحات واعذار باردة وقالوا انما سميناه ولدًا او نسبناه الى الله لانه من بدائع خلقه وليس له نظير فيهم. يشير الله في رد هذه النظريات والتوضيحات بقوله:- بَدِيعُ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ ۭ وَاِذَا قَضٰٓى اَمْرًا فَاِنَّمَا يَقُوْلُ لَهٗ كُنْ فَيَكُوْنُ ﴿١١٧﴾

ولذلك حكمه نافذ في السمٰوٰت والارض. واحكامه كلها بديعة.

وكما ان اليهود والنصارى غلوا في اثبات خصوصية المكان بشيء واثبات اختصاص رجل منهم بالله وكان غرضهم بذلك هوانهم ان لم يكن فيهم استعداد للتقرب الالهي يتمسكون بذيل ذلك الرجل ويتعلقون به وبذلك المكان المختص عندهم برحمة الله فيصيرون مقربين عند الله ونائلين الفوز لديه وهذا جهل وضلال كذلك.

وَقَالَ الَّذِيْنَ لَا يَعْلَمُوْنَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللّٰهُ اَوْ تَاْتِيْنَآ اٰيَةٌ ۭ

بجهلهم في معارضة الانبياء، ولا ينظرون الى عدم استعدادهم الذي لا يمكنهم من ذلك. ثم ان اهل الكتب يجعلون للانبياء مزية خاصة بها يتأهلون للخطاب ويجعلون المعارضين لتلك النظرية جهالا مع ان حكمهم في تخصيص الجهة وتخصيص الانسان بتلك المزية جهل وغباوة ايضا واليه يشير قوله:- كَذٰلِكَ قَالَ الَّذِيْنَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِّثْلَ قَوْلِهِمْ ۭ تَشَابَهَتْ قُلُوْبُهُمْ ۭ قَدْ بَيَّنَّا الْاٰيٰتِ لِقَوْمٍ يُّوْقِنُوْنَ ﴿١١٨﴾

ثم ان التكلف في دعوة اليهود الى الامر الحق وبذل الجهد في ذلك ربما

يوقعه في ظلماتهم ولذلك منع الله النبي عن ذلك ولئلا يكون سبباً
الدعايات اليهودية في امته واليه يشير قوله:- إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ
بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۖ وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٩﴾

ان لا تسأل انت عن اليهود والمعاندين. وامرك هذا انما هو لتسهيل اتباع الناس للحق – ولو اجتمع اهل الكتاب حول القرآن وهم اقرب الناس اليه لسهل اقامة الحق في الامم كلها ولكن ذلك غير ميسر لك لانهم معاندون واليه يشير قوله:- وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ
حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ لانهم لعنادهم لا يتركون دينهم الباطل مع علمهم ببطلانه
قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ يعني انما يأمر الله باتباع الهدى
الحق بعد التفهيم. هذه الهداية هي الهداية المطبوعة في الانسانية. اما ان يقوم رجل فيقول اتبعوني ولو لم تفهموا فهذا امر لا تجتمع عليه الانسانية ابداً وبعد هذا امر الله نبيه ان يقاطعهم.

قال تعالى:- وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ
مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾ ٱلَّذِينَ
ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ
بِهِۦ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٢١﴾ ع

وقف منزل

طائفة من اهل الكتاب يتلونه حق تلاوته فيقرون بوجود بشارة فيه باتيان نبي من بني اسمعيل.

وكل من حقق التوراة وقرأها بامعان او حقق صحف ابراهيم وجدها أيقن بوجود بشارة باتيان نبي من بني اسمعيل مثل موسى عليه السلام

ولهذا اعترف بفضل السيد احمد في توضيحه البشارة في خطبة من الخطب الاحمدية . قوله :- اولئك يؤمنون به .

وهم الذين يقال لهم اهل الكتاب واما الذين يكفرون بوجود بشارة باتيان نبي من بني اسمٰعيل فكانه كفر بالكتاب كله وبمفهومه المتحقق فيه اولئك ليسوا من اهل الكتاب حقا واليه يشير قوله :-

ومن يكفر به فاولئك هم الخاسرون .

وبذلك تم العنوان الثالث من الفصل الثاني والحمد لله .

الفصل الثالث من الفصول الثانوية من فصول بني اسرائيل

وفي هذا ارشاد لمن يتلوا الكتاب حق تلاوته ان يقيم الحجة على المعاندين من كتابهم الذي بيدهم وهذا من (١٢٢) الى (١٥٠)

يٰبَنِىٓ اِسْرَآءِيْلَ اذْكُرُوْا نِعْمَتِىَ الَّتِىٓ اَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَاَنِّىْ فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعٰلَمِيْنَ ﴿١٢٢﴾ وَاتَّقُوْا يَوْمًا لَّا تَجْزِىْ نَفْسٌ عَنْ نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَّلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَّلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَّلَا هُمْ يُنْصَرُوْنَ ﴿١٢٣﴾

واية (١٢٢) واية (١٢٣) فيها تذكير بني اسرائيل الفضائل التي تفضل الله بها عليهم . نقلت هنا ايات ملتقطة من صحيفة من صحف ابراهيم .

قوله :- وَاِذِ ابْتَلٰٓى اِبْرٰهٖمَ رَبُّهٗ بِكَلِمٰتٍ فَاَتَمَّهُنَّ ؕ قَالَ اِنِّىْ جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ اِمَامًا ؕ قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِىْ ؕ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى الظّٰلِمِيْنَ ﴿١٢٤﴾

كان ابراهيم قام في الملة الصابئة وامر بالهام من ربه ان يقيم عليهم الحجج فاقامها وامر بالهجرة فهاجر. وامر بتاسيس الملة الحنيفية في بيته فاسسها. وامر بذبح ولده فامتثل وامر بابعاد اولاده عنه لاقامة اوامر الله ففعل وبالجملة كل امر امر به ربه لدمغ الملة الصابئة واقامة الحنيفية. اتمهن.

ثم انه قد جاءت روايات عن النبي (بان من سنن الفطرة قص الشارب ونتف الابط وتقليم الاظفار ونحوها من الامور المنظفة لبدن الانسان، والمطهرة له فقط) فيدس المفسرون تلك الروايات تحت هذه الآية فيظن طلبة العلم ان المراد بتلك الكلمات هي هذه الامور فقط. وليس معنى تلك الروايات الا انها نماذج لتلك الكلمات فقط.

فطهارة البدن الظاهر مامور بها كما ان طهارة العقل والقلب مامور بها كذلك عما ينجسها من الشرك وغيره. وطهارة الدين والملة عما يدنسها من الشرك والتساهل والتهاون في امر الله وغير ذلك مامور بها ايضاً. وقد اتم ابراهيم جميع تلك الكلمات. ولذلك امر بتربية اولاده لاقامة ذلك الدين فاتمهن.

هذا الذي ذكرناه كله متفق عليه بين اهل الكتاب ولافخر بهم الا بمفاخر ابراهيم. ولذلك جعله الله اماما للناس. واليه يشير قوله:-

اني جاعلك للناس اماماً:-

وبعد ابراهيم عليه السلام كل من كان على طريقته يكون وارثاً لامامته والا فلا. واليه الاشارة في قوله:-

قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين.

ثم ان ابراهيم عليه السلام جعل هذا البيت مركزا لامامته للناس
وقد ذكر ما يتعلق بهذا البيت من اية (١٢٥) الى (١٢٩)

وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا ۖ وَاتَّخِذُوا مِن
مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ
أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ
السُّجُودِ ﴿١٢٥﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا
آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم
بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ
أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ ۖ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾ وَإِذْ يَرْفَعُ
إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ ۖ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا ۖ
إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ
لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا
وَتُبْ عَلَيْنَا ۖ إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَابْعَثْ
فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ

وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ ع

هٰذا اول بيت وضع للحنيفية و اما قبل ذٰلك فكان معابد للصابئة لا تنكر ولكن النّاس يعدون انكار وجود تلك المعابد ولو في الزمن السابق من مفاخرهم ويجعلون الحقائق الواقعية المتعلقة بهٰذا البيت امورا موهومة و مشتبهة لِلنّاسِ تعصبا منهم.

وقد كانت الصابئة تغلبت على هٰذا البيت بنحو ثلاث مائة سنة قبل الاسلام بيد عمرو بن لحى.

واما قبل ذٰلك فكان مركزا للحنيفية من ابتداء امره.

الحنيفية طابع راق للصابئة.

وليست الحنيفية الا طابع راق للصابئة رقيا جبليا وطبيعيا.

وقد كان الانبياء والمحدثون اذا يئسوا من هداية الناس بالصابئة في الزمن القديم لجأوا الى الحرم والى البيت يعمرونه فصارت الارض بذٰلك مستعدة لان تكون جامعة الامم وقد دفنت مئات الانبياء حول هٰذا البيت وتوجهت اليه حظيرة القدس منذ زمن ابراهيم متواليا من غير انقطاع لوجود رجال فيه متوجهين الى الله دائما.

حكمة عدم نزول جبريل الى النبي وهو في بيت الله.

كنت انا افكر دائما في حكمة عدم نزول جبريل الى النبي وهو في هٰذا البيت ثم اتضح لي ان البيت كان مملوءا بالاصنام وكان كانه مركز للصابئة فلو نزل الوحي والنبي في المسجد الحرام لاشتبه بالصابئة.

واما حراء فقد كانت الحنفاء من قريش يجتهدون و يتعبدون فيه ولذٰلك نزل الوحي فيه لاحياء الحنيفية وليس فيه سبب الالتباس بالصابئة وكان الغرض هٰذا المسجد وما حوله من الحرم. ولذٰلك نرى عرفات وما حولها

من الميادين والصحاری مملوءة من معابد ومقابر و افرادامم تمیل الی الحنیفیة
ولم تجعل هٰذه القطعة من الارض مرکزا الاختصاصها برجل اوقبیلة
اوقوم . وفیها الحنفاء من جمیع الامم بل جعلت مرکزا الاجتماع للحنفاء من
جمیع الامم حولها.

ودعاء ابراهیم واسماعیل بان یجعلهما مسلمین له ومن ذریتهما
امة مسلمة له فاستجاب. وجمع جمیع قریش حول الحرم منذ زمن قصی. و
کانوا قبل ذلك منتشرین فی القبائل ثم بعث منهم نبي مثل مادعوا بقولهما
ربنا وابعث فیهم رسولا یتلوا علیهم الآیة ایضا.

عندنا فی الهند جماعة من العلماء کانوا یناظرون اهل الکتاب منذ
دخول النصاری الی دهلي وبمساعي تلك الجماعة من العلماء اجتمعت کتب
کثیرة عندنا فنشرح بها هٰذا الباب من القرآن ولانحتاج الی اوهام المفسرین

ثم بعد هٰذا من آیة (١٣٠) الی (١٣٤) في تحقیق الملة الحنیفیة التي هي
ملة ابراهیم . قال تعالیٰ :-

وَمَنْ يَّرْغَبُ عَنْ مِّلَّةِ اِبْرٰهٖمَ اِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهٗ ؕ وَ
لَقَدِ اصْطَفَيْنٰهُ فِى الدُّنْيَا ۚ وَاِنَّهٗ فِى الْاٰخِرَةِ لَمِنَ الصّٰلِحِيْنَ ﴿١٣٠﴾
اِذْ قَالَ لَهٗ رَبُّهٗۤ اَسْلِمْ ۙ قَالَ اَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعٰلَمِيْنَ ﴿١٣١﴾
وَوَصّٰى بِهَاۤ اِبْرٰهٖمُ بَنِيْهِ وَيَعْقُوْبُ ؕ يٰبَنِىَّ اِنَّ اللّٰهَ اصْطَفٰى
لَكُمُ الدِّيْنَ فَلَا تَمُوْتُنَّ اِلَّا وَاَنْتُمْ مُّسْلِمُوْنَ ﴿١٣٢﴾ اَمْ كُنْتُمْ

شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ
مِنْ بَعْدِي ۖ قَالُوا نَعْبُدُ إِلٰهَكَ وَإِلٰهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَ
إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلٰهًا وَاحِدًا ۚ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿۱۳۳﴾

اتباع كل ماثبت انه من الله و انه امر الناس به بدون تخصيص واجب كما يجب ترك اماني كل قوم لهم وحدهم ويجب اتباع كل ماثبت انه من الله بواسطة اي قوم واي امة كانت على وجه العموم ايضا و هٰذا معنى اسلمت لرب العالمين. وهو الذى دعا اليه النبيون لانفرق بين احد منهم.

جماعة من ائمتنا وهم اتباع الامام ولى الله يؤمنون بانبياء ايران و توران و انبياء الحبشة وانبياء اليونان بسلامة صدورهم ولا يرون في ذٰلك انحرافا عن سنة نبينا لانهم ادركوا معاني السنة على مفاهيم الحكماء لاعلى مفاهيم الفقهاء فقط فاستوت عندهم دعوات جميع الانبياء واتضح لهم اتحادهم حقيقة باشتغالهم بحكمة الامام ولي الله.

هٰذه دعوة الاسلام لرب العالمين. الذي هو رب الامم والاقوام قد وصى بها ابراهيم بنيه اسماعيل واسحاق. ثم قام من بني اسحاق يعقوب و وصى بها بنيه ايضًا بقوله يابني ان الله اصطفٰى لكم الدين الذي هو دين رب العالمين. لادين رب قوم دون قوم.

ووصى كذٰلك بقوله (ولا تموتن الا و انتم مسلمون) اى على هٰذا الدين - فاساس الدين الحنيفي من ابراهيم واساس الاسرائيلية من يعقوب مطابقة لجده ابراهيم.

وقوله :- اذ قال لبنيه ماتعبدون من بعدي ؛ قالوانعبد الهك واله اٰبآئك ابراهيم واسماعيل واسحاق الٰهاواحدًا . اي الذي هورب العالمين .

فمن في استطاعة من اليهود والنصٰرٰى ان يدعى انه على طريقة ابراهيم اوعلى طريقة يعقوب ! فان بين هٰؤلاء اليهود والنصارٰى وبين اولٰئك الرسل الائمة بونًا بعيد اجدًا .

تنبيه

مثال لذٰلك عندنانحن نعرف الامام ابا حنيفة وابايوسف ومحمد بن الحسن وزفر بن الهذيل والحسن بن زياد دونوا قانونًا للمسلمين ونفذوه بواسطة القضاة ودرسوه فى المدارس ونقول نحن الأن اننا احناف على طريقتهم . فهل بيننا وبينهم نسبة و مناسبة في شئ ؟

ونعرف الامام ولي الله انه جدد الفقه الحنفي باشارة الهامية من النبي صرح بذٰلك في كتابه (فيوض الحرمين) فتبين لنا بعد ذٰلك الفرق بين عامة الفقهاء وبين اصحاب الامام ابي حنيفة . والى هٰذا البون البعيد اشارة في قوله :-

تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ۖ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾ وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾

وقد جدد النبي صلى الله عليه وسلم طريقة ابراهيم وطريقة يعقوب
ويأمر الناس بما في قوله تعالىٰ :۔

قُولُوْٓا اٰمَنَّا بِاللّٰهِ وَمَآ اُنْزِلَ اِلَيْنَا وَمَآ اُنْزِلَ اِلٰٓى اِبْرٰهِيْمَ وَاِسْمٰعِيْلَ وَاِسْحٰقَ وَيَعْقُوْبَ وَالْاَسْبَاطِ وَمَآ اُوْتِيَ مُوْسٰى وَعِيْسٰى وَمَآ اُوْتِيَ النَّبِيُّوْنَ مِنْ رَّبِّهِمْ ۚ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ اَحَدٍ مِّنْهُمْ ۖ وَنَحْنُ لَهٗ مُسْلِمُوْنَ ﴿۱۳۶﴾

هٰذا هو تجديد لدين ابراهيم. اما اليهود والنصارىٰ فانّما يدعون الى اليهودية والنصرانية المخطتين والىٰ ذٰلك يشير قوله :۔

وقالوا كونوا هودًا او نصٰرىٰ تهتدوا. قل بل ملة ابراهيم حنيفًا۔

يعني انه لا يمكن دعوة الامم الاعلىٰ اتباع ملة ابراهيم فقط في (۱۳۷)

قوله :۔ فَاِنْ اٰمَنُوْا بِمِثْلِ مَآ اٰمَنْتُمْ بِهٖ فَقَدِ اهْتَدَوْا ۚ وَاِنْ تَوَلَّوْا فَاِنَّمَا هُمْ فِيْ شِقَاقٍ ۚ فَسَيَكْفِيْكَهُمُ اللّٰهُ ۚ وَهُوَ السَّمِيْعُ الْعَلِيْمُ ﴿۱۳۷﴾

اليهود والنصٰرىٰ ان قبلوا تجديد الاسلام لدين ابراهيم فبها و الا فهم لا يستطيعون مواجهة الدعوة القرآنية۔

ثم النبي عليه الصلوٰة والسلام قام بتجديد الدين ولم يأخذ شيئًا من اليهود والنصٰرىٰ لئلا ينصبغ بصبغهم الباطل. فتوجه الله اليه بواسطة حظيرة القدس وانصبغ بصبغة واصل الدين

الابراهيمي محفوظ في حظيرة القدس فهي اعلم به من اليهود والنصارى
والى ذلك يشير قوله (١٣٨)

صِبْغَةَ اللّٰهِ ۚ وَمَنْ اَحْسَنُ مِنَ اللّٰهِ صِبْغَةً ۫ وَّنَحْنُ لَهٗ عٰبِدُوْنَ ﴿١٣٨﴾

ولما انصبغ النبي بصبغة الله تكونت فيه روح جعلته ان يقول (ونحن له عابدون) لرب العالمين المتجلي في حظيرة القدس التي هي مجمع الامم كلها۔

ثم ان اليهود والنصارى بثوا في الناس الدعاية بان ابراهيم و اسماعيل واسحٰق و يعقوب كانوا يهودًا و نصارى فاذا انحرف انسان عن اليهودية او النصرانية فقد انحرف عن دين ابراهيم وعن ابراهيم نفسه واولاده.

وقد روا الله على هذه الدعاية الباطلة بالمطالبة بالتوراة و قرأتها فاذا قراءواها فانهم اول مايجدون فيها اسم ابراهيم ثم اسماعيل واسحاق وبعد ذلك بزمن بعيد يأتي موسٰى وبعد موسٰى بمدة طويلة يأتي ذكر عيسٰى. فاذًا اتيان موسٰى وعيسٰى كان بعد ابراهيم بزمن طويل جدًا بشواهد الكتاب الالٰهى. فان اتوا اليهود والنصارٰى بشئ مخالف لكتاب الله ومناقض له. فكانهم ادعوا انهم اعلم من الله والى هذه الالزام اشارة في قوله (١٣٩) الى (١٤٠)

قُلْ اَتُحَآجُّوْنَنَا فِي اللّٰهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ ۚ وَلَنَآ اَعْمَالُنَا وَلَكُمْ اَعْمَالُكُمْ ۚ وَنَحْنُ لَهٗ مُخْلِصُوْنَ ﴿١٣٩﴾ اَمْ تَقُوْلُوْنَ

إِنَّ إِبْرٰهِيمَ وَإِسْمٰعِيلَ وَإِسْحٰقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا
هُودًا أَوْ نَصٰرٰى ۗ قُلْ ءَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللّٰهُ ۗ وَمَنْ أَظْلَمُ
مِمَّنْ كَتَمَ شَهٰدَةً عِنْدَهُ مِنَ اللّٰهِ ۗ وَمَا اللّٰهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٠﴾

وبعد هذا اعيدت اية .

تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا
كَسَبْتُمْ ۚ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤١﴾ ع

يعني ان بين اليهود و النصارى و بين اولئك الائمة بون
بعيد جدًا.

تَمَّ الْجُزْءُ الْأَوَّلُ

مسألة فرعيّة

هٰذه المسألة وقعت في عصر النبي وفي حياته وصارت سببًا لمشاغبة اليهود والنصارٰى مع العوام. وقد ذكرت هنا تتمة للبحث الذي مر ذكره قبل هٰذا قريبًا۔

جاء النبي عليه الصلوٰة والسّلام المدينة و توجه في صلاته الى قبلة مسجد اسحاق (القدس) ايامًا ففرح بذٰلك اليهود كثيرا۔ وكان في توجهه الىٰ تلك القبلة حكمة لم يفهمها النّاس.

وهي ان المهاجرين من قريش كانوا يتوجهون الىٰ قبلة ابراهيم واسماعيل فامتحانهم بان توجههم الىٰ تلك القبلة كان لانها قبلة قومية لهم او لانها قبلة ملية لازمًا۔ فان كان توجههم الىٰ تلك القبلة انما كان لانها قبلة ملية فانهم يتوجهون الى القدس الذي هو مسجد ابراهيم ايضًا مثل مسجد اسماعيل تمامًا فانهم يتوجهون اليها حال صدور الامر اليهم من غير اي تردد. فلما امروا توجهوا اليها جميعًا بكل اخلاص فنجحوا في امتحانهم واتضح للنبي انه ليس للقومية عندهم اي اثر۔ ولما لم يفهم هٰذه الحكمة السفهاء قاموا بمشاغبات طويلة عريضة وصارت سببًا لتشكك بعض الناس۔

وقد بين الله هٰذه المسألة بيانًا لامزيد عليه فشئ۔

قوله:۔ سَيَقُولُ السُّفَهَاۤءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلّٰىهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِيْ كَانُوْا عَلَيْهَا ؕ قُلْ لِّلّٰهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ ؕ يَهْدِيْ مَنْ يَّشَاۤءُ اِلٰى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيْمٍ ﴿١٤٢﴾ بقرة

اي تخصيص جهة القبلة ليس من اصول الملة فان نسبة الجهات كلها الى الله سواء و ترجيح جهة دون جهة انما يرجع الى مصلحة الناس. وقد كانت للحكمة الالٰهية ان يثبت للناس عدم تعصب قريش للقبلة القومية وانهم يتوجهون الى قبلة جميع الامم على السواء. وبذلك يصيرون ائمة للناس جميعًا لانهم لايتعصبون لقوم دون قوم و الى ذٰلك الاشارة في قوله.

وَكَذٰلِكَ جَعَلْنٰكُمْ اُمَّةً وَّسَطًا لِّتَكُوْنُوْا شُهَدَآءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُوْنَ الرَّسُوْلُ عَلَيْكُمْ شَهِيْدًا ؕ وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِىْ كُنْتَ عَلَيْهَآ اِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَّتَّبِعُ الرَّسُوْلَ مِمَّنْ يَّنْقَلِبُ عَلٰى عَقِبَيْهِ ؕ

لكون الرسول شهيدًا عليكم جعلنا قبلته الى القدس لمصلحة كانت في قلبه — وقد امره الله ان يتوجه الى القدس لان امامته للناس انما ظهرت بعد المعراج وقد صلى بالانبياء في القدس عند ذٰلك.

وبتوجهه الى القدس يريد ان يفهم الناس بان بانتقاله الى المدينة لايريد ان يتوجه الى المساجد القومية وحدها بل يريد ان يكـ[ـون] الامور العمومية معها ايضًا. وقد تبعه في ذٰلك اصحابه لانهم يكونوا في مقامه بعده لاداء ذٰلك الواجب و القيام بذٰلك المنصب فكان توجيه الى القدس لهٰذه المصلحة.

وَاِنْ كَانَتْ لَكَبِيْرَةً اِلَّا عَلَى الَّذِيْنَ هَدَى اللّٰهُ ؕ وَمَا كَانَ اللّٰهُ لِيُضِيْعَ اِيْمَانَكُمْ ؕ اِنَّ اللّٰهَ

بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾

عندنا معنى (ايمانكم) احتراسكم للبيت الحرام لجبلة طبيعية فاذا منعتم من التوجه اليه فكانكم كلفتم بشريعة غير فطرية وذلك يضيع القوة الايمانية من قلوب الاتباع۔

ولم يرد الله - واظبتكم على ذلك لما ذكرنا. فان الشبان والاتباع بل افراد القوم كلهم ليسوا بمتفقين في معرفة تلك الحكمة على السواء فاذا تشكك القوم في ائمتهم تضيع القوة الايمانية من صدورهم فتذهب قوتهم.

جاء في بعض الروايات تفسير معنى (ايمانكم) بصلاتكم الى البيت فاخذنا منها اشارة الى ما قلنا. والشراح يوجهون هذه الكلمة بتوجيه آخر كما في فتح الباري.

ومن اية (١٤٤ : ١٤٧) بحث في ان اهل الكتاب ايضاً يعرفون ان قبلة هذا النبي سيكون المسجد الحرام. والتوجه الى قبلة القدس انما كان لمصلحة وقتية عارضة. وفي صحائف التوراة اشارات كثيرة الى ذلك كما بين علماء الهند في مناظراتهم مع النصارى.

قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ۗ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾

وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَّا تَبِعُوا

قِبْلَتَكَ ۚ وَمَآ اَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ۚ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ
قِبْلَةَ بَعْضٍ ؕ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ اَهْوَآءَهُمْ مِّنْ ۢ بَعْدِ مَا
جَآءَكَ مِنَ الْعِلْمِ ۙ اِنَّكَ اِذًا لَّمِنَ الظّٰلِمِيْنَ ﴿١٤٥﴾ اَلَّذِيْنَ
اٰتَيْنٰهُمُ الْكِتٰبَ يَعْرِفُوْنَهٗ كَمَا يَعْرِفُوْنَ اَبْنَآءَهُمْ ؕ وَ
اِنَّ فَرِيْقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُوْنَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُوْنَ ﴿١٤٦﴾

فقوله:۔ (الذين اٰتينٰهم الكتٰب يعرفونه) اي تحويل القبلة (كما يعرفون ابناءهم) ۔ اذا رأى الانسان الاشارات الموجودة في كتب التوراة. يوقن بان هذا هو المراد (اَلْحَقُّ مِنْ رَّبِّكَ) يعني فى الكتب السابقة ايضًا وبذلك يتضح قوله:۔ فَلَا تَكُوْنَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِيْنَ ﴿١٤٧﴾ ع

قوله:۔ وَلِكُلٍّ وِّجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيْهَا

في هذا تنبيه على ان مسألة القبلة مسألة فرعية فان لكل امة قبلة حسب تعليم نبيها. فان كان فى التعليم الاتحاد (وهو اساس دين ابراهيم فلا يضر الاختلاف فى القبلة ولا اهمية لاختلاف جهاتها في نظر ذلك الدين

وليكن جهة القبلة راجعة الٰى مقتضي طبيعة كل قوم۔

وليس المقصود من التدين بدين الا الاتيان بالخيرات فاستبقوا اليها ولا تضيعوا اوقاتكم فى البحث عن الخصوصيات العارضة. وا...

لہ قال الامام ولي الله في ترجمته فتح الرحمٰن "کسانیکہ دادہ ایم ایشانرا کتاب ... شناسند ویرا (یعنی حقیت استقبال کعبہ را) چنانکہ می شناسند فرزندان ...

ابوسعید السندی۔

قوله:- فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ۖ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ وقف النبي
جَمِيعًا ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٤٨﴾ وَمِنْ حَيْثُ
خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ۖ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ
مِن رَّبِّكَ ۗ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٩﴾ وَمِنْ
حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ۚ
وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ
لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ ق
فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي ق وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ
وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٠﴾

ومن اية (١٤٩ : ١٥٠) تاكيد شديد على التوجه الى المسجد الحرام وانه ان وقع مثل ذلك التغير العارض والتحويل الموقت مرة اخرى فان عامة الناس يفقدون اطمئنانهم. فانه وان كانت المسألة فرعية الا انها لشاغبة الناس عليها صارت كانها اصلية فلا تغير ولا تحويل بعد هذا مرة اخرى لتلك الحالة العارضة والى ذلك يشير قوله (لئلا يكون للناس حجة عليكم) بانهم لا يكونون على حالة واحدة.

٥ لا يفهمون المصلحة التي تجيز لاجلها التوجه الى القدس وانها من اهم المصالح ولكنهم غير منصفين ولذلك يشوشون دائما.

فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي ولاتم نعمتي عليكم.

وذلك بان اوفقكم على القيام بأعباء الخلافة (ولعلكم تهتدون) -

فتعيين جهة القبلة يصير مثل تعيين رسول فيكم سواء بسواء.

وبذلك تم ما كان يتعلق بجواب سؤال بني اسرائيل وهوان بوجود الكتب المقدسة لم تكن حاجة الى نزول القرآن. ولكن بالتفصيل المسهب والتوضيح البليغ ظهر الامر جليا.

ان الحاجة الى القرآن ماسة وانه لاغنى عنه بحال.

وقد انضمت هذه الاوراق الى قوله اني جاعل في الارض خليفة وكان نزول القرآن انما هو لاتمام الخلافة. وقد انضم الى ذلك مايتعلق بازالة الشبهة التي كانت تعترى الناس.

ولنشرح الآن في ذكر تعليم القرآن التفصيلي لاقامة الخلافة من آية (١٥١) الى آخر السورة (٢٨٦) وهذا نقسمه الى ابواب.

الباب الاول في تهذيب الاخلاق وهو من (١٥١) الى (١٦٢)-

والباب الثاني من (١٦٣) الى (١٧٦) وهو باب الاجتماعية الاولية القروية.

الباب الثالث في الاجتماعية المدنية والمصرية وهو من (١٧٧) الى (٢٥٢).

الباب الرابع في الاجتماعية الاممية. وهي الخلافة من (٢٥٣) الى (٢٨٦).

هذه اربعة ابواب للكتاب الذي هو في موضوع اثبات الحاجة الى نزول القرآن.

باب تهذيب الاخلاق

قوله تعالىٰ:- كَمَآ اَرْسَلْنَا فِيْكُمْ رَسُوْلًا مِّنْكُمْ يَتْلُوْا عَلَيْكُمْ
اٰيٰتِنَا وَيُزَكِّيْكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتٰبَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمْ مَّا لَمْ
تَكُوْنُوْا تَعْلَمُوْنَ ﴿١٥١﴾ فَاذْكُرُوْنِيْٓ اَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوْا لِيْ وَلَا تَكْفُرُوْنِ ﴿١٥٢﴾ ع ٣

اصل الاخلاق الانسانية عندنا هو اتصال الانسان بحظيرة القدس وقوله فاذكروني اذكركم، عنوان له. على اصول حكمة الامام ولي الله.

اذا ذكر الانسان ربه وداوم على ذٰلك بحب واخلاص تحدث في قلبه هيئة احسانية تذكره ربه على الدوام. ثم تنتقل تلك الهيئة بالطبع الى امام نوع الانسان لان كل فرد من افراد الانسان له مقام خاص في امامه وبواسطته تتصل تلك الهيئة بالتجلي القائم في حظيرة القدس.

وقد ورد فى الحديث ان الملائكة ترفع اعمال بني اٰدم صباحًا و مساء الى الرب. وفعل الملائكة عندنا عنوان لتلك الحقيقة.

واذا رضي الله من تلك الهيئة يحدث فى التجلي لون الرضا بعد وصول تلك الهيئة الىٰ حظيرة القدس. وينزل تاثير رضي الله وذٰلك اللون على العبد العامل من الطريق الذي رفع عمله ذٰلك. هٰذا معنى ذكر الله للعبد ويجد هٰذا العبد في نفسه بهجة وسرورا نتيجة رضى الله عليه.

ثم يزيد هٰذا الصعود والنزول في اعماله التي هي لازمة لخلق الانسان فتحدث في قلب مثل هٰذا الرجل بصيرة فى الاجتماعية الانسانية وتثبت هٰذه البصيرة في نسمته وترسخ فيها. فيحس فى الاجتماعية باشياء توافق، زاجب

فيفهم انهامن الله، وباشياء تضاد مزاجه فيفهم انهامنهى عنهامن الله.
والعمل لتكميل تلك البصيرة والفهم هوالشكر. ويعمل اعمالا دائميا
حسب تلك البصيرة فاذاخالف ذلك يومًاما وعمل عملا تضاد بصيرته يكون
ذلك كفرا۔ وهذا اصلان من اصول الاخلاق وهما، الذكر، والشكر.

فاذا كان انسان صاحب بصيرة مثل ذلك الرجل الذي مر ذكره و
وجد اعمال الانبياء موافقة للاساس الذي فهمه يدخل في جماعتهم من
غيراي تأخر وتردد.

وتتكامل تلك الفردية التي دخلت فى الجماعة اكثرمن تلك الحالة
بعشر مرات اواكثرمن ذلك ايضًا. واذاكانت نسبة تعلقه بالله موافقة
لنسبة امام الانسان فكل ما ياتي الى امام الاجتماع من حظيرة القدس
يأتي اليه فيرى كانه وصل اليه ضمن هٰذاالطريق بتضاعف اعماله.

والقرآن العظيم انمادعاالى هٰذا العمل الطبيعي. وهو مقتضى الفطرة
السليمة القومية. وقوته في لطيفة الحجر البحت تجبره على ذلك ايضًا.

ويختار هواسماالربه ويسميه به ليذكره او اذا سمع من انسان آخر
اسمًا لربه موافقا لطبيعته يقبل منه ويدعوا ربه به فاذا رفع ذلك الاسم
الذي اختاره بنفسه ورآه مقبولا يزداد فرحًا وسرورا بذلك الاسم ويقبل
منه الناس ويصير اسماللرب في لغة قومه واتباعه.

فتعليم الاخلاق الالهية مع التنبيه بحكمتها هوطريق الانبياء.
فاذكروني اذكركم واشكروالي ولاتكفرون.

يَاَيُّهَا الَّذِيْنَ اٰمَنُوا اسْتَعِيْنُوْا بِالصَّبْرِ وَالصَّلٰوةِ ط
اِنَّ اللّٰهَ مَعَ الصّٰبِرِيْنَ (١٥٣)

فاذا تكاملت بصيرة هٰذا الانسان فى الاجتماعية يصير كل طريق ثبت عنده انه مرضى من حظيرة القدس اما بتحقيقه نفسه كما يكون الكمل من الرجال او بتقليد لحد ائمة حظيرة القدس وانشراح صدره على ذٰلك هو الطريق الذي يجب سلوكه وهو المرضى من حظيرة القدس.

وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ ۚ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٤﴾

فاذا سلكت جماعة او سار عليها فرد فلا بد هنالك جماعة تخالف تلك الطريق ولا بد يعارضون السالك عليها. والاستقامة عند ذٰلك على طريقته هو الخلق الثالث. وربما افضت هٰذه الاستقامة الى القتل. فاذا قتل مثلاً فقد اكمل حياته ولا ينبغي ان يقال في حقه انه مات لان موته في هٰذه الحالة هو عين الحياة. فاذا عد الرجل هٰذا الموت حياة له كان ذٰلك نتيجة صبره اعنى الخلق الثالث الذي هو الاستقامة على طريقته.

وهٰذه الحياة لا يشعر بها عامة الناس. ولذٰلك قال (ولكن لا تشعرون) الانسان اذا استطاع ان يثبت مقامه في حظيرة القدس بالطريقة التي ذكرناها تصير حياته حياة دائمية واذا لم يمكنه ذٰلك فى الحياة الدنيا فان حياته تكون مثل حياة الحيوان او دون ذٰلك.

وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾

المصائب التي تأتي على سالكى الطريقة المرضية فى الملأ الاعلى قسمان

الاول مصيبة عظيمة لكنها فورية مثل الموت. فالصابر على تلك المصيبة يحرم في قانون القرآن ان يقال في حقه انه مات.

تنبيه

التعلق بحظيرة القدس له انحاء كثيرة في ذهنية الانسان.

(١) الاول المحبة المنسية لكل شيء سواه تسمى بالعشق في لسان المتأخرين يقول الحافظ شيرازي.

هرگز نميرد آنکه دلش زنده شد بعشق — ثبت است بر جريدهٔ عالم دوام ما

(٢) الثاني من القسمين مصائب صغيرة ولكنها متوالية متواترة مثل الخوف والجوع الى آخر ما ذكر في آية. ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الاموال والانفس. الآية.

الخوف يكون من الخارج بسبب قوة الاعداء وضعف الخائف. و الجوع يكون لقلة الاشياء الضرورية في الداخل وذلك نقص في الداخل كما ان الخوف يكون لنقص في الداخل ايضا. فاذا الخوف والجوع اقتسما نوعي النقص[1] — ثم رأس مال الانسان الذي يعمل به في الاجتماع يكون مركبا من الرجال والاموال ويروا بالعمل زيادة الثمرات بكثرة الرجال والاموال فاذا نقص الرجال والاموال الذين هما رأس مال الانسان في الاجتماعيات لا يترتب على العمل ما كان مرجوا من الثمرات فهذه مصيبة ايضا. الى

---

[1] يعني ان الخوف يكون من الخارج لان الاعداء يخوفون الناس فيكون سبب الخوف قوة الاعداء في الخارج وعدم مثل تلك القوة عنده. والجوع يكون لنقص في ضروريات قوام الانسان في الداخل فيكون سبب الجوع النقص الداخلي فالخوف والجوع يشملان النقص الخارجي والداخلي كليهما.

(ابو سعيد السندي)

ذلك يشير قوله، ونقص من الأموال والأنفس والثمرات.

فهذه المصائب الصغيرة المتوالية اذا كانت دائمية فانها تصير عظيمة بدوامها – فاذا خرج المبتلى بهذه المصائب ناجحًا وجرى على طريقته التي سار عليها غير مبال بها يقال له صابرًا منزلته مثل منزلة المقتول في سبيل الله ولذلك قال (وبشر الصابرين). الاستقامة على الطريقة المرضية من حظيرة القدس مع تحمل تلك المصائب كلها الوقتية والدائمية معًا هو الصبر

ولما كان المطلوب السير على الطريقة المرضية من جماعة والبشارة لهم فموت بعض افراد الجماعة لا يؤخر الباقين عن السير ولا يقعد لهم عن العمل فاذا ساروا في طريقتهم واستمروا في عملهم يقال لهم (الصابرون) ولذلك نبه الله المسلمين بقوله:- ومامحمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات او قتل انقلبتم على اعقابكم – فموت الرسول لا يمنعهم من العمل ايضًا فكيف اذا مات بعض افراد الجماعة؟

قوله:- الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾

اي اذا اصابتهم مصيبة مانعة عن العمل لا يمتنعون. بل يقولون انا لله وانا اليه راجعون – ثم يسيرون ويستمرون لانهم يفهمون انهم مأمورون من الله بذلك.

ويعبدون الله حتى الموت وان لم يروا ثواب ذلك ولا ييئسون لأن ثمرات اعمالهم وسيرهم على الطريقة المرضية محفوظة في حظيرة القدس فاذا فعلوا ذلك صدق عليهم قوله:- أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾

رحمة الله تصل الى كل خلقه ولكن الرحمة التي يختص بها الانسان دون غيره تسمى الصلاة لان فيها معنى الاتصال بالله وبالتجلي الاعظم. فكلمة الصلاة اما مشتقة من الاتصال واما مأخوذة من صلى النار. اذا اكلت النار الحطب فانها تفنيه وتحوله الى نوع اخر وهو الرماد كذلك الاتصال بالله و بالتجلي الاعظم يبدل حياة الانسان الدنياوية ويصيرها مثل الرماد الذي يعبر عنه المتأخرون (بالفناء) وذلك رحمة خاصة بالانسان. فاولئك الصابرون على ما مر بيانه ينالون انواعا من الرحمة (اولئك عليهم صلوٰت من ربهم) وقد روى في بعض الاحاديث ان اهل الجنة ينادون من ابواب الجنة الثمانية ففيه اشارة الى انهم ينالون الرحمة التي هي لجميع المخلوقات ايضًا قوله (واولئك هم المهتدون).

اي هم على فطرتهم. قال تعالىٰ:- سبح اسم ربك الاعلى الذي خلق فسوّٰى والذي قدر فهدٰى.

خلق الله بحكمته الانواع كلها لمعاني مختصة بها فسوى صورها و موادها لاتمام تلك المعاني. ثم اوجد اسبابا يهتدي بها كل نوع لما خلق له ولا يمكن ان يصدر منه خلاف ما خلق لاجله بل ولا يمكن ان يخرج عن دائرته وبذلك يتم ما اراد الله منه.

واولئك هم المهتدون. هم الذين اكملوا ما خلقت الانسانية لاجله.

وبذلك تم ذكر ثلاثة من الاصول الاخلاقية القرانية وذكر الخلق الرابع في الاية التي بعد هذا ويسمى ذلك في حكمة الامام ولي الله تعظيم شعائر الله

إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَآئِرِ اللّٰهِ

وتفصيل معنى شعائر الله هو ان الله خلق نوع الانسان وسوى

خلقه ثم هداه الى تكميل ما اريد منه بواسطة خلفاء حظيرة القدس و بواسطة الذين ينوبون عنها. وليس المقصد من خلق الانسان الا حصول مقام له في حظيرة القدس. ثم جعل الله رجالاً يأخذ الانسان منهم اسباب ذلك وليسهل الأخذ عنهم وهم معلمون لطريقة حظيرة القدس وهم في عملهم هذا بمنزلة العرش لتجلي الرحمن.

فهؤلاء الجماعة من شعائر الله فان الانسان اذا لازمهم وصحبهم مدة من الزمن تستيقظ شعوره وتتربى عاطفته مثل ما يحيى النبات بالمطر.

وهم بطبيعتهم يجعلون لأنفسهم مركزاً لاشاعة تعليمهم وترويجه وهذا المركز ايضاً من شعائر الله. واذا اكتبوا تعاليمهم لتدوم الهداية بواسطته ولتصل الى الغائبين فهذا المكتوب يسمي ايضاً شعائر الله.

مثال ذلك اذا قام رجل يبث تعاليم الملأ الأعلى في الناس فان هذا الرجل يقال له رسول الله. وتلك التعاليم اذا كانت مكتوبة في كتاب يسمى كتاب الله والمكان الذي يختاره رسول الله لتعليم كتاب الله هو بيت الله.

ثم هؤلاء الثلاثة من شعائر الله. والهيئة التي تتخرج من ذلك التعليم بواسطة ذلك الرسول في ذلك المكان تسمى صلاة. فالصلاة التي اقيمت بذلك التعليم هي من شعائر الله لأن المقصود من ذلك التعليم انما هو هذا.

والكلام في شعائر الله مفصل في باب خاص من حجة الله البالغة لم نجد مثل ذلك لاحد من الفقهاء الحكماء الاسلاميين. والمقصود ان تعظيم شعائر الله عندنا هو الخلق الرابع للأخلاق الربانية الالهية.

هذا البيت الذي اقامه ابراهيم لتعليم الحنيفية هو من شعائر الله ويتصل به جبلان. وهما الصفا والمروة اللذان لهما عظمة عظيمة لاتنكر في تاريخ البيت.

اما المروة فهو المقام الذي اراد ابراهيم ذبح ابنه فيه والمنحر في العمرة التي نسميها الآن بالحج[١] كان هو المروة. ثبت ذلك في مؤطا مالك رضي الله عنه[٢] فاذاً المروة من شعائر الله.

واما الصفا فما جرى عليه نسينا تاريخه ويغلب الظن ان عظمة الصفا التاريخية انما هي لان ابراهيم وقف عليه ودعا الناس منه الى الحج اعني تعليم الحنيفية.

ونعرف كذلك من تاريخ نبينا واقعة وهي انه لما نزل وانذر عشيرتك الاقربين قام على الصفا ودعا عشيرته يا بني عبد المطلب يا بني عبد مناف فقام ابولهب يكذبه ويعارضه وهذه الواقعة المركبة من الدعوة و التكذيب لها منزلة خاصة في الدعوة القرآنية.

وحُفِظ ايضاً من انذاره بقيامه في ذلك المقام انه اشار الى الجبل المقابل للصفا وقال لو اخبرتكم ان خيلاً بالوادي تريد ان تغير عليكم أكنتم مصدقي؟ قالوا نعم ماجربنا عليك الا خيراً الا ابولهب. فقال لهم اني نذير لكم بين يدي عذاب شديد. وقد كان جاء جيش النبي يوم فتح مكة من ذلك الوادي نفسه وهو الذي كان اراده النبي في ذلك الوقت بقوله، اني نذير لكم بين يدي عذاب شديد. وقد اسلم اولئك الذين كانوا كذبوه في ذلك اليوم واخذ منهم البيعة وهو واقف على الصفا في ذلك الموضع.

والدعاء الذي ندعوا به على الصفا: الحمد لله الذي انجز وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده. انما هو تذكار لتلك الواقعة.

ثم لو تأمل متأمل في تلك الواقعة وحدها لكانت دليلاً واضحاً في نبوة نبينا صلى الله عليه وسلم.

---

[١] اي بالحج الاصغر والله اعلم بمرام عباده. ابوسعيد السندي.

هل يقدر على هذا رجل بإحتياله وقوة عقله اذالم يكن من الله بتلك الكيفية التي وعدهم بها وانذرهم فيها بعد مضي عشرين سنة، لا يقدر على ذلك ابدًا كائنا من كان[١] اذا فلم يكن ذلك الا امرا الهيا و فعلا الهيا ظهرا على لسان عبده ويده وتلك الواقعة لها خصوصية بالصفا. و نظن ان دعوة ابراهيم الى الحج كانت على ذلك المقام (واذن في الناس) و تكملت على يدي نبينا. ولذلك ترى ان الصفا والمروة لهما تاثير في دعوته لاختصاصها بالبيت. وهذا معنى. ان الصفا والمروة من شعائر الله.

قوله:۔ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ اَوِاعْتَمَرَ فَلَاجُنَاحَ عَلَيْهِ اَنْ يَّطَّوَّفَ بِهِمَا ۭ وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا ۙ فَاِنَّ اللّٰهَ شَاكِرٌ عَلِيْمٌ ﴿١٥٨﴾

كانت الصابئة اقامت على الصفا شعائرها من الاصنام ولذلك امتنع من السعي بينهما بعض الناس لشبهة قامت في ذهنه فازال الله تلك الشبهة بان شعائر الصابئة انما كانت لعارض وزالت والصفا والمروة لهما مقام مخصوص في الحنيفية فلاجناح على من اراد ان يطوف بهما.

هذا انما هو رعاية للمعنى المبين والا فالمعنى يجب على الحاج والمعتمران يطوف بهما والا فما معنى قوله:۔ ومن تطوع خيرا فان الله شاكر عليم. اذا كان الطواف بينهما مباحًا، وانما يستقيم ذلك اذا كان السعي فرضا ولو في العمر مرة. وقد اوضحت ذلك ام المؤمنين عائشة رضي الله عنها في رواية عنها وهي مشهورة.

---

[١] يعني لا يقدر عليه احد كائنا من كان في مثل الحالات التي جرت على نبينا عليه السلام. ابو سعيد السندي.

والمروة لها ذكر في سفر التكوين الذي هو صحيفة ابراهيم والذين يريدون
ان يجعلوا مقام ذلك المنسك القدس فهم انما يريدون ان يحرفوا كثيرا من
الكلمات ومع ذلك لم يستطيعوا ان يعينوا المروة خارج الحرم وبذلك
بطل سعيهم.

انا لا انكر ان يكون لابراهيم منسك اخر لاسحق كما كان لاسمعيل و
اراد ان يذبحه ويمتحنه ولكن اصل المنسك انما كان لاسماعيل . اذًا
فليس لنا نزاع مع اولاد ابراهيم . وهذا يتعين بالمروة.

وبذلك تم ذكر الخلق الرابع في اٰية (١٥٨) وبعد ذلك جاء ذكر انذار
من يكتم اٰيات الله - وقد اخذت من تعقيب انذار من يكتم اٰيات الله
على الاخلاق الاربعة معنى لم يهتد اليه الاوائل من المفسرين وانا
انما اقول ذلك تحدثا بنعمة الله .

والذي اخذته هو تعميم التعليم الاسلامي على جميع المسلمين فرض
محتم. ومن لم يفعل ذلك فهو في النار. واولٰئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون
فان ماتوا وهم على تلك الجريمة ماتوا كفارا عليهم لعنة الله في جهنم
خالدين فيها فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون .

إِنَّ الَّذِيْنَ يَكْتُمُوْنَ مَآ اَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنٰتِ وَالْهُدٰى مِنْۢ
بَعْدِ مَا بَيَّنّٰهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتٰبِ اُولٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللّٰهُ وَ
يَلْعَنُهُمُ اللّٰعِنُوْنَ ﴿١٥٩﴾ اِلَّا الَّذِيْنَ تَابُوْا وَاَصْلَحُوْا وَبَيَّنُوْا
فَاُولٰٓئِكَ اَتُوْبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَاَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيْمُ ﴿١٦٠﴾ اِنَّ

الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٦١﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ ﴿١٦٢﴾

فقوله:۔ ما انزلنا من البينات و الهدى.

البيّنات. هي الأخلاق الثلاثة وهي (١) ذكر الله (٢) وشكر الله. (٣) والصبر. هذه الأخلاق الثلاثة لا تجدون دينا من الاديان الا وفيه الحث عليها و الأمر بها و اهله يعرفونها.

والبينة. هي مثل قول المناطقة البديهيات.

والهدى. هي ما يحتاج الى تعلمه والارشاد اليه. وهي بمنزلة قول المناطقة — (النظرى) وعندنا المراد به هو تعظيم شعائر الله وهو الخلق الرابع

فان الانسان لا يهتدي اليه الا بعد التفهيم والتعليم والارشاد. و الاديان انما تتميز بعضها من بعض بامتياز شعائر الله عند كل قوم.

قوله:۔ من بعد ما بيناه للناس فى الكتاب.

هذا الكتب يجب على كل من امن به ان يتعلمه والواجب على كل من حمل الكتاب ان يعلمه جميع النّاس فاذا كتم ذلك ولم يبينه فانه ابطل هداية الكتاب من اساسه وهو صد عن سبيل الله وكل من يصد عن سبيل الله هو فى النار.

الامم الراقية رأيناهم انما يتقدمون علينا بتعميم التعليم الاجبارى في جميع افراد قومهم. ورأينا المسلمين فى الدور الاول اي قبل فتنة عثمان سبقوا هؤلاء السابقين لنا. فرجعنا الى فهم حكمة ذلك و ان كان

الأمر مقرراً في ذهننا بان ذلك الرقي لا يمكن الا بتعميم التعليم الاجباري. فاهتدينا الى ان المسلمين فى الدور الأول كانوا قاموا باداء هذا الفرض وسبقوا السابقين. فلما قرأنا هذه الآيات فهمنا انهم انما عملوا بمقتضي تلك الآيات وفهمها. فتمت لنا النعمة على فهم الآيات وربطها والحمد لله.

ونحن اذا تقدمنا بتلك الخطرة في جماعة المتنورين من شبان المسلمين في بلادنا وشرحنا لهم من آية فاذكروني اذكركم. الى، ولا هم ينظرون على حسب ماشرحناها هنا تحيروا وندموا على تأخرهم من فهم القرآن وتدبره.

ثم رأينا روايات تدل على ان ذلك يختص باليهود وروى ذلك عن ابن عباس وذلك صحيح عندنا لان المتخلفين عن اداء ذلك الفرض لم يكن في ذلك العصر الا اليهود.

فلم يكن في استطاعة المفسر في تلك الأيام ان يأتي بمثال لمن يتخلف عن اداء ذلك الفرض الا من اهل الكتاب فذكر اليهود هنا كان للتمثيل فقط ولكن الناس حرفوا ذلك وخصوه باليهود. ثم اتبعوا تحريفهم بزيادة جملة في تفسير قوله. (ما انزلنا من البينات والهدى) ان المراد بهما نعت محمد عليه الصلوٰة والسلام كان الذي ذكر من قبل ليس له قيمة. وأين جاء ذكر نبينا في تلك الآيات؟ وليس لهم شغل الا قطع الآيات من سابقتها ولاحقتها. ثم صار تفسيرهم ذلك هو المعول في كل التفاسير المتأخرة.

ولا ارى علة كل ذلك الا ترك التدبر في كتاب الله وسوء الفهم.

شباننا كانوا يفكرون في تعميم التعليم الاجبارى على جميع الافراد وكانوا يظنون ان الاسلام قصر في هذا وانه لم يأت به الشريعة الاسلامية و لذلك تأخر المسلمون. وحكماء الغرب ادركوا فوائده فلذلك فاشوا

او تقدموا ولما كنا نحن مضطرين اليه للتقدم نقتدى بالغربيين ونعمل مثل ما عملوا. ورأيناهم يشعرون بشيء من الذل في انفسهم لانهم يأخذون شيئًا من الغربيين لا يوجد عندهم.

ولما ذكرنا هذا الذي ذكرته هنا في مجمع منهم زال ذلك الظن من نفوسهم

وهل يسمع ذلك منا العلماء والمدرسون فى المدارس، ربما يسمعون ولكنهم عما قليل يخرجون هذا الفكر من رؤوسهم لأن هذا لم يقل به احد ممن تقدمهم ثم اذا قبلوا هذا التفسير يدخلون في زمرة الذين يكتمون ما انزلنا من البينات والهدى، وليس فيهم جرأة فى الاقرار بجهلهم وعدم معرفتهم بهذا.

ونحن بحمد الله قد تغلبنا عليهم بقوة شبابنا المثقفين الاذكياء.

وقد ذكرنا ان محمد على هو الذي لقب شيخنا بشيخ الهند لتأثره به وهو من شبابنا الاذكياء النبهاء الذين كانوا المخلصين للوطن وارادوا التقدم.

اذا استطعنا تعميم التعليم الاجبارى على كل افراد الاجتماعية نقدر على اخذ القوة الاسلامية كلها بيدنا وان كنا لا نستطيع ان نرغمهم على قبول كل فكر اخذناه من القرآن وفهمناه منه لأن لنا اقرانًا يقدرون على اتيان آراء مناقضة لآرائنا فيشتبه الامر على الناس اكثر من اول.

وللنجاة من هذا قيدنا انفسنا بحكمة الامام ولي الله والاقرار بامامته ثم اذا علمناهم اصول التدبر في كتاب الله على طريقة الفوز الكبير سهل علينا تقرير مثل تلك المسائل.

تمّ الباب الثاني

ثم من (١٦٣) الى (١٧٦) بيان اصول الاجتماعية الاولية التي تكون في البوادي والاودية والجبال.

قال في حجة الله البالغة في باب كيفية استنباط الارتفاقات. و...
كانت اي الارتفاقات لا توجد في جميع الناس سواء لأسباب كثيرة كان
للارتفاقات حدان — الاول هو الذي لا ينفك عنه اهل الاجتماعات
القاصرة مثل اهل البدو وسكان شواهق الجبال والنواحي البعيدة من
الاقاليم الصالحة وهو الذي نسميه بالارتفاق الاول اه

وقد جعلنا نحن هذا الباب لهذه الدرجة من الاجتماعية باجتهاد منا

ع قوله وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾

فيها اجمال للاخلاق الاربعة المار ذكرها — وهي ذكر الله. شكر الله
والصبر وتعظيم شعائر الله. وكلها تتفرع من هذه الآية. و... الله
الاله الواحد يوجب الاخلاق الثلاثة الاولى وكلمة الالوهية ماخوذة من ...

فقد كان رجل من اكابر علماء الهند وهو الشيخ فضل الرحمان
المرادآبادي الذي كان من تلاميذ الشيخ محمد اسحاق. وقرأ ايضا على
الامام عبد العزيز واخذ عنه الحديث المسلسل وكان مختصا بعلو الاسناد
في عصرنا. ولم يأخذ احد من اقرانه الذين هم من تلاميذ الشيخ محمد اسحاق
عن الامام عبد العزيز. وكان هذا شيخ شيخنا في الطريقة النقشبندية وله اتباع
كثيرون — هذا الشيخ كان يعلم اتباعه ترجمة القرآن باللسان الهندي
العامي ولما كانت كلمة الله الاله لا يفهم العوام معناها للعربي ولا يدركون
شيئا من مفهومها وان كان العلماء يفهمون ذلك ويمكن شرحها عندهم
بشرح تناله عقولهم بلسانها فكان هذا الشيخ يأتي بكلمة هندية تؤدي
معنى الكلمة العربية تماما ويستقر مفهومها في عقول عوام الهند.

هؤلاء الذين يقولون ان الكلمات العجمية لا تؤدي معاني الكلمات

العربية اولا توجد كلمات عجمية توازن الكلمات العربية انما هو فكر من لم يفهم اللسان الهندي وسعته لترجمة الاصطلاحات الدينية من كل مذهب

هٰذا الشيخ لم يكن منهم فلذٰلك كان يترجم كلمة (الله - الاله) بكلمة (من موهن) واهل الهند يطلقون هٰذه الكلمة في حق من يعتقدون الوهيته. وترجمتها بالفارسية (دِل رُبا).

اذا كانت كلمة الاله تستلزم الحب العظيم فانه يتولد منه الذكر والشكر والصبر ومن اراد ان يفهم بسهولة تفرع الاخلاق من الحب الالٰهي الحب العقلي والحب العشقي فليطالع الباب الاول من الصراط المستقيم للصدر الشهيد فانه يفهم ذٰلك بكل سهولة.

ثم كلمة الرحمٰن الرحيم عند نا عنوان للتجلي الاعظم وحظيرة القدس فتكونان موجبتان لتعظيم شعائر الله.

وهٰذا كالاساس للاجتماع القاصر ايضا وهي اللبنة الاولى لقصر الانسانية وبعد هٰذه الاية (١٦٤) فيها بيان وسائل الاكتساب للمعاش.

قوله: إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ الَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللّٰهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيٰحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَاٰيٰتٍ لِّقَوْمٍ يَّعْقِلُونَ (١٦٤)

الانسان اول ما يحتاج اليه هو الطعام والشراب فيجتمعون لاعتنائه

بعضهم من بعض فاول مايقوم عليه الاجتماعية هو الاكتساب للمعيشة. في آخر الآية (لآيٰت لقوم يعقلون) ولذلك نحن حملنا الآية على بيان كسب المعاش فلنتكلم (على الفلك التي تجري في البحر بماينفع الناس) فيها اشارة الى الاشتغال بالتجارة في البحار.

وقوله:- وما انزلنا من السماء من ماء فاحيا به الارض بعد موتها. فيها اشارة الى الفلاحة والزراعة. وقوله:- وبث فيهما من كل دابة، فيها اشارة الى اقتناء المواشي من الابل والبقر والغنم والفرس وغيرها ويلحق بذلك مايصلح

وقوله:- وتصريف الرياح. فيها اشارة الى التصرف في الرياح بواسطة الآلات وانشاء المعامل والمصانع فدوران الرحى واخراج الماء من الآبار بالتصريف في الرياح معروف عند الانسانية من قديم الزمان.

قوله:- والسحاب المسخر. لي في تسخير السحاب المسخر بين السماء و الارض نظرية خاصة والتصرف فيه فان في ذلك اشارة الى تسخير البخار. (الاستيم) وتسيير المراكب البخارية كالقاطرات في البر. وكالمراكب الهوائية في الجو (الطائرات) وكالمراكب البخارية في البحر (البواخر)

وهذا البخار امايؤخذ من الماء اومن الزيت اومن الاثنين معًا.

ثم اذا كان السحاب مسخرا بيد الانسان فهو لا يكون الامجلا فيؤلد من الكهرباء والامور الآتية للارتفاقات في عصرنا كلها من التصريف في السحاب المسخر بين السماء والارض. وفي ذلك الآيات لقوم يعقلون. بتلاحق الافكار وتكامل العقول فصارت اسباب المعاش كلها كانها مضبوطة في هذه الآية — وبقي من الآية قوله:- ان في خلق السماوات والارض ففي خلق الارض على الهيئة المختلفة اشارة الى المعادن وفي خلق السماوات.

اشارة الى المواسم المتغيرة والفصول المختلفة والشارة الى الاستفادة منها في تنظيم الحيٰوة.

فاهل البلاد الباردة واهل البلاد الحارة يهتدون الى معائشهم بما يناسب بلادهم ومواسمهم. وهٰذا يستفاد من اختلاف الليل والنهار.

ثم العلوم الرياضية والعلوم الالٰهية ايضًا تكون اسبابا ووسائل لمعاش الانسان في الاجتماعيات ومستند هٰذه العلوم هي السماوات (كلمة. السماوات نطلقها على الكرات السماوية وعلى علم المثال) وتلك العلوم التي تنشأ منها ومن ملاحظتها بعد اكتمال العقل الانساني فيها ايضًا ايات لقوم يعقلون — موسس الديانة الصابئة هو ادريس عليه السلام وهو الذي جاء بالعلوم الرياضية والالٰهية[1]. فاذا الانسانية في اكمالها كما تحتاج الى الارض كذٰلك تحتاج الى السماء.

ولكن علماء المفسرين يجعلون هٰذه الاية كلها تذكير الرحمٰن بالتوحيد الذي جاء به القرآن ويرجعون دائما الى الوراء كان القرآن لم يخاطب الا اعراب البادية وحدهم. فمعنى هٰذه الاية ان اسباب المعائش و وسائله كلها من خلق الرحمٰن وهي مستمدة من رحمة الرحمٰن الرحيم ولذٰلك يجب على كل انسان ان لا يعبد غيره لاجل المعاش وليستقم على اصول العقائد التي تلقاها من الباب الاول السابق.

قوله:- وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَّتَّخِذُ مِنْ دُوْنِ اللّٰهِ اَنْدَادًا

---

[1] قال في المدارك في تفسير سورة مريم. ادريس هو اخنوخ اول مرسل بعد آدم واول من خط بالقلم وخاط اللباس ونظر في علم النجوم والحساب واتخذ الموازين والمكاييل والاسلحة. — كتبه محمد نور مرشد.

يُحِبُّوْنَهُمْ كَحُبِّ اللّٰهِ ۭ وَالَّذِيْنَ اٰمَنُوْٓا اَشَدُّ حُبًّا لِّلّٰهِ ۭ وَ
لَوْ يَرَى الَّذِيْنَ ظَلَمُوْٓا اِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ ۙ اَنَّ الْقُوَّةَ
لِلّٰهِ جَمِيْعًا ۙ وَّاَنَّ اللّٰهَ شَدِيْدُ الْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾

في هذه الآية اشارة الى سوء صنيع الذين يستعبدون الناس لتغلبهم على وسائل معاشهم واخذهم لها بيدهم وان كان الخطاب فيها للذين يعبدونهم فقط.

فقوله:- ومن الناس من يتخذ من دون الله.

هؤلاء الانداد هم مراكز معاش الناس من سلطان و امير او ولي وعالم وزاهد و امثالهم فان رزق عامة العوام فى الاجتماعيات انما يحصل باطاعتهم فقط.

فهؤلاء العوام يحبونهم كحب الله. ثم اذا جعلوا من هم وسائل الرزق مقصودين بالحب الحقيقي فانهم اشركوا بالله. لان الانسان بفطرته لا يحب ربه الا عندما يرى انه يقضي حاجاته. هذه هي فطرة عامة الانسانية.

قوله:- والذين أمنوا اشد حبا لله.

اي من حب اولئك لانداد الله. وهذا انما هو من منهاج المؤمنين فانهم كلما رأوا انسانا يحب من اتخذه وسيلة لرزقه، (اعنى ندا لله) ويعظمه يحبون الله ويعظمونه اكثر من تعظيمهم للانداد- وبذلك نتميز طريقة المؤمنين من طريقة المشركين.

وقوله:- ولو يرى الذين ظلموا اذ يرون العذاب.

لعلهم يتنبهون بنتيجة اعمالهم القبيحة لأن فطرتهم الانسانية انحرفت عن مركزها — اذا فكر الانسان فانه يصل الى نتيجة ان القوة لله جميعًا. ولعل الانسان يتنبه باقتضاء من ذاته بان مرجع مركز فطرته هو الله. فاذا انحرفت فطرته عن مركزها فانه يرى نفسه في اشد العذاب ولم يكن يتنبه بقوة نفسه لو لم يقع في اشد العذاب ولما وقع فيه علم. ان الله شديد العذاب.

هذا القدر من الفهم يتمكن منه الانسان في الاجتماعيات القاصرة ايضًا.

قوله: إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا ۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴿١٦٧﴾

في هاتين الآيتين بيان لما تنتجه اغلاطهم في دار الدنيا نتيجة في حياتهم بعد الموت — وقوله: اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الاسباب الى قوله وما هم بخارجين من النار.

هذا كله كان نتيجة الجهل السابق في دار الدنيا. وبذلك تم الفصل الاول من ذلك الباب[١]. كسب المعاش والرجوع الى الله وحده من مصارف الفطرة الانسانية فمن يغلط في هذا ويطلب رزقه من ايدي الناس ويلقي عن عاتقه حمل التكسب على مسئولية نفسه

---

[١] حاصل هذا الفصل كسب المعاش من مصارف الفطرة والرجوع الى الله بارئها فقط ١٢

ولا يفكر في القوى التي هي مخلوقة له فانه يدخل النار.

هٰذا الذي جعل لله اندادًا كانه نسي اصول الباب الاول اولم يعلم حاصل الكتاب تلك الاصول فادى ذٰلك الى وقوعه فى العذاب.

الفصل الثاني من ذٰلك الباب في بيان ما اكتسبه الانسان من الاموال وصرفه و الاستفادة منه.

واول فائدة يستفيدها الانسان مما اكتسب هو الاكل منه.

قوله:۔ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُوا۟ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾

التقيد باكل الحلال الطيب تقيد بالقانون وهٰذا القدر من التقيد بالقانون لايخلو منه الاجتماع القاصر ايضا لانه اساس لارتقاء الانسانية الى التمدن ـ قوله۔ ولا تتبعوا خطوات الشيطان۔ اتباع خطوات الشيطان هو عدم التقيد بقانون ما۔ وهو اتباع الهوى

وقوله:۔ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾

المراد بالسوء هوما يكون مستخبثا. وارتكاب ما يكون محرمًا فى الاجتماع والذي في ارتكابه يلزم ترك الحياء من الناس هو المراد من الفحشاء واتباع الهوى لايسلك بالانسان سبيل حظيرة القدس ولا الى ذٰلك يشير قوله: وان تقولوا على الله ما لا تعلمون.

انما يعرف طريق حظيرة القدس من رجال كاملين رأوها

عيانا او كانهم رأوها و اما بدون الوصول الى هٰذه الدرجة الحكم على الله جهل ليس بعده جهل.

قوله:- وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَآ أَنْزَلَ اللّٰهُ

يعني لرقي الاجتماعية يجب ان لا يؤسس اساس الاعلى ما يوافق الفطرة الانسانية وذٰلك الاساس هو اتباع حظيرة القدس.

قوله:- قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ اٰبَآءَنَا ط

اي لا يتقيدون بالقانون الصحيح. الاقتداء بالاٰباء ليس بمخالف للفطرة اذا كانوا يقتدون بآبائهم الذين اتبعوا الفطرة ويتركونهم اذا رأو منهم ما يخالف الفطرة.

اما اذا اخرجوا من التكليف فمعنى ان اٰباءهم لم يكونوا على الفطرة ومع ذٰلك يقتدون بهم ويخالفون الفطرة. والى ذٰلك يشير قوله

أَوَلَوْ كَانَ اٰبَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُوْنَ شَيْئًا وَّلَا يَهْتَدُوْنَ ﴿١٧٠﴾

اي الذين توغلوا في جهلهم ولم يصلحبوا من تقيد باتباع حظيرة القدس لا يمكن منهم العمل لرقي الانسانية وهم ليسوا الا كالحيوانات التي تفهم كلام الانسان ولا ارتقاءه في التدابير الارتفاقية.

وهٰذا التعليم انما وجب على الناس ليتأهلوا للارتقاء الاعلى. و الى ذٰلك يشير قوله، وَمَثَلُ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا كَمَثَلِ الَّذِىْ يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ اِلَّا دُعَآءً وَّنِدَآءً ط صُمٌّ ۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُوْنَ ﴿١٧١﴾

يعني للحيوان. فالذين كفروا هم مثل الحيوانات التي ينعق لها

الانسان لايخاطبها الانعقا ودعاء فقط. وهم لا يفهمون شيئًا من الرقي ولا يستعملون سمعهم وبصرهم ولا لسانهم. ويدخل فيهم اعراب البادية الذين هم بعيدون عن فهم مطالب القران العالية.

ومن جعل اعراب البادية مادة تعاليم القران هم ما فهموا كذلك مطالب القران ايضًا.

قوله: يَاَيُّهَا الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا كُلُوْا مِنْ طَيِّبٰتِ مَا رَزَقْنٰكُمْ وَاشْكُرُوْا لِلّٰهِ اِنْ كُنْتُمْ اِيَّاهُ تَعْبُدُوْنَ (١٧٢) اِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيْرِ وَمَآ اُهِلَّ بِهٖ لِغَيْرِ اللّٰهِ ج

ماكسبه الانسان من المعاش قد يكون فيه اشياء طيبة يستطيبها الانسان وقد يكون فيه اشياء يستخبثها الانسان بفطرته فهو امر بهان يأكل الطيبات. ثم الرجوع الى الاصول الاولية في كل الاحوال بالقوة التي حصلت له بالاطعام من ذلك والسلوك في سبيل الله في الاجتماعية والى ذلك يشير قوله (واشكروا لله)

حكمة النهي من الميتة والدم والخنزير

والمستخبثات العامة هما (١) الميتة - (٢) والدم الميتة تجعل الانسان عديم النشاط والهمة والدم يجعل قلب الانسان قاسيًا عديم الرحمة والشفقة ومع ذلك يستخبثهما الفطرة السليمة. قال الشاعر

تھے نہ کرگس اور زغن کی طرح ہم مردار خوار = قوت اپنا تھا جو خود ہی مار کر لاتے تھے ہم

اذا أكل الانسان الميتة يذهب نشاطه و يفقد همته ولذلك يأكل مما يصيد - واما الخنزير فأئمة الحنيفية يحرمونه لان فيه خصلة

مناقضة للفطرة الإنسانية وهي الاشتراك في الموطوءة. وهو لا يجوز في صورة ما. واذا كان في الخنزير فوائد فتحريمه كان لعظم ضرره الغالبة على فوائده.

واما تحريم ما اهل به لغير الله. فذلك لأنه من شعائر الحنيفية.

فالله انما حرم عليكم اشياء بينة وبعضها تكفى فطرة الانسان في تحريمها وهي كالبينات والبعض الاخر تحتاج الى استرشاد وهداية وهو الخنزير وما اهل به لغير الله فهما كالنظريات.

وتحريم هذه الاشياء انما هو على من لم يضطر اليها.

فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَّلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ اللّٰهَ غَفُوْرٌ رَّحِيْمٌ ﴿١٧٣﴾

حكم الاضطرار موكول الى المبتلى بنص الكتاب لان الغير لا يستطيع ان يحكم على الانسان بانه مضطر اولا وفي ذلك ايضا حث الكتاب على استعمال القوة الفكرية وحساب نفسه واخذ المسئولية على عاتقه في اداء ماوجب عليه.

ومن اتخذ من دون الله اندادا فقد ابطل ذلك فان الانداد لا يدعون اتباعهم ان يفكروا لانفسهم.

فاذا الطيبات التي احلها الله لنا هي الغير المحرمة. وفي متن القانون ان يأكل الانسان طيبا غير محرم او بعبارة اخرى. حلالا طيبا كما في ابتداء الفصل - يا ايها الناس كلوا مما في الأرض حلالا طيبا الاية

قوله: إِنَّ الَّذِيْنَ يَكْتُمُوْنَ مَآ أَنْزَلَ اللّٰهُ مِنَ الْكِتٰبِ وَيَشْتَرُوْنَ بِهٖ ثَمَنًا قَلِيْلًا ۙ أُولٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُوْنَ فِيْ

بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللّٰهُ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيْهِمْ ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ اَلِيْمٌ ﴿١٧٤﴾

في هذا الفصل الثاني بيان انه يجب على الانسان ان يتقيد فى المأكولات بشيئين (١) الاول ان لايكون خبيثاً يدفعه الطبع السليم (٢) الثاني ان لايكون مخالفاً لما اجتمع على تحريمه ائمة الحنيفية الذين هم ائمة تكميل الانسانية.

فى الفصل الأول كان التقيد في اكتساب المعاش بالاعتماد على الله وفي الفصل الثاني الامر بالتقيد بترك المستخبثات وترك مانهى عنه ائمة الاجتماع

هذا القدر من اصول الانسانية يجب على الناس ان يعمموا تعليمه بعد تعميم تعليم اصول الاخلاق لعامة الناس لأن الاجتماعية من الفطرة الانسانية فاذا خلا عن الاجتماعية بعدت فطرته.

فما في هذا الباب هو من ضروريات الانسانية و باعتبار كونه ادنى درجات الاجتماعية يجب تعميم تعليمه مثل الاول و الذين يكتمونه يدخلون النار مثل الذي كتموا مافى الباب الاول و يلعنون. وفي آية (١٧٤ - ١٧٥ - ١٧٦) بيان ذلك بالتفصيل. وقد ذكرت آية (١٧٤) ولنذكر هنا آية

(١٧٥-١٧٦) قال: اُولٰٓئِكَ الَّذِيْنَ اشْتَرَوُا الضَّلٰلَةَ بِالْهُدٰى وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ ۚ فَمَآ اَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ ﴿١٧٥﴾ ذٰلِكَ بِاَنَّ اللّٰهَ نَزَّلَ الْكِتٰبَ بِالْحَقِّ ؕ وَاِنَّ الَّذِيْنَ اخْتَلَفُوْا فِى الْكِتٰبِ لَفِىْ شِقَاقٍ بَعِيْدٍ ﴿١٧٦﴾ ع

لايمكن اجراء التعليم الاجبارى على الناس جميعاً الاعلى قدر التعليم

الابتدائي وتعليم هٰذا هو جزء مما يجب تعليمه في الدرجة الابتدائية و تعميمه وقد جاء التهديد في كتمان هٰذا العلم كما جاء التهديد في كتمان ما في الباب الأول لأنّه كما يجب تعميم تعليمه كذٰلك يجب تعميم تعليم هٰذا ولم يأت تهديد مثل هٰذا بعد هٰذا التهديد الى اٰخر السورة على شئ.

كنت اتعجب من تكرار هٰذا التهديد بعد اٰيات قليلة فلما ادركت ان هٰذا يجب تعميم تعليمه فهمت المقصد ولله الحمد.

وقوله:- ان الذين اختلفوا في الكتاب.

اختلافهم في الكتاب جعل الناس لا يهتدون به. وقد مثلت الكاتم الأول والثاني بمثال يتضح به وخامة هٰذا الفعل الشنيع. وهو ان رجلا قويا ذا منعة وبأس وشوكة له اتباع استولى على غدير في بادية جرداء فيه ماء مجتمع من الأمطار فوصل اليه ناس عطاش بعد كد وكدح وقد أضناهم الظمأ وكادت ارواحهم تزهق منه وطلبوا منه ان يسقيهم ويبرد اكبادهم والاهلكوا فمنعهم هٰذا الرجل بقوته عن ورودهم حتى ماتوا عن اٰخرهم فهل في شرائع الله قانون يعذر هٰذا الرجل ويرحمه؟

هٰكذا حال اولٰئك الذين يحملون الكتاب ولا يبلغون الناس تلك الاصول الابتدائية وان كانوا يسمون انفسهم انهم يهود ونصارى ومسلمون وانما هو مجرد تسمية وهم بعيدون عن الحق بالكلية. واثم موت الناس جهالا واقع على رؤس اولٰئك الذين يحملون الكتاب مثل الحمير ولا يتركونهم الا ان يهتدوا من امة اخرى ايضًا. وبذٰلك تم الباب.

من اول السورة الى هنا فسر الامام عبد العزيز تفسيره الذي سماه فتح العزيز وفسر كذٰلك جزئين من اٰخر القراٰن وهما تبارك وعم

وفي تفسيره اشياء ضعيفة بل موضوعة ولكنه ادرجها فيه كما يدرج الحكماء في كتبهم الأساطير وذلك لأنه لولم يورد تلك الأشياء في تفسيره لما ألتفت إليه أهل عصره ولا انتفعوا بما فيه.

وهو الذي نشر علوم والده الأمام ولي الله ولولاه لما عرف الناس الأمام ولي الله بأنه حكيم ومجدد وانما كانوا يعرفونه بأنه صوفي وان كان خواص اصحابه كانوا يعرفونه بانه حكيم وامام ومجدد.

ثم أن الأمام عبد العزيز جعل طريقته في نشر علوم والده الأمام ولي الله درسية وادخل في برنامج مدرسته كتب والده.

ومن الذين قاموا الاعانته في مقصده هذا الإمام رفيع الدين والإمام عبد القادر اخواه وهما مشهوران فى الهند بلعالهما المختصة بهما وانهما من كبار مدرسي مدرسته.

وفى الطبقة الثانية قام الصدر الشهيد مولانا محمد اسماعيل ابن اخ الأمام عبد العزيز الشيخ عبد الغني. والصدر الحميد مولانا محمد اسحاق ابن بنته الذي كان جعله في مقامه بعده.

ومن هاتين الطبقتين تخرج مئات من الناس وملؤا أرض الهند بعلومهم. فلا يوجد رجل له اسناد فى الحديث الاومصدره الامام عبد العزيز

ثم ان الأمام عبد العزيز بعد ما فرغ من الذي ذكرناه نظم برنامجا للجهاد ووضع خطة للإنقلاب وقام الذين تخرجوا من مدارسهم بتنفيذ ذلك البرنامج.

ومشائخنا الديوبنديون من اتباعهم وعلى طريقتهم.

ثم ان الإمام اسماعيل الشهيد والإمام محمد اسحاق جددا طريقة

الامام عبد العزيز وكان شيخنا شيخ الهند على تلك الطريقة ثم امرهو بالتجديد ايضاً إلى بعض اتباعه فى المبادي.

الباب الثالث فى الاجتماعية المتوسطة فى القرى العامرة

وذلك من ١٧٧–٢١٥

سكان الحجاز لم يكونوا اعرابا

الاجتماعية فى القرى المتمدنة هي التي نسميها بالارتفاق الثاني وهذه المدنية لازمة للانسانية و تنتج المدنية العالية (الامبرا طوريات) وان كانت هي ليست لازمة للانسانية.

واما الاجتماعية المتوسطة فلايخلومنها اجتماع صالح. وهذه المدنية هي التي كانت فى الحجاز في ام القرى والمدينة والطائف وهي التي بعد صلاحها اتخذها القرآن قاعدة لاجتماعية عالمية.

واما اعراب البادية فكانوا فى الاجتماعية الاولية وهم كانوا مادة للاجتماعية المتوسطة ولم يكونوا وهم في تلك الحالة مخاطبين فى القرآن لادارة احكامه وتنظيم اموراجتماعيته بل كانوا امامورين بالدخول فى الاجتماعية المتوسطة واطاعة احكام تلك الاجتماعية.

سبب اعراض حكماء اوروبا عن القرآن

وقد حاد عن جادة الصواب من قال من المفسرين بأن اعراب البادية هم المخاطبون فى القرآن فانهم حطوا مطالب القرآن وانزلوها الى الدرجة الابتدائية التي لاتناسبها وكأن القرآن ليس فيه الا الأمور الاجتماعية الاولية فقط وانه ليس فيه من الاخلاق والمعارف الا بقدرما يناسب الدرجة الابتدائية للانسانية. وقد اشتملت التفاسير كلها على مثل هذه الأمور النازلة فصارت سبباً في اعراض

الحكماء من التدبر في القرآن ـ وقد ظهر اثر ذلك في عصرنا هذا الذي انكر حكماء اوربا على تعاليم القرآن مع احتياج اولاد المسلمين الى التعليم والأخذ من حكماء اوربا وصار المسلمون يحترمونهم بالواسطة واولئك الحكماء لا يلتفتون الى القرآن الا بالانكار والنقد وفي الحقيقة لا يرجع انكار الغربيين الا الى تلك التفاسير لا الى القرآن نفسه.

واني مع طول بحثي وتفتيشي لم اجد رجلا ينبه الناس على ان المخاطبين في القرآن هم سكان مكة والمدينة والطائف الذين كانوا متمدنين تمدنا متوسطا بالنسبة لذلك العصر الا الامام ولي الله فقد صرح بذلك في البدور البازغة ويدرك الفطين هذا من جميع كتبه.

وقد انقسم الناس في تعاليم القرآن الى القسمين (١) قسم جعلوا الامبراطوريات الراقية التي اقامها الاسلام هي المقصودة من تعاليم القرآن فيفتخرون على ما مضى من التاريخ فتجد العرب يفتخرون بحكومة دمشق والاندلس وعلى شيء قليل من حكومة بغداد.

والعجم على حكومة بغداد وعلى التي تفرعت منها. وقد ملأوا بتفاخرهم وصياحهم بكل مناسبة العالم.

وقد بطلت الامبراطوريات في زماننا هذا الذي هو دور الانقلاب فغلبت على نفوس اولئك اوهام نسخ القرآن.

وقد كانت تلك الافكار الباطلة مبنية على اساس فاسد. فان تلك الامبراطوريات التي يفتخرون بها اذا تدبروا في القرآن يفهمون انه ما جاء الا لدكها وهدمها من اساسها وارجاع الانسانية الى التمدن المتوسط والاجتماعية التي تناسب الفطرة.

القرآن ما جاء الا لهدم الامبراطوريات

الامبراطوريات تستلزم الظلم

ولذلك حكي عن كل امة تمدنت تمدنا عظيما في التاريخ اسباب هلاكهم وانهم انما هلكوا لانغماسهم في مرافق الحياة الدنيا وصاروا غافلين عن امور الأخرة وكان مصيرهم مصير كل ظالم.

وحكم هذه الدنيات الحالية انها تستلزم الظلم فانهم يبنون البنايات الفاخرة والقصور الشامخة المزينة بانواع الزينة والموثثه بأثاث ثمنية جدًا لطائفة مخصوصة من الناس.

وليست هذه الدنية الانتيجة الامبراطوريات وهي اسباب هلاكهم وابتلائهم بالعذاب الأبدى.

فهل يجوز بعد معرفة هذا كله الفخر بتلك الامبراطوريات التي هي مثل امبراطوريات الامم الهالكة؟

وقد ارشد الامام ولي الله الناس بعد ان عرف مصير الامبراطوريات التي كانت في عصره الى ان يرجعوا الى التمدن المتوسط ويتركوا الغلو فيه ولكن الناس لم يلتفتوا الى كلامه ولا ادركوا مقصده فذهبوا مثل الذين ذكرهم القرآن وهلكوا.

اذا اخذ المسلمون بكلام حكيم مثل الامام ولي الله يكون القرآن حجة اليوم ايضا

انا متيقن بانه لو توجه حكيم الى القرآن مثل توجه الامام ولي الله وفسره مثل تفسيره لكان القرآن حجة اليوم كما كان بالأمس على حكماء اوربا ايضًا - ولكن المسلمين مع عدم وجود شيء بيدهم هواهم مع الهالكين ودعوتهم الى من بقي من اولئك بقية مخذولة والى اتباعهم بعد تسميتهم الاسلام دعوة الى الهلاك واتباع اصحاب النار.

وانا ارى بصفاء خاطرى ان لم يتنبه المسلمون بكلام حكيم مثل الامام ولي الله واخذوا بتعليم حكيم اوربائي لايبقى فيهم من الاسلام

الا اسمه فقط الا ماشاء الله و الى الله عاقبة الامور كلها.

قوله:- لَيْسَ الْبِرَّ اَنْ تُوَلُّوْا وُجُوْهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَ الْمَغْرِبِ وَلٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ اٰمَنَ بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الْاٰخِرِ وَ الْمَلٰٓئِكَةِ وَالْكِتٰبِ وَالنَّبِيّٖنَ ۚ وَاٰتَى الْمَالَ عَلٰى حُبِّهٖ ذَوِي الْقُرْبٰى وَالْيَتٰمٰى وَالْمَسٰكِيْنَ وَابْنَ السَّبِيْلِ ۙ وَالسَّآئِلِيْنَ وَفِي الرِّقَابِ ۚ وَاَقَامَ الصَّلٰوةَ وَاٰتَى الزَّكٰوةَ ۚ وَ الْمُوْفُوْنَ بِعَهْدِهِمْ اِذَا عٰهَدُوْا ۚ وَالصّٰبِرِيْنَ فِي الْبَاْسَآءِ وَالضَّرَّآءِ وَحِيْنَ الْبَاْسِ ؕ اُولٰٓئِكَ الَّذِيْنَ صَدَقُوْا ؕ وَاُولٰٓئِكَ هُمُ الْمُتَّقُوْنَ ﴿١٧٧﴾

هذه الاية مشتملة على الامور الايمانية من الاخلاق الاربعة و من الاجتماعية الاولى على تفصيل يناسب الاجتماعية المتوسطة.

الدوام على التقيد بالقانون و التقيد بطلب الرزق من القطرة التي فطرالله الناس عليها بالاكتساب من معادن القدرة وعدم ترك الاصول الاربعة لاتباع رجل تغلب على معادن الارتفاقات يحتاج الى تمركز للاجتماعية والمركز هو شعائرالله ومن شعائرالله بيت الله الذي يقوم فيه نبي الله ويتلوا كتابه ويقوم المسلمون اقامة الصلاة حوله- فهذا المركز له صورة وله معنى. والقران في هذه الاية يدعوا الى المعنى وينكر الاقتصار على الصورة.

وقد ذكرنا ان الامم لايختلفون في التدين بالاخلاق الثلاثة

وهي الذكر، والشكر، والصبر وانما يختلفون في تعداد مراكز شعائر الله عندهم. ويكون من تعظيم شعائر الله عندهم التوجه الى القبلة في صلاتهم اذا بعدوا عنها. وصار من المسلم عندهم ان كل من رأوه متوجها الى قبلتهم عدوه من ملتهم.

وقد انكر القرآن الاقتصار على هذا واوجب على الناس ان ينظروا الى المعانى المقصودة وهل قام بها اهل ملتهم واهل قبلتهم ام لا؟ فاذا فهموا انهم لم يقوموا بها لم يجعلوهم من المتقين الصادقين بل جعلوهم كالمنافقين - فقوله، ـ لكن البر من آمن بالله.

الاجتماعية الراقية تجعل تفسير الاخلاق الاربعة وما بعدها من الاجتماعية الايمان التام المفصل بحظيرة القدس. وحظيرة القدس فيها التجلي الالهي والاتصال بها هو الايمان بالله.

وحظيرة القدس تجذب الانسانية الى نفسها فالايمان به هو الايمان باليوم الآخر.

وحظيرة القدس فيها ملائكة عظام ولهم اتباع وهم الملأ السافل فالاعتراف بهم هو الايمان بالملائكة.

وحظيرة القدس هو المكان الذي يتقرر فيه الشرائع الانسانية العامة فالاعتقاد بما تقرر هو الايمان بالكتاب.

وتتخذ حظيرة القدس رجالاً من الانسانية بمثابة الجوارح لها فيكونون ذريعة لتكميل ما تقرر فيها من ارجاع الانسانية اليها فالايمان بهم هو الايمان بالانبياء.

والقرآن ينص على ان التوجه الى الشرق او الى الغرب من الامم

المختلفة باسم قبلتهم ليس معناه هو الاسلام فان ذلك يؤدى الى تفريق الكلمة ومقصد التعليمات هو الاجتماع العام وباداء هذا الرسم وهو التوجه الخالي عن المعنى لا يفيد المقصود الا اذا ثبت في قلوب اهل القبلة الايقان بحظيرة القدس التي ذكرناها فان الامم المختلفة اذا توجهت الى المعنى الواحد فانهم لا يختلفون الا اختلاف الاوصاف والصورة.

لهذا القدر من الايمان الداعي الى الحق و المورث للاجتماع هو مدار الاجتماعية الوسطى وهو المقصود فى الدعوة القرآنية اقامته فى الملل كلها لا الارتقاء منها الى الاجتماعية العالية التي موجبها ان تكون طائفة من الناس كالآلهة للامم.

تنبيه

المسلمون عامة يفتخرون بعصر النبي و بعصر الشيخين. و العرب يفتخرون باصول بني امية والعجم بعصر بني العباس ثم بمن خلفهم من الايران والتوران والهند. وفي كل هذا بعد من احساسهم بحقيقة القرآن وقلة شعورهم بها ثم هم ينظرون الى مدنية اوربا الراقية ويقولون فى انفسهم ليت لنا مدنية مثلها ثم يحتقرون خلفاءهم الذين كانوا يفتخرون بهم بالأمس.

واما نحن فبعد ما اخذنا حكمة الامام ولي الله نحتقر كل ذلك. ونرى مع تعاقب الدول فى الاجتماعية الاسلامية عدم وصولها الى الرقي الذي انتهى اليه الغربيون من فضل الله علينا فقد بقينا بحمد الله على وجه الارض نحو الف سنة.

ولو وصلت مدنيتنا الى ما وصلت اليه مدنية الغرب لدخلنا في زمرة الهالكين. ونحن نفكر منذ زمن في رد تعاليم القران الى الاجتماعية الأولى ورد الاجتماعية الراقية العالية الى الاجتماعية المتوسطة الشاملة لجميع امم الأرض. نحن نوسع الاجتماعية المتوسطة في العرض والبسط على وجه الأرض لا في الطول فان هذا مهلك للأمة بعد ايام قليلة.

يجب ارجاع الاجتماعية الراقية الى الاجتماعية الوسطى

نفهم اليوم الامبراطورية الانجليزية الراقية انه لا يحكم فيها الا افراد لا يتجاوزون عن العشرة على حسب اهوائهم فيقتلون الأمم و يبيدونها و يأتون بانواع الفساد باسم الاصلاح بحيل مبهرجة و جمل مموهة ولهم حيل عجيبة في اغفال الناس وتعمية ابصارهم من الحق الصريح وذلك لا يرضى به الرب الى زمن طويل انما ينتظر في تدبير الله تيقظ الأمم لاصل الأمر. فيشتت هذه الاجتماعية الجائرة في يوم اقل من يوم تكونها.

قطاع الانجليز وظلمهم

وقد رأى الناس في روسيا القيصرية آيات كبيرة واكبر منها او دونها في تركيا ايام خلافة آل عثمان. الذين كانوا جمعوا جميع ما وجدوه في انحاء الأرض في دار خلافتهم وجعلوها هي الحاكمة على جميع الأمم التابعة لهم. وقد كان ذلك سبيل الهالكين ولم يكن من الاسلام في شيء وقد عاشت تلك الخلافة ثلاث مائة سنة.

وهكذا رأينا في الهند فانهم لما كانوا متمسكين بالتوسط عاشوا الى ايام ولما ارتفعت الى الغلو وقعت في اسفل السافلين. تم التنبيه.

السياسة اللائقة في الاسلام

قوله :- وآتى المال على حبه ذوي القربى . . . . . . وفي الرقاب

هذا هو مدار عدم ارتقاء الاجتماعية الى العلو المفرط فان

الاجتماعية الصالحة المتوسطة لاتجمع الاموال في مركز بل تجعل افراد الامة في حاجاتهم اغنياء.

هذا هو طريق بقاء التمدن وامتداده الى ايام كثيرة ومدة طويلة وهذه الاجتماعية تقسم المال مع حبهم له اولاً على ذوي القربى لا تترك فيهم محتاجاً — والتقسيم على ذوي القربى على نحوين (١) الاول يتبع فيه الحكمة ومرادنا بذلك انه ينظر الى جميع اقاربه فيهديهم الى الاستقلال بالاشتغال بانفسهم بشغل يناسب استعدادهم فاذا كانوا غير قادرين لقلة المال اللازم لهم امدهم بما احتاجوا اليه.

هذا الانفاق هو الانفاق الصحيح على ذوي القربى على اصول الحكمة (٢) والثاني لا يرشدهم الى شيء بل يتكفل لهم ما يحتاجون اليه ويجعلهم ناظرين الى ما في يده ومتوكلين عليه وهذا مهلك له ولاقاربه معاً وهذا الخلط ما جاء الا من عدم رعاية الحكمة.

ثم بعد الانفاق على ذوي القربى ينفق على اليتامى والمساكين من قومهم على منهاج الحكمة. وقد علمنا النبي ذلك بمثال. وهو انه جاء اليه رجل يسأله شيئاً فمنعه عن السوال ودله على الاحتطاب مبتدياً من رأس المال الذي عنده فاثرى الرجل. فالانسان ينفق على اليتمى والمساكين على هذا المنهج.

ثم ينفق على اصحاب الحاجات من غير قومه من الاحرار كابن السبيل والسائل لامر لابد له منه. ثم في الرقاب فانفاقه على هذا الترتيب يجمع الانسانية كلها على اختلاف المدارج[١].

تجمعة الانفاق على اصول الحكمة

---

[١] حتى المشركين والكفار الذميين وغيرهم راجع الجصاص الحنفي في قوله ليس عليك هداهم الآية

، محمد نور مرشد

لايجتمع المال في مركزيته بل يصرف الانسان مازاد عن حاجاته اللازمة على الناس. فاذا صار هكذا اعادة الأمة كلها نجوا من الهلاك.

واما اذا قام احد أو طائفة على اكتناز الكنوز وبخل عن الانفاق وصار يجمع الأملاك فانهم يهلكون ولو بعد ايام.

والحاصل ان الاجتماعية الصالحة لاتتحمل الرأسمالية بل يناسبها الاشتراكية على اصول المضاربة مثل (كوابريٹو سوسائٹی) في ايامنا هذا وبتحريم الربا تحريما باتًّا ويأتي ذكر ذلك في اخر دور الخلافة.

مقصدنا من ذلك ان تحريم الربا باتًّا يجبر المفكرين الى انشاء مضاربات والى منعهم من الاكتناز والمعاملات بالربا.

تنبيه

اشرك معنا في اعمالنا السياسية رجل من الماهرين فى الاقتصاديات والمتخصصين بها في كلية بمبئي اسمه ابراهيم بن عبد الله السندي وكان قد حاز الأولية في اختبار الجامعة للمتخصصين فى الفنون في بمبئي

لهذا الرجل حكي لنا قصة عن استاذه فى الاقتصاديات. وكان هذا الاستاذ رفيقا في ايام التعليم للورد كرزن. هذا الاستاذ سأل الشيخ ابراهيم فقال هل الاسلام يحرم الانتفاع بالأموال؟ هذا تعبير اوربائي فانهم يعدون الربا منفعة المال مثل منافع البضائع. وهو مثل قول المشركين الذين حكي عنهم القرآن (انما البيع مثل الربو) ثم قال الاستاذ اذا حرمت منفعة المال كيف يترقى الانسانية فى الاجتماعية الى التمدن العالي؟ فاجابه الشيخ ابراهيم على ظنك يا استاذ فان الاسلام لايحرم الانتفاع من الأموال مطلقًا وانما

يحرم منه نوعا خاصا وذلك أنه اذا كان النفع والضرر بين رب المال وبين العامل به مشتركا فان الاسلام لا يمنع من ذلك. و اما اذا كان النفع لصاحب المال والضرر على العامل فقط فهذا يسمى ربا ويحرمه باتا قليلا كان او كثيرا ولا يجوز الاحتيال فيه بصورة ما.

فلما فهمه الاستاذ بسكون خاطر ضرب بيده على فخذه وقال آه هلك اوربا ان لم يأخذ بهذا الأصل الذي هو من اصول الاسلام. انتهت الحكاية.

وانا منذ سمعت هذه الحكاية من الشيخ ابراهيم قدرت على التصريح بتحريم الربا عند الشبان في تعليم القرآن واما قبل ذلك فكنت لا اقصد هذه المسألة قصدا ولكني كنت اشير الى مضراته وكنت احرمه لتلك المضرات.

اما هذه "مضرة التي تحصل على العامل من جهة رب المال فلم اكن متنبها لها قبل تصريح الشيخ ابراهيم.

ولما ذكرت عند الشيخ ابراهيم بعض الجمل من كتاب حجة الله البالغة في هذا الصدد تعجب جدا.

وقال هل يوجد عند المسلمين فى اللسان العربي هذا العلم؟ فإني ما رأيت احدا يرمز الى ذلك. وانا اعلم ان اوربا لا تعرف من المسلين ذلك. واني مسرور جدا على ان الاسلام لم يخل من العلم الحقيقي.

وبعد ذلك كلما ذكرت عند اهل العلم هذه الحكاية استبشروا بها وقال لي بعض اهل العلم انه ما رأى رجلا يأخذ عن رجل قرأ فى الكليات الغربية شيئا الا أنت.

لاني كنت اصرح باني اخذت هذه الفائدة عن شاب مثقف.

الحركة الروسية ليست موافقة للاسلام

فالحاصل اننا كنا عارفين بهذا القدر قبل الانقلاب الروسي ولما علمنا بالانقلاب الروسي ونظريات الانقلابيين علمنا صدق قول استاذ الشيخ ابراهيم. ثم وسعنا دائرة مطالعاتنا قدر الامكان لمعنى فرأينا كثيرا من اهل العلم يصرحون ان الاسلام يحرم الربا كانهم يدعون الى الاشتراكية وكانهم يستحسنون الحركة الروسية لانها توافق الاسلام ورأينا ان هذا التصريح الاجمالي يؤدي الى مفاسد خطيرة للانسانية ولا يجوز لاهل العلم ان يغضوا البصر عنها. ولذلك توجهت بكليتي الى ما يبتني عليه ابطال الرأسمالية وجردته من جميع المفاسد الاخرى من انكار الاديان وافساد الاجتماعية بابطال سنن النكاح وتربية الاولاد وامثال ذلك ونظمت برنامجا من الابتداء وقصدت مرمى واحد هو قمع الرأسمالية لا باسم الاسلام فقط فانه يجعل الحركة حركة دينية ولا يلتفت اليها الانقلابيون من الغربيين ويقتدي بهم الانقلابيون الشرقيون بل رتبت ذلك البرنامج باسم الوطنية الهندية ليلتفت اليه الانجليز والهنود في الهند الغير المسلمين وروسيا ومن يتبعهم بالضرورة الحاتمة.

اعتراف الانقلابيين بحقانية الاسلام

وقد اشعرت في ضمن ذلك باني هندي مسلم والاسلام لا يصلح معه الرأسمالية ابدا ولا يوافق الاسلام الا هذا ولم اتوجه الى هذا التصريح بكليتي وما بالغت فيه بل جعلته من الامور التبعية لئلا ينفر الانقلابيون من الخوض في اسبابه.

فانا احمد ربي على ان فزت في مقصدي فانه ما استطاع احد من الامم الثلاثة في رد برنامجي وقد اعترفوا في انفسهم بحقانية

الاسلام فى المسائل الاقتصادية العالمية. وقد كان هٰذا هو مقصدي، ثم هل نقدر نحن على تنفيذ هٰذا البرنامج ام لا؟ فهٰذا شيء آخر. وقد كان الغرض من ذٰلك تبليغ الاسلام الى الامم الراقية الانقلابية ولعل الله يقبل ذٰلك مني ويجعل هٰذا تأدية عما كان يرجوه شيخ شيخنا مولانا محمد قاسم وهو انه لو استطاع ان يتعلم اللغة الغربية لبلغهم كلمة الاسلام. فاني طالب علم منتسب اليه فليكن عملي هٰذا تأدية لبعض ما كان يرجوه.

واقول اليوم ان تحريم الربا تحريما باتا يؤدي الى تفريق الاموال فيمن حوله من ابتداء الامر. هٰذا الذي اشار اليه القرآن (و آتى المال على حبه.)

وهٰذا الامر مهتم به فى القرآن وهو من اصول الاخلاق الايمانية هٰذا اصل خاص ويلتحق بالاصول الاربعة الاولى.

وليس الامر على ما يظنه بعض الفقهاء من المفسرين ان هٰذا اريد به الزكاة فان هٰذا خطأ عظيم منه فان أمر الزكاة وراء ذٰلك و هٰذا جزء للايمان.

فان الايمان عندنا عبارة من الاصول الاخلاقية مبني على الايقان بحظيرة القدس.

معنى الايمان عند مولانا محمد قاسم

ولنذكر هنا كلمة لشيخ شيخنا مولانا محمد قاسم في تفسير كلمة الايمان. يقول ان الفقهاء يعرفون مسألة النية وان الاعمال بالنيات. والنية معناها ارادة العمل الخاص تعميلا لامر الله. مثلا نية الصلوٰة. ونية الزكاة وامثالها فنية اداء جميع المأمورات الالٰهية جملة واحدة

ومرة واحدة يعني نية جامعة لجميع الاعمال. هو الايمان.

وانا فسرت قول فقهائنا موافقا لهذا القول فانهم يقولون ان الايمان اقرار باللسان وتصديق بالقلب.

وكلمة التصديق استعملها المناطقة لتفصيل الامر المركب مثل الجملة لكنها يكون تصديقا بالعقل.

فتقييد فقهائنا لقولهم التصديق بقيد القلب الغرض منه هو الاحتراز عن التصديق المنطقي.

فالتصديق بالقلب يكون عزم القلب بالصدق لأداء ما اقر بلسانه بقوله، اني أمنت بالله كما هو باسمائه وصفاته وقبلت جميع احكامه. هذا الاقرار باللسان يوجبه فقهاؤنا فى الايمان. فاذا انضم الى ذلك تصديق القلب نية اداء كل ذلك بالصدق كان قول شيخ شيخنا شرحا لقول فقهائنا.

والتصديق بالقلب عمل من اعمال النفس ليس هو بمعرفة فقط. فكان معنى قول شيخ شيخنا ان الايمان هو قول وعمل.

الحنفية الذين يفسرون كلمة الائمة هم من اتباع السلف وليسوا بفرقة مبتدعة — تم هذا الكلام الاستطرادى.

قوله:- واقام الصلوة وأتى الزكوة.

اقامة الصلوة وايتاء الزكاة من الفرائض الاسلامية العملية. فالأولى توجه الى حظيرة القدس والثانية انفاق الاموال تحت قانون خاص. والأولى في درجة الخلق غير مقيدة بقانون وكانت عنوانا للاجتماعية الانسانية التي هي من نتائج حظيرة القدس. فقصد اقامة هذه الاجتماعية

هومن اصول الاخلاق. و اداء مافرض عليه القانون مصداق الزكاة.

هٰذا القانون كان فى الاسلام على درجتين (١) الاولىٰ في مكة كان انفاق كل مازادعلى الحاجة وهو العفو واجبا من غير تعيين نصاب.

وفي ايام اقامة النبي بمكة كان من حق الحكومة الاجتماعية المطالبة بانفاق كل ماراد عن الحاجة من كل من انبع الحكومة الاجتماعية وجعلهم نائبين عن الحكومة فى الانفاق وما كان الناس يجمعون الاموال في بيت خاص — قوله:- والموفون بعهدهم اذا عاهدوا.

هٰذا فى المصالح الخارجية فانهم يوفون بعهدهم لكل من يواليهم من الامم ولاءً حسنا وقد كانت الاجتماعية الاسلامية مشتملة على قسمين من الاعضاء (١) قسم يقبلون الشريعة وهم المسلمون. وقسم يتحدون معهم بمعاهدة خاصة و هٰؤلاء هم الذميون و لهم في الاجتماعية حقوق مثل ما للمسلمين تمامًا.

وقد تنبه لروح الاجتماعية الامام ابوحنيفة فاجاز قتل المسلم بالذمي قصاصًا وخالفه فى ذٰلك الفقهاء الثلاثة. فعرفنا من ذٰلك انهم ما فهموا روح الاجتماعية الاسلامية فان الفقهاء الثلاثة لم يكن نظرهم الا الى زمن الانقلاب وذٰلك لان المسلم الانقلابي لا يقتل بالكافر الارتجاعي فان هٰذا قاعدة كلية مسلمة. ولكن ذٰلك خاص بزمن الانقلاب فقط اي زمن الجهاد — اما اذا انتهى القتال بين المسلمين والكافرين ودخلوا في حوزة الاسلام وسلموا علو الحكومة الاسلامية وظهورها عليهم من كل وجه و لا يخالفون الانقلاب الاسلامي فعند ذٰلك لا يجري فيهم حكم الانقلاب بل تكون دماءهم مصؤنة مثل دماء المسلمين.

سياسة الحكومة الاسلامية مع الرعايا الغير المسلمين.

وهذه التسوية لا يقبلها عقلية العرب ولا يتناساها العجم وهذا هو سبب الاختلاف بين العرب والعجم وهو احد اسباب الاختلاف بين الحنفية والشافعية ايضًا.

سبب عدم التسوية ولخلاف الحنفية والشافعية.

تنبيه

تعجبنا من بعض معاصرينا من الشافعية فانهم اذا ارادوا تبليغ الاسلام الى الغربيين والدعاية له فلا يمكنهم ذلك الا اذا اخذوا برأى الحنفية في هذه المسئلة وتشبثوا بالفقة الحنفي. ثم اذا جلسوا في بيوتهم وفي مجالس خاصة بهم ينتقصون الفقهاء الحنفية ويحتقرونهم. انتهى التنبيه.

تعصب الشيخ رشيد رضا المرحوم.

قوله:- والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس.

التكاليف والمصائب التي تعترى الانسان عند التزامه برنامجا معينا تنقسم الى قسمين قسم داخلية مثل البأساء والضراء التي تأتي على المسلم بسبب عدم تفرغه من تأدية الفرائض التي اخذها على نفسه او عدم موافقة النّاس للاختلاف فى البرنامج فى كسب المعيشة.

قوله:-حين البأس.

وهي المصائب والتكاليف التي تعتريه عند قتال الاعداء وعند عدم ترك شيء من الفرائض والدوام على ادائها هو الصبر. وكان هذه الجملة تعبير أخر عن معنى الصبر الذي فهمناه في قوله:- ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله اموات بل احياء ولكن لا تشعرون. ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الاموال والانفس والثمرات وبشر الصابرين.

الاخلاق التي ذكرت من قبل لم تقيد بشيء. واما ذكرالله فقد تقيد باقامة الصورة- والشكر بايتاء الزكاة والعهد بالايفاء والصبر كونه شهيداً حين البأس و الابتلاء بالخوف و الجوع الذين هما الباسآء والضراء.

وقوله:- اولٰئك الذين صدقوا واولٰئك هم المتقون.

قد شرحناها في ابتداء الكلام فلاحاجة الى الاعادة هنا مرة ثانية.

مسألة فى الاجتماعية المتوسطة

اذا سأل سائل فقال ماقيمة الانسان؟ فجوابه فى الآيتين الآتيتين وها هما (١٧٨ و ١٧٩).

يٰۤاَيُّهَا الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلٰى ؕ
اَلْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْاُنْثٰى بِالْاُنْثٰى ؕ فَمَنْ
عُفِيَ لَهٗ مِنْ اَخِيْهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌۢ بِالْمَعْرُوْفِ وَاَدَآءٌ
اِلَيْهِ بِاِحْسَانٍ ؕ ذٰلِكَ تَخْفِيْفٌ مِّنْ رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ ؕ فَمَنِ
اعْتَدٰى بَعْدَ ذٰلِكَ فَلَهٗ عَذَابٌ اَلِيْمٌ ﴿١٧٨﴾ وَلَكُمْ فِي
الْقِصَاصِ حَيٰوةٌ يّٰۤاُولِي الْاَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُوْنَ ﴿١٧٩﴾

وحاصل الجواب هوان الانسانية اصناف اوجنس منقسم الى انواع فكل فرد يساوي افراد نوعه او افراد صنفه. ثم باجتماع الاصناف يتحقق النوع او باجتماع الانواع يتحقق الجنس.

واما تسوية الانسانية العامة فانه لايمكن تحققها في الوجود ابدًا وانما الممكن الذي يرتكز عليه الاجتماعية هو تسوية الاصناف فقط.

قوله:- كتب عليكم القصاص.

قد فسرها الامام ولي الله بالمماثلة و للمساواة في تفسيره فتح الرحمٰن وفي حجة الله البالغة والمسوى. هٰذا التفسير لم اجده عند الفقهاء. (١) قد شاع في شبابنا فكر المساواة اخذًا من الاجتماعية الغربية وهم قد عرفوا ان الاديان العامة و الاسلام خاصة يناقض ذٰلك فصاروا على قدر معرفتهم وتبصرهم في المساواة يبتعدون عن الفكر الاسلامي. وقد عرفنا ذٰلك بالتجربة. بل يحتقرون دعاة الاسلام القائلين بعدم المساواة والداعين الى عظمة الملوك و شرف الامم بجبلتهم وخِلقَة لا بوجود وصف فيهم و بقيامهم بالعدل وبالدين ـ هٰذا المرض عام في الفقهاء الغير الحكماء. وهٰؤلاء الفقهاء اذا قام احد منهم لدعوة الشبان الى الاسلام فانهم ينفرون من الاسلام اكثر من الاول. لانهم عرفوا معنى الحرية و المساواة منذ الانقلاب الفرنسي. ويطالعون كتب الانقلابيين. وكانوا بحسن ظنهم في الاسلام يقولون ان الاسلام ايضًا يدعوا الى المساواة والانقلاب فاذا سمعوا من هٰؤلاء الفقهاء خلاف ظنهم ذٰلك ييئسوا من قيام الاسلام مرة اخرى، ولايمكن اقناعهم بالايمان بالمهدي وغيره هٰذه حالة عامتهم.

فلما تقربنا اليهم وارشدناهم الى معنى القصاص لا بالدعاوي فقط بل اطلعناهم على نصوص الشيخ في ذٰلك ثم علمناهم قوة قول الله في اية ــــ ولكم في القصاص حياة يا اولى الالباب. اي في المماثلة والمساواة. لعلكم تتقون. اي تقوموا بالعدل و الاحسان تحيروا وبهتوا واشفوا على

(١) ليس لاحد فضل وشرف بجبلته.

عدم اطلاعهم على ذلك وانكروا على جميع التفاسير الرائجة واعتقدوا
بامامة الامام ولي الله .

وكنا نحن ضعافا في الهند في الدعوة الى امامة الامام ولي الله لكثرة المنازعين لنا من الفقهاء المسلمين. ولما عرفنا بعد سياحتنا في اوربا ان الاجتماعية التي يدعون اليها هي على شرف الانهيار والزوال نشطنا في الدعوة الى امامة الامام ولي الله . لان تسوية عقلية شباننا المسلمين جميعا على المعارف القرانية لا تستقيم الا بنحو من ذلك . والا فالفقهاء الذين يتبعون اوربا في دعوة التسوية مع الاشتراكيين فانا اعرف من عقلية شباننا فانهم يعدون هؤلاء الفقهاء خادمين ومعاونين لاوربا لانهم يتبعون الاسلام والقرآن بتوسطهم .

واما الدعوة الى امامة رجل يفسر القرآن على اصول الحكمة وهو اسلامي محض هي التي تقنعهم بالاسلام وبافضليته وتحفظهم من كل دعايات الغرب .

قال الامام في المسوى ولكم في القصاص حياة . اي لكم في اعتبار المماثلة والمساوات بقاء . وقال والاظهر عندي ان وجهة الآية ان القصاص هو المماثلة والمساواة . والمعنى كتب عليكم اعتبار المماثلة ولا يعتبر الفقر والغنى والشرف والاتضاع وقال في حجة الله البالغة . معنى القصاص التكافؤ وان يجعل اثنان في درجة واحدة في الحكم لا يفضل احدهما على الآخر لا القتل مكانه البتة . في قوله لا القتل رد على التفسير المشهور . قال في فتح الرحمن . ازام كرده شد بر شما قصاص يعنى اعتبار المماثلت .

وهذا الامر لم يصدر من الامام صدفة وانما صدر بعد تفكر وامعان .

الاجتماعية التي يدعو اليها الغرب على شرف الزوال .

قوله :- الحر بالحر والعبد بالعبد والانثى بالانثى .

فقهاء نا يجعلون الذكر والانثى نوعين متمائزين وجعلوا الانسانية فيهما متساوية كما شاع باتباع ارسطو . ان الانسان نوع وانه لا تشكيك في الماهية بل كل افراده متساوين في الماهية وفي صدقها عليها .

هذا القول عندنا تخييلي محض ليس مستنبطا من استقراء افراد الانسان وليس مكشوفا به في حظيرة القدس فالقول به و التقليد له يفسد الاجتماعيات — والصحيح الذي عليه المعول هو ان الذكر والانثى مختلفان خلقة كما يختلف انواع الجنس الواحد ولذلك التحاق بعض ، الافراد من احد النوعين الى الاخر لا يوجب نفي تنوعها . و اما خلاف ذلك فهو انخداع الفطرة او ارتفاع منها .

نجعل كل انثى متساوية للاخرى وكل ذكر مساويا للاخر استبقاء لحكم الانواع .

ثم الاجتماعيات المتخصصة المبنية على اصول متضاربة تقسم الانواع الى اصناف مثل النوع . و اذا اضطرت امتان الى التقاتل فاحداهما لا بد أن تفنى الأخرى وليس مثلها عند ، في الأمثل الانسان و الحيوانات المفترسة للانسان فجعلهما متساويتين يفسد الاجتماعية و لذلك جعلنا الأمة المحاربة لنا الأسيرة بأيدينا كالصنف المخالف لصنفنا وجعلنا كل فرد منهم يساوى الأخر .

و بمقابلة كل فرد ممن يساوى الفرد للأخر صارت الاصناف ثلاثة . وهي .

(١) المحارب الأسير الذي يعبر عنه بالعبد (٢) الذكر الذي عبر عنه بالحر (٣) الأنثى التي مصرح بها الانثى بالانثى .

فتبعية اعتبارات للمساوات بين افراد كل نوع فرض لازم .

و اما المساوات بين فرد صنف و بين فرد صنف اخر مصنوعي فتابع للاصطلاحات و المعاهدات و القضاء بها ليس من الاصول التي تذكر في القرآن وانما هو مقتضى وقت . ويحكم اولوا الأمر في ذلك الوقت بما يرونه انفع واصلح .

قيمة الانسان في الاجتماعية الاسلامية.

وقد تبين بهذا من تلك الآيات قيمة الانسان في الاجتماعيات الاسلامية وقيمة الشيء انما تتقرر وتتعين احد لفنائه . يعني الانسان اذا أخذ من انسان آخر شيئاً معيناً فعليه ان يرد ذلك الشيء بعينه . اما اذا افقد ذلك الشيء من يد الأخذ فهما يتفقان على تعيين قيمته ولا تتعين قيمته الا باتفاقهما

فاذاً لا تتعين قيمة شيء الا بعد فنائه .

وقد ذكرت هذه القاعدة في الهداية مرات كثيرة .

والقرآن العظيم انما ذكر قيمة الانسان عند قتله اشارة الى تلك الحكمة ويتضح ذلك من تفسير الامام ولي الله في الحجة والمسوى . وقد اشبع الكلام فيه ورد على كل تفسير يخالف ذلك .

ولاجل امثال هذه النظريات نحن نجعل الامام ولي الله في صف المجتهدين المستقلين مثل إبي حنيفة ومالك وغيرهما .

رأينا الناس يتمئزون من اطلاق امثال هذه الكلمات في حق الامام ولي الله مع ايمانهم بالمهدي الذي يعتقدون فيه انه ليس بنبي ثم يفضلونه في كثير من الأشياء على وقائع من سيرة النبي عليه السلام .

وهذا جهل عجيب منهم لا يجوزون ان يكون احد من الأمة المحمدية مثل إبي حنيفة ومالك ويعتقدون بجواز ان يكون احدهم مثل الانبياء بعد خاتم النبيين .   تم والحمد لله .

مسألة

قيمة الاموال اي الاشياء التي يرتفق بها الانسان في حياته ما هي؟ فحاصل جواب ذلك هوان كل من اكتسب خيرًا. فله حق التصرف فيه الا اذا كان في ذلك اثمًا مخالفًا للاخلاق الاساسية . اوكان جنفا ميلًا عن الحقوق الاجتماعية المعينة عند الناس بالمعروف ـ وتبين ذلك عند موته فان له الحق ان يوصي بما عنده كيف شاء الا جنفًا او اثمًا ـ فاذا ذكرنا تفسير الآيات الثلاث (١٨٠ - ١٨١ - ١٨٢) على هذا النمط اعجب الحقوقيين من شبابنا.

كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا ۖ الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴿١٨٠﴾ فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَمَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٨١﴾ فَمَنْ خَافَ مِنْ مُوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٨٢﴾ ع

وفيها بيان رفع الاثم ودفع الجنف ايضًا وانه يرتفع بالصلح فيما بينهما والمصالحة العامة في حق الاموال اصل من اصول الحقوق الاسلامية والذين يجعلون المعروف الذي كان في زمن الخلفاء العباسيين الذي تغيّر بنا نحن عنه كثيرًا او القانون المبني عليه واجبًا تنفيذه علينا مثل تنفيذ الاوامر القرآنية هم من اجهل الناس ومن اعداء الاسلام.

والسعي لجمع جماعة من الفقهاء المجتهدين لينظروا في المسائل المتجددة والمتغيرة دائمًا من فروض الكفاية على جميع المسلمين.

القرآن قيد التصرف في الاموال المكتسبة

تقوية العرف القرآني بالعرف يتحصل بالاجتهاد

واذا غفلوا عن ذلك وتركوه فان للمسلمين لا ينتقيدون بقانون الاسلام في امور القضاء ــ ولا نعرف اولى الناس بالقيام بتلك المصلحة وبتلك المسئلة من الفقهاء الا الفقهاء الحنفية. لكن على طريقة مشائخنا من اتباع الامام ولي الله فانهم دائماً يعيدون انظارهم في الفقه.

قال الامام ولي الله في فيوض الحرمين. عرفني رسول الله ان في المذهب الحنفي طريقة انيقة هي اوفق الطرق بالسنة المعروفة التي جمعت و نقحت في زمن البخاري واصحابه.

وذلك بأن يأخذ من الأقوال الثلاث قول اقربهم في المسألة ثم بعد يتبع اختيارات الفقهاء الحنفية الذين كانوا من علماء الحديث.

ورأيت في نسخة من المشاهد هي اصل فيوض الحرمين صنفه الامام اولاً مختصراً وهي خطية عند بعض اهل العلم بمكة هنا كلمة زائدة وهي (كالحافظ الطحاوي) انتهت الزيادة.

قال فرب شيء عند الثلاثة في الأصول وما تعرضوا لنفيه و دلت عليه الاحاديث فليس بد من اثباته. والكل مذهب حنفي.

قلت وعلى هذا انا اضيف تجديدات الامام ولي الله واصحابه الى المذهب الحنفي ولم نر في الاعصار للمتأخرة رجالاً امثالهم في سائر المذاهب

وقال في فيوض الحرمين في موضع اخر ايضاً. سألته عليه السلام سؤالاً روحانياً كما نبهنا عليه مرارا فنفح إلَيَّ نفحة ثم نفحة اخرى مختبين ان مراد الحق فيك ان تجمع شملاً من شملة الأمة المرحومة بك.

وإياك ان تخالف القوم في الفروع فانها مناقضة لمراد الحق. ثم كشف نموذجاً ظهر لي منه، كيفية تطبيق السنة بالفقه الحنفي

من الأخذ بقول احد الثلاثة وتخصيص عموماتهم والوقوف على مقاصدهم والاقتصار على ما يفهم من لفظ الحديث. وليس فيه تأويل بعيد ولا ضرب بعض الاحاديث بالبعض ولا رفض حديث لقول احد من الأمة. وهذه الطريقة ان تم حلها واكملها هي الكبريت الاحمر والاكسير الأعظم. اه.

قلت وقد اجتهدت انا بفضل الله في تكميل تلك الطريقة في الفقه الحنفي في مدة سبع سنين. وكان لي بحمد الله وبفضله ذريعة التقدم الى علوم الكتاب.

ونحن نجعل الامام ولي الله بهذه الوصية من خواص الحنفية وهي خاصة الحنفية

وقال في موضع آخر. اعلم ان الملل والمذاهب توصف بالحقية فتأملنا حقيقة هذه الواقعة فوجدنا معنيين (۱) احدهما جلي (۲) والآخر دقيق يرى من بعيد.

ثم قال! اما الدقيق الذي يرى من بعيد تفصيله في حق الملة. ثم قال. وكذلك المذهب ربما يكون العناية المتوجهة الى حفظ ملة حقة متوجهة على حسب معدات الى حفظ مذهب خاص بان يكون حفظة المذهب يومئذ هم القائمين بالذب عن الملة اويكون شعارهم في قطر من الاقطار هو الفارق بين الحق والباطل. فحينئذ ينعقد في الملأ الأعلى اوالسافل بان الله هي بتقييد احكامها الكلية بتلك الصور الخاصة في مداركهم. فيصير المذهب حقا بهذا المعنى. ثم قال،

اما المعنى الدقيق فلا يوقف عليه الا بالنور النبوي الكاشف عن احكام التدبير القاهر على البشر ولذلك قلنا ان هذا يرى من بعيد.

واذا تمهد فنقول تراءى لي ان في المذهب الحنفي سرا غامضا ثم

لم ازل اتحدق في هذا السر الغامض حتى شاهدت ان لهذا المذهب في يومنا هذا رجحاناعلى سائر المذاهب بحسب هذا المعنى الدقيق وان كان بعضها ارجح منه بحسب المعنى الأول فعض عليه بنواجذك اهـ.

وقد صرح الشيخ في بعض كتبه بانه حنفي عملاً. وحنفي وشافعي تعليماً. وهذا الذي وجدناه يثبت بانه من خوص الائمة الحنفية ونحن في طريق خاص من الطرق الحنفية المختلفة.

سبب تأليف كتاب التمهيد لائمة التجديد.

وهناك بعض الناس لايحبون الحنفية ولايحبون كذلك ان يكون الامام منهم. وردا على هؤلاء كنا اردنا كتابة رسائل التمهيد فى ائمة التجديد ومرادنا من هؤلاء الأئمة هم الائمة الاربعة الهنديون. (١) احدهم الامام الرباني الشيخ احمد السرهندي فانه كان حنفيا ما تريديا خالصًا.

وثانيهم السلطان الاعظم خاتم سلاطين الهند الذي لم يوجد له نظير في تاريخ الهند القديم بعد (اشوكا) السلطان الكبير على الهند من السنية السلطان محي الدين عالمگير.

والشيخ عبد الرحيم والد الامام ولي الله الذي كان من رجال الاجتماعية التي كانت للسلطان من علماء الدين الذي كانوا انظموا الفقه الحنفي ودونوه في فتاويه المشهورة بالفتاوى العالمگيرية (الفتاوى الهندية) ونفذ جميع مافيه في اطراف مملكته. وبقي كذلك منفذا في ايام اخلافه نحو مئة سنة وقاهرا.

وثالثهم الامام ولي الله الحنفي، ورابعهم خليفته الامام عبد العزيز الدهلوى، وقد ارتاب الناس في حنفية الامام ولي الله لانه كان يدرس الفقه الحنفي والشافعي معًا لانه كان يبحث عن الاجتماعية العالمية

الاسلامية ولذلك كان مجبورًا الى تعليم الفقه الشافعي حتى يتمكن من اخذ نظام جامع لكافة المسلمين.

و اما في اعماله فكان رجل جماعته حنفيا خالصًا.

و اما ولده الامام عبد العزيز فنظم طريقة خاصة لاهل الهند منشعبة من تعليم والده. فكان في اعماله حنفيا و في تعليمه حنفيا. و هو عندنا مثل ما يقوم امير الامراء تحت الوزارة العامة لنظم القوة العملية الامام ولي الله امام القوة النظرية اكثر بالنسبة الى عملياته و الامام عبد العزيز تحت نظريات والده امام القوة العملية.

هؤلاء الاربعة نعدهم مجددين في الالف الثاني للاسلام في الهند.

ونحن نسير على طريقتهم بقدر ما استطعنا. و الله الموفق.

نحن على طريقة الامام ولي الله واصحابه.

قوله:- يَاَيُّهَا الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ
عَلَى الَّذِيْنَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُوْنَ (١٨٣) اَيَّامًا مَّعْدُوْدٰتٍ
فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيْضًا اَوْ عَلٰى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ اَيَّامٍ اُخَرَ وَعَلَى
الَّذِيْنَ يُطِيْقُوْنَهٗ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِيْنٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ
خَيْرٌ لَّهٗ وَاَنْ تَصُوْمُوْا خَيْرٌ لَّكُمْ اِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُوْنَ (١٨٤)

متى تتقدم الامة.

لا تتقدم الامة كلها الا اذا كان جميع افرادها متعلمين والتعليم العمومي او نقول التعليم الاجبارى شرط في الاجتماعية المتوسطة وحتم.

وقد جعل الله شهرا واحدا من السنة وخصصه للتعليم. ومعنى كلمة التعليم عندنا هو اصلاح القوة الدماغية و الارادية وليس معنى التعليم

هو تلقين مجرد الفاظ وكلمات علمية لاطائل تحتها.

فشهر الصيام مجرب لاصلاح القوى الباطنية وفيه اصلاح القوى الحيوانية التي نعبر عنها بالصحة.

ولما كان التعليم يحتاج الى فراغ بال الانسان فان الصوم يكون سببًا لتعطل القوى عن الاعمال فيجد الانسان وقتًا كافيا لذلك وقد اشار الى كل ذلك في اٰية (١٨٣-١٨٤)

وقوله:- لعلكم تتقون. تستصحوا فتعتدل[1] القوى فتصيرون صالحين للقيام بالعدل. ومعنى هذا هو الاستعداد للتقوى.

والصوم اياما معدودات يؤثر تاثيرًا قويًا اذا كان متواليا. وهو سنة مجربة فى الانسانية لتعديل القوى.

وقوله:- فمن كان منكم مريضًا او على سفر فعدة من ايام اخر.

هذه الايام المعدودة يترك فيها الناس جميع اعمالهم ويشتغلون بالصيام فيكون ذلك سببًا لتقوية الاجتماعية. فان كان لاحد عذر من مرض اوسفر فله ان يؤدي هذا الفرض من ايام اخر. وانما اخر من الفوائد الاجتماعية لامن الفوائد النفسية.

وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين.

الصائم يترك الطعام والشراب فلربما يكون هذا سببًا لحدوث الشح والبخل فى الطبيعة. لايأكل ليجمع. ولذلك اوجب عليهم ان يتصدقوا بالطعام تتميما للصوم والى ذلك يشير قوله:- وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين.

وقد تخبط المفسرون في تفسيره من قديم الزمان الا الامام ولي الله

[1] وقد ورد حديث صوموا تصحوا وسافروا تربحوا الخ . كتبه محمد نور.

الدهلوي فانه فسره وازال الأشكال. هو يقول ان اصل التركيب هكذا (فدية طعام مسكين على الذين يطيقونه) والضمير راجع الى الطعام وانما اخر المبتدأ لكونه نكرة — وقد ذكر ذلك الامام الفراء في معانى القرآن وقال انه لا يرجع الضمير الى الصيام[1]. فصار المعنى ان من كان يطيق الاطعام يجب عليه ذلك ليتم صيامه ولئلا يتعود على البخل والشح فان زاد على طعام مسكين فهو خير له. هذا هو اصل المصلحة.

ثم صورة هذا القانون جعلها النبي عليه السلام ان يؤدى الفدية المذكورة في يوم الفطر. وبدل الاداء عن كل يوم من الشهر بصورة اخرى وهي ان يؤدي عن كل افراد البيت صاموا اولم يصوموا فقامت هذه الكثرة مقام كثرة الايام وسهل على الناس العمل به. فانهم اذا فرغوا من صيامهم في رمضان يشكرون ربهم ويخرجون الصدقة طوعًا و رغبة منهم. ثم عن كل افراد البيت صغارًا وكبارًا ليؤثر ذلك في قلوبهم ويتشجعوا على اداء شكرهم لله على الحيوة والصحة التي اكتسبوها.

هذا كان باعتبار الايثار الذي كان للمسلمين فى الدور الأول واجبًا و لازمًا والتطوع لايزال باقيًا فان المؤمن كل يوم يطعم المساكين.

وقد صار هذا بيان زكاة الفطر فى التشريع. هذا هو تفسير الامام ولي الله وقد شممنا رائحة هذا في كلام الامام محمد. واما عامة الفقهاء فهم غافلون عن هذا او أتوا بخرافات فقدروا في كلام الله من عند انفسهم حرف (لا) ويجعلون كلمة يطيقون يطوقون.

---

[1] وكذا ذكر الامام الجصاص في احكامه عن بعض الفقهاء ولكن لم يوافقه، كتبه محمد نور.

تنبيه

كفارة الظهار يجب ان يطعم ستين مسكينا . ومقدار الطعام غير معين ولا مقدر. ولكن الامام محمد تبعاً لشيخه جعله مثل صدقة الفطر فعلم من ذلك ان صدقة الفطر هو طعام مسكين في كتاب الله .

و قد اشار الى ذلك الامام محمد في بعض كلامه فعلمنا من ذلك ان نقر ونعترف بقوة تفكر الامام ولي الله فانه لولا تنبيهه لما عرفنا شيئاً. اه

قوله:- و ان تصوموا خير لكم.

هذه الجملة ترتبط بقوله كتب عليكم الصيام والخير هنا هو تعديل القوي ثم عين الله تلك الايام المعدودة. شهر رمضان . وشهر رمضان كان مبدأ نزول القرآن . ولذلك قال ، الذي انزل فيه القرآن .

وفي قوله:- الذي انزل فيه القرآن لنا نظرية خاصة واصلها ماخوذ من السيد احمد خان باني جامعة عليگڑھ . وقد اكملناه نحن. فاقول ذلك يرجع الى مسألة ليالي رمضان الاول تابع لليلة التي بعده كما ان يوم عرفة تابع لليلة التي بعده وهي الليلة التي بين اليوم التاسع والعاشر فكما تركنا سنة العرب في جعلها الليلة مقدمة على يومها في موسم الحج كذلك في رمضان نجعل ايام رمضان مقدمة على لياليها . ولم يصرح الفقهاء بهذا .

وقد رأينا ان النبي كان يدخل معتكفه بعد صلاة الصبح ويخرج من معتكفه بعد صلاة الصبح من يوم العيد .

وقد رأينا بعض الصحابة عدوا ليلة القدر وجعلوها تابعة لليوم فانهم يجعلون الليلة السابعة والعشرين تابعة لليوم السابع والعشرين . والرواية في صحيح مسلم . وان رأينا ان مشائخنا يتكلفون التاويل في اعتكاف النبي

والليلة السابعة و العشرين. وقد تركنا نحن التأويل واتبعنا الظاهر.

وعلىٰ نظريتنا قد صام النبي عليه السّلام شهر رمضان في حراء ثلاثين يومًا (كما صام موسٰى عليه السلام على الطور ثلاثين يومًا) وفى الليلة التاسعة والثلاثين نزل القرآن- وصيام النبي على وفق سنن الانبياء كان بالهام طبيعي.

واما عيد الفطر فكان تذكارًا لنزول القرآن ونصوم رمضان مثل ماصام النبي لحصول بركات القرآن.

قوله:- شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِىٓ اُنْزِلَ فِيْهِ الْقُرْاٰنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنٰتٍ مِّنَ الْهُدٰى وَ الْفُرْقَانِ ج

في هذا تعليم عمومي يتفكرون فيه فى القرآن ويتدبرون فيه.

فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ط

وذلك لتحصيل بركات التعليم.

وَمَنْ كَانَ مَرِيْضًا اَوْعَلٰى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ اَيَّامٍ اُخَرَ يُرِيْدُ اللّٰهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيْدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ز وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللّٰهَ عَلٰى مَا هَدٰىكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُوْنَ ﴿١٨٥﴾

قوله:- يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر.

الصوم فيه رخصة وكذلك شهر رمضان فيه رخصة فلاعسر في شئ من ذلك — قوله:- ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هدٰىكم.

كانت الامم السابقة تصوم لتعديل القوي فقط. والقرآن اضاف الى ذلك تعلم العلم وسهل لنا تعلمه وذلك نعمة عظمٰى ومنة كبرٰى علينا فلله الحمد علىٰ ذلك.

فاننا نعمل بما امرنا الله به في كتابه ونسلك سبيله الذي اوضحه لنا.
هذا معنى قوله ولعلكم تشكرون.

وعلاوة على تعلم القرآن في رمضان يتقوى العزم بالصوم ايضاً والدعاء ليس الا مظهر العزم فاذا ابدينا عزمنا امام ربنا بدلناه بصورة الدعاء. وقد ارشد لتقوية ذلك العزم في آية (١٨٦)

وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾

فليعزموا على العمل بالقرآن وليتيقنوا ان الله قريب منهم ويقوى لهم العزم ثم كان هناك مشكلة وهي ان القوى الداعية في الصوم تصير مضمحلة ولا تستطيع على مدارسة القرآن بانشراح صدر فازيلت تلك المشكلة.

كان الصوم في الزمن القديم يبتدئ من النوم بالليل فيمسكون عن الطعام والشراب الى ان تغرب الشمس الآتي فيأكلون ويشربون حتى النوم وهكذا. فنسخت تلك العادة وابيح لهم الطعام والوقاع الى طلوع الفجر فصار الليل كله خاليا لفهم القرآن والى ذلك الاشارة في آية (١٨٧)

قوله:- أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ ۚ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ۗ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ ۖ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ ۚ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ۖ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ ۚ وَلَا

تُبَاشِرُوْهُنَّ وَاَنْتُمْ عٰكِفُوْنَ فِی الْمَسٰجِدِ ؕ تِلْكَ حُدُوْدُ اللّٰهِ فَلَا تَقْرَبُوْهَا ؕ كَذٰلِكَ يُبَيِّنُ اللّٰهُ اٰيٰتِهٖ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُوْنَ ﴿١٨٧﴾

وكان سبب النسخ هوخيانة بعض الناس فى الوقاع فاحل لهم ذٰلك. و نعرف من حكمة الله ان المقصد كان هوتخلية الوقت لقرأة القران. و في اخر الأية ولاتباشروهن وانتم عاكفون فى المساجد. فصارت ليالى الاعتكاف خالية لمدارسة القران وتفهمه. وقوله:۔ كذٰلك يبين الله أياته للناس لعلهم يتقون. التقوى بالفعل والعدل.

تتمة

صلى الناس في ليالي رمضان بصلاة النبي عليه السلام ثم تخلف عنهم وقال لهم صلوافي بيوتكم فاني خشيت ان تفرض عليكم. اوكما قال. وقدورد في حديث المعراج. هي خمس وهي خمسون لايبدل القول لدي. فاشكل ذٰلك على شراح الحديث وتكلموا فيه وقال كل على حسب مافهمه. ولكن لنا فيه نظرية خاصة نذكرهاوهي. الأصل في صيام رمضان ان يصوم الشهر كله ليله ونهاره وانما كان ابيح لهم الطعام والشراب الى وقت النوم لضعفهم

فالأن ننظرفي صيام الليل يمسك الانسان من المفطرات بعد النوم وفي ذٰلك معنى الصوم فاذاقام المسلمون عوض ذٰلك للتدبر فى القران برغبتهم بجماعة افلايكون هٰذا اولى في تفسيرمعنى صيام الليل؟

الامساك عن المفطرات بعد النوم في جانب و القيام فى الصلاة في جانب أخر. هٰذا هواللائق بصيام الليل وهواولى من الامساك من المفطرات باليقين. وقديكون الامساك في طول القيام ايضًا.

فاحتاط النبي من ان يجعل هذا الامر واجبًا لمعنى الصوم الذي ابيح لهم بالليل فليس ذلك فرضًا للصلاة الجديدة بل هو من تمام الصيام[١]. وكان خوف الاحتياط جائزًا. وبعد ما توفاه الله زال ذلك الخوف فجعل الفاروق بمشورة من الصحابة قيام الليل للعامة سنة في المساجد والخاصة مستثنون من ذلك!

وهذه السنة لم تكن شريعة لازمة للمسلمين جميعًا بل راعوا فيه مصلحة حفظ القرآن[٢]. وباتباع المصلحة يجوز للخليفة الراشد ان يغير السنن كما يجوز للمسلمين باجماع اهل الحل والعقد منهم تغيير السنن ايضًا على حسب المصالح[٣].

يجوز للخليفة الراشد ان يغير السنن للمصلحة

---

[١] اي لم يخش النبي عليه السلام ان يفرض عليهم صلاة التراويح وانما خاف ان يفرض عليهم صيام الليل لان في طول القيام كان معنى الصوم.

[٢] السنن ليست على العامة وفي ذلك احاديث متواترة كحديث هل علي غيرهن؟ قال لا الا ان تطوع. وحديث اوتروا يا اهل القرآن فان الوتر حتم. تخصيصه بالامر لاهل القرآن فقط وهم القراء، دليل على ان الوتر ليس على الناس جميعًا عند من يقول بسنيته ويؤيد ذلك حديث، ليس لك ولا لاصحابك راجع معالم السنن للامام الخطابي، و التفهيمات الالاهية وغيرها من كتب الحديث.

[٣] النساء في زمن رسول الله كن يذهبن الى المساجد للصلاة الخمس وذلك سنة ولكن قالت ام المؤمنين عائشة لو راى رسول الله ما احدثته النساء لمنعهن المساجد الحديث. وقد منع الناس الآن النساء عن المساجد وذلك تغيير للسنة ... كان الطلاق الثلاث في زمن رسول الله وابي بكر وصدرا من خلافة عمر بلفظ واحد تطليقة واحدة ثم غير ذلك عمر واعتبره ثلاثا، وهذا تغيير للسنة. وكان الناس في عصر رسول الله وبعده يأتون بالعمرة والحج في سفر واحد ولكن منعهم من ذلك عمر وامرهم بانشاء سفر جديد لكل من الحج والعمرة وهذا تغيير للسنة. وكان بيع امهات الاولاد جائزًا فمنعه عمر في خلافته وكذلك من نكاح الكتابيات ومنع معاوية من التلبية في عرفة. وفي كتاب الاوائل للحافظ السيوطي شيء كثير من ذلك. وتسمية التطوعات والاولويات سنة حادثة من الفقهاء لم يكن يعرف في عصر النبي وخلفائه كما في شرح الترمذي لابن العربي وفتح القدير وشرح المنية الكبير.

وقد ظلم الناس من منعهم من ذلك من الفقهاء،

ابيح لهم المفطرات بعد النوم واخذوا الصلاة والقيام عوضاً عن الصوم.

وخاف النبي عليه السلام ان يفرض عليهم هذا العوض ولذلك كان منعهم من التزامه.

مسألة

الاجتماعية المتوسطة توجب المعاملات المالية من بيع وشراء ورهن

و وديعة وغيرها. وقد ارشد الله الى اصلاح تلك المعاملات و لجرائها

على العدل و الانصاف في اية (١٨٨) بقوله:-

وَلَا تَأْكُلُوٓا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَآ إِلَى الْحُكَّامِ

لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٨﴾ ع

وقص ذلك في موضع آخر بقوله الا ان تكون تجارة عن تراض منكم.

والمبادلة كلها مبنية على التراضي والرضا فان لم يكن كذلك فهي اكل اموال

بعضهم بعضاً بالباطل وهذا عيب على الانسانية.

وقد جاء المنع في الاجتماعية الانسانية الابتدائية عن اكل الخنزير والميتة

واذا اكل انسان مال غيره بغير رضاه فقد اكل ما هو من قبيل تلك المحرمات.

تنبيه

هذا الامر عام لجميع المسلمين العامة والخاصة منهم وكذلك الحكام

كل الناس في هذا الحكم سواء. ولا يجوز لحاكم ان يأخذ مال احد الا برضاه الا

ما فرض الله عليه دفعه الى الحاكم وقد سار على هذا النبي مدة حياته و

خلفاءه الراشدون بعده وهذا هو مبني البرلمان. وقد عمل النبي

بذلك ايضاً في غزوة هوازن عندما احتاج الى الاموال ليصرفها في المصلحة العامة

فسأله ذلك و قال من شاء فليعطنا برضاه والا يكون علينا قرضاً نؤديه له فيما بعد - وقد استفيد من ذلك ان الحكومة تقترض من الامة ايضاً.

فقالوا قد رضينا. ولكنه ما قبل منهم ذلك وقال لهم ارجعوا الى عرفائكم وليأتوهم برضاكم. هذا حاصل الحديث المروي في الصحيحين. وهو اساس البرلمان.

ولكن الملوك والسلاطين المستبدين ان اصلحوا امرًا واحدًا باستبدادهم افسدوا امورًا كثيرة ولو انهم عملوا بالشورى وافسدوا بعض الامور لكان ذلك اهون على المسلمين - نحن الآن لا نتكلم على التاريخ ومقصدنا من هذا انما هو ان التعليم الاسلامي مكمل في امضاء الحكومة الشوروية.

واما ما يتفوه به بعض المبطلين الذين لم يفكروا في اية يوما من ان الاسلام تركنا بدون قانون للحكومة فذلك كله من سفاهتهم وغفلتهم.

وقوله :- وتدلوا بها الى الحكام الآية

هذا نوع آخر من الاكل بالباطل فانهم يردون مرة رشوة و يأكلون اموال الناس بقوة الحكام مرارًا وهذا هو الذي يفسد الحكومات.

نحن نعرف الحكومة الانجليزية في الهند كان لها نظام مبني على حكمة ومصالح الا في بعض الامور فانهم يتحكمون ويتجبرون فيها على الرعايا ويزعمون انهم هم الفاتحون للممالك وفي الحقيقة ليسوا كذلك فاذا غضينا النظر عن ذلك العيب والنقص نجد نظامهم صالحًا ولكن دوائر حكومتهم مملوءة بالرشوة من ابتداء تسلطهم الى ايامنا هذه فانهم لا يقدرون على ازالتها واصلاح دوائرهم. ويظهر من ذلك ان حكومتهم في الهند غير طبيعية ولن تدوم اذا تيقظ اهل الهند وان كانوا اناموا المسلمين منذ خمسين سنة بتمويهات وبدعايات من بلدان المسلمين.

والرشوة فتاكة بالحكومات ومدمرة لها وفى الاثم الأخذ والمعطي سواء.

وفساد اخلاقهم ابين من ان يظهر.

وهٰذه الأية وحدها كانها اجمال للمصالح المالية كلها.

مسألة

الانسان فى اجتماعيته الصالحة لابدله من تقويم الشهور والسنين

والى ذٰلك الاشارة في اية (١٨٩)

يَسْـَٔلُوْنَكَ عَنِ الْاَهِلَّةِ ؕ قُلْ هِيَ مَوَاقِيْتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ ؕ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِاَنْ تَاْتُوا الْبُيُوْتَ مِنْ ظُهُوْرِهَا وَلٰكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقٰى ۚ وَاْتُوا الْبُيُوْتَ مِنْ اَبْوَابِهَا ۪ وَاتَّقُوا اللّٰهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُوْنَ ﴿١٨٩﴾

عامة المفسرين جعلوا الجواب غير مطابق للسؤال وصاغوا من ذٰلك حكمة وهي ان الجاهل اذا سأل عن شيء ليس في استطاعته فهمه ينبغي ان يعرض عنه ويجاب بما ينفعه ويفهمه وسموا ذٰلك (أسلوب الحكيم) وجعلوا الأية شاهدة لذلك بعد ان قالوا ان السائلين كانوا سألوا عن حكمة بدو القمر صغيرا ثم صيرورته كبيرا ثم رجوعه الى مثل حالته الأولى يعني انهم سألوا عن الحكمة الطبيعية في صغر القمر وكبره — واما الامام ولي الله ففسر الاهلة بالأشهر فقوله يسألونك عن الاهلة يعني عن الأشهر وهل يتخذون الأشهر الهلالية في حسابهم ام الأشهر الشمسية؟ لان التقويم من ضروريات المجتمع الانساني وبذلك طابق الجواب السؤال. والأية كانها تتمة للأية السابقة.

الأشهر الهلالية يمكن معرفتها لجميع الناس من غير عناء الكتابة والحساب واليه الاشارة في، قل هي مواقيت للناس والحج.

وقدجعل امام الملة الأشهر الهلالية مواقيت للحج لتدور ايام الحج على جميع المواسم من الصيف والشتاء والربيع والخريف.

وقوله:- وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها.

يعني اتخاذ التقويم الشمسي في معاملاتهم ليس الا اتيان البيوت من ظهورها ولذلك يجب ان تتركوا ذلك لان ذلك انما يوافق الصابئة.

والحنيفية ان جعلت تقويم الملة مبنيا على الشمسية فكانها امرت الناس ان يأتوا البيوت من ظهورها.

الانسان بفطرته يمكنه ان يسير على قانون واحد ولكن اذا كلف السير على قانونين فان ذلك يكون تكليفاً بخلاف الفطرة.

نحن جربنا ذلك بعد تغلب الانجليز علينا و ذلك اننا مضطرون الى اتقان القانون المسلط علينا من الانجليز و القانون الاسلامي معاً.

فاصبحنا اننا لا نتقن ذاك ولا هذا.

والحساب مثل ذلك فاما ان يكون على الاشهر القمرية او على الأشهر الشمسية فان ذلك سهل على الناس. و اما حساب التقويمين فذلك صعب جربناه في بلادنا- وتكليف الانسان بما لايحتاج اليه هو اتيان البيوت من ظهورها ايضاً وقوله ولكن البر من اتقى.

ومعنى ذلك هو ان اصل المقصد اتباع القانون اما التقاويم فى الحواشي فلاتجعلوا الحواشي مثل المقاصد واجعلوا حصول المقاصد اصل المقصود دائماً.

قوله:- وأتوا البيوت من أبوابها.

يعني اعملوا بما يسهل عليكم وهو الحساب بالاشهر القمرية لانكم لاتزالون امة امية فاذا تعلمتم جميعاً ولم يبق فيكم فرد واحد

فلا بأس عند ذلك من اتخاذ الاشهر الشمسية.

قوله:۔ واتقوا الله لعلكم تفلحون.

اصل المقصود هو التقوى واما اعتبار الشهر القمري او الشمسي فمن الزيادات على اصل المقصود فلا يتعلق بها فلاح امة ولا عدمه.

تنبيه

عندنا مسألة اللغة تابعة لمسألة التقويم وهي ايضا من الحواشي فتسليط لغة اجنبية على امة هو تكليفهم بامر غير طبيعي وذلك يشبه اتيان البيوت من ظهورها وقد جربنا نحن ذلك فان الكتب الدينية التي تدرس في مدارسنا لا يفهمها الاساتذة ولا الطلبة كما ينبغي واذا قرأنا الكتب المنقولة الى لساننا نفهمها جيدا.

انا بنفسي كنت مضطرا الى فهم كتاب كنز الدقائق ولكني لم اجد في المدرسة من يفهمني ذلك لان في آخر السنة الدراسية لا يمكن للطلبة ان يبتدءوا في مثل هذا الكتب فاخذت ترجمته التي نقلها احد علماء ديوبند الى لساننا وسماها احسن المسائل وصرت اقرأها بنفسي فلم يمض على ذلك اسبوع حتى فهمت الكتاب كله وحفظت جميع المسائل. ثم اخذت الاصل العربي وطالعته بمعونة من شرح الطائي وغيره وفرغت منه في اقل من شهر. فلما كان كذلك فما معنى تضييع الوقت، اليس الاشتغال بالكتب المطبوعة بلغة اجنبية مع وجود تلك الكتب بلغتهم هو من قبيل اتيان البيوت من ظهورها وكذلك الحالة في جميع الكتب المكتوبة بلغة اجنبية فان الطلبة لا يفهمونها واذا اخذوا ترجمتها فانهم يفهمونها جيدا. فقد لخص بعض علمائنا كتابا في المنطق ونقله الى لساننا فصار جميع الطلبة يفهمونه كما ينبغي.

تسليط لغة اجنبية تكليف بامر غير طبيعي

لما انتقلت الخلافة الى العجم ترجموا جميع الكتب الدينية وغيرها بلغتهم فكانت الأمة الهندية في ابتداء امرها تستفيد من تلك التراجم لأن اللغة الرسمية فى الهند كانت اللغة الفارسية. وبعد مازالت الحكومة الاسلامية منها شرع اهل العلم بنقلها الى اللغة الهندية و ملأوا بها الهند.

فالعلم محفوظ فى الامة الهندية كما هو محفوظ فى الأمة الايرانية. كنا جعلنا فى السابق نهاية باب الاجتماعية المتوسطة الى هذه الآية.

وجعلنا ابتداء باب الاجتماعية العالية من (١٩٠) الى نهاية الجزء - و جعلنا باب الخلافة من ابتداء الجزء الثالث.

و بعد ما طالعت البدور البازغة رأيت تقسيم ذلك الى بابين غير لازم لأن الاجتماعية المتوسطة فى القرى العامرة والاجتماعية العالية فى الامصار نوع واحد والاختلاف بينهما انما هو اختلاف الصنفية فقط. ولذلك نجعل من هنا بابًا واحدًا يمتد الى نهاية الجزء. وهذا اسنوح جديد سنح لنا بعد ما فارقنا الهند.

مسألة أخرى

الدفاع عن الاجتماعية واجب على كل افراد المجتمع قال تعالى:-

وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا ط إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (١٩٠)

معناه تهيأوا لقتال كل من يقاتلونكم. ومعنى ولا تعتدوا اي ان لم يقاتلوكم فلا تهاجموهم - ومن لا يقاتل المسلمين بل يسالمهم من اهل الذمة فقتالهم واعتبارهم محاربين، ومعاملتهم مثل معاملة المحاربين عدوان تعدى عليهم وذلك جهل بمصالح الاجتماع.

الدفاع عن الاجتماعية واجب على كل افراد المجتمع

وقد استدل بهذه الآية من يمنع المسلمين من قتال الكفار ويقول ان الاسلام لايسمح بالهجوم وانما يأمر بالدفاع وقتال من يبدأهم بالقتال.

وهذا غير صحيح عندي فان هذا الحكم مخصوص بالحرم فقط فانه لايجوز للمسلمين أن يبدأوا بالقتال فيه ولايجوز ابطال تخصيص المسجد الحرام بهذه الآية وجعل الأرض كلها مثل المسجد الحرام- وليس معنى الآية الا التهيؤ لقتال الاعداء، والاستعداد لهم على قدر قوتهم واستعدادهم.

والمسألة حربية يستنفر الامام على قدر مايحتاج اليه للحرب من الجنود. الاستعداد والتهيؤ اذا كان واجبًا فعلى كل فرد ان يتشبث بذلك. فاذا قاتلوا المسلمين كافة يجب على المسلمين ان يقاتلوهم كافة.

واما قتال الذين لايقاتلوننا فذلك جهل. وقد فسد كثير من الحكومات الاسلامية بفساد معاملاتهم مع الذميين لاسيما في الهند. وكذلك رأينا في الدولة العثمانية في اوربا فانهم ساروا حذو النعل بالنعل مع الحكومة الهندية في هذا الصدد.

قتال الذين لايقاتلوننا جهل.

قوله:- وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ ۚ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ ۖ فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ ۗ كَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿١٩١﴾ فَإِنِ انتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٢﴾

القتل والاخراج من الوطن جائزان لدرء الفوضوية وعدم التقيد بالقانون فان حالة اللاقانونية لاتناسب الانسانية.

قوله: وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ ۖ

في هذا تصريح بان بدء القتال عند المسجد الحرام لايجوز. وقوله

فَإِنِ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظّٰلِمِينَ ﴿۱۹۳﴾

لا يؤخذون بعد الصلح بما عملوا اثناء نشوب القتال بين الطرفين والآية تصرح بان مقصد القتال هو دفع الفساد وازالته فاذا اندفع وزال واتبعوا القانون الالٰهي فانه يجب ان ينتهي القتال.

ومعنى فلا عدوان الا على الظالمين. هو اقامة الحدود على العصاة.

قوله:- اَلشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمٰتُ قِصَاصٌ ط
فَمَنِ اعْتَدٰى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوْا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدٰى
عَلَيْكُمْ ص وَاتَّقُوا اللّٰهَ وَاعْلَمُوْٓا اَنَّ اللّٰهَ مَعَ الْمُتَّقِيْنَ ﴿۱۹۴﴾

فقوله:- والحرمت قصاص. اي تتماثل بعضها بعضا.

وقوله فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم.

معنى ذلك ان القوة الفاسقة لاتنزجر الا اذا جوزيت بالمثل. وحقوق الحرمات سواء في سبيل الانتقام.

واتقوا الله واعلموا ان الله مع المتقين.

هذه الآيات من ۱۹۰: ۱۹۴ بيان اجمالي للمصالح الحربية واتمام ذلك يكون بأمرين (۱) جمع الاموال للحرب (۲) والتمرين على الامور الحربية. فارشد الى الاول في آية (۱۹۵) بقوله:- وَاَنْفِقُوْا فِيْ سَبِيْلِ اللّٰهِ وَلَا تُلْقُوْا بِاَيْدِيْكُمْ
اِلَى التَّهْلُكَةِ ۛ وَاَحْسِنُوْا ۛ اِنَّ اللّٰهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِيْنَ ﴿۱۹۵﴾

بيان اجمالي للمصالح الحربية مع ا

لان عدم الانفاق في سبيل الله هو سبب هلاك الامة والاحسان

بالانفاق في سبيل الله هو طريق الاحسان الى الله. ان الله اشترى من
المؤمنين اموالهم وانفسهم الاية — وللتمرين على الاعمال الحربية شرع
الحج. وبيان ذلك من اية ١٩٦: ٢٠٣ وكلها في مسائل الحج.

قوله:- وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ۚ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ
مِنَ الْهَدْيِ ۖ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ ۚ
فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ
صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ۚ فَإِذَا أَمِنْتُمْ وقفة فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ
إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ ۚ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ
فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ ۗ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ۗ ذَٰلِكَ لِمَنْ لَمْ
يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ
اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٩٦﴾ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ ۚ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ ع
الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ
يَعْلَمْهُ اللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ ۚ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي
الْأَلْبَابِ ﴿١٩٧﴾ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ ۚ
فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ ۖ
وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ ﴿١٩٨﴾ ثُمَّ
أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ

غَفُوْرٌ رَّحِيْمٌ ﴿١٩٩﴾ فَاِذَا قَضَيْتُمْ مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللّٰهَ كَذِكْرِكُمْ
اٰبَآءَكُمْ اَوْ اَشَدَّ ذِكْرًا ؕ فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَّقُوْلُ رَبَّنَآ اٰتِنَا فِي الدُّنْيَا
وَمَا لَهٗ فِي الْاٰخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ ﴿٢٠٠﴾ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَّقُوْلُ رَبَّنَآ اٰتِنَا
فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَّفِي الْاٰخِرَةِ حَسَنَةً وَّقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿٢٠١﴾ النصف
اُولٰٓئِكَ لَهُمْ نَصِيْبٌ مِّمَّا كَسَبُوْا ؕ وَاللّٰهُ سَرِيْعُ الْحِسَابِ ﴿٢٠٢﴾

الحج تمرين على الاعمال الحربية من غير قتال.

وقد جاء في الحديث الحج جهاد لا قتال فيه. وليس معنى ذلك الا ان الحج تمرين على الاعمال الحربية من غير قتال. وحاصل اعمال الحج شيئان.

الاول امر المسلمون ان يجتمعوا بنفقاتهم في موضع مخصوص. الثاني ان يتمرنوا باعمال مثل التمرين على اعمال الحرب والجهاد فاذا قاموا بذلك وتمرنوا وصارت لهم عادة فانهم يتمكنون من اعمال الجهاد بأدنى عناية.

يؤمر المسلمون بجمع الجنود في موضع معين من حدود الكعبة في الشرق او الغرب فيجتمعون بازواجهم واهليهم هناك. هذا مصلحة من مصالح الحج وفيه غير هذه من المصالح واليه الاشارة في قوله (٢٠٣)

وَاذْكُرُوا اللّٰهَ فِيْٓ اَيَّامٍ مَّعْدُوْدٰتٍ ؕ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِيْ
يَوْمَيْنِ فَلَآ اِثْمَ عَلَيْهِ ۚ وَمَنْ تَاَخَّرَ فَلَآ اِثْمَ عَلَيْهِ ۙ لِمَنِ
اتَّقٰى ؕ وَاتَّقُوا اللّٰهَ وَاعْلَمُوْٓا اَنَّكُمْ اِلَيْهِ تُحْشَرُوْنَ ﴿٢٠٣﴾

في هذه الآية تمت مسائل الحج.

واما قوله. واتقوا الله واعلموا انكم اليه تحشرون. فقد حمل المفسرون

هٰذا الحشر على حشر الناس في عرصات القيامة وجعلوا حشر الناس في عرفة مثالا للحشر في يوم القيامة نحن لا ننكر ذٰلك ولا ننكر على استنباط مثل هٰذه الفوائد من مسائل الحج.

ولكن لا نرى الاقتصار على ذٰلك لانا لا نرى ان المقصود من سياق مسائل الحج هنا هو ذلك بل المراد من الحشر هو حشر الجنود للجهاد فان الاسلام في اول امره ما قام الا بقوة المتطوعين والحج فيه تمرين المتطوعين على اعمال الجهاد.

ثم اذا ذكرنا حديث (الحج جهاد لا قتال فيه) فمن في قدرته ان يجرد الحج من اعمال الجهاد؟

ولكن الملوك الظلمة وشياطين الزهاد المتقشفين اغفلوا الناس عن الجهاد واتوا بالأباطيل في شرح مسائل الحج قاتلهم الله فانهم ابطلوا جميع اعمال المسلمين

ولنشرح الآن آيات الحج.

شرح آيات الحج

في هٰذه الآية كلها ذكر امور الحج والعمرة وفي نهايتها واتقوا الله واعلموا ان الله شديد العقاب وقد ذكر فيها كذٰلك حكم الفدية وجزاء المخالف لما امر من المناسك من غير ان يغفر له بدونه. وهٰذا معنى الاتمام الذي امر به في قوله. واتموا يعني اتموا ما امرتم به من المناسك من غير تهاون فان تركتم شيئا مما امرتم به فانكم تجازون اما بغرامة مالية او كفارة بدنية ولا يغفر بدون ذٰلك ـ وكذٰلك يكون نظام الحرب فان الجندي اذا خالف ما امر به فانه لا يترك من غير مجازاة ـ فتمرين عامة الناس رجالا ونساء على اعمال الحرب هل يمكن بطريقة احسن من هٰذا؟

وقد عرف اعداء الاسلام ان قوة النظام القرآني والقوة العملية في الحج هما اللذان يستند اليهما عز الاسلام. فلذٰلك يسعون بكل قوتهم دائما في توهينهما وتضعيفهما. واما قوله الحج اشهر معلومات

فاشهر الحج هي شوال و ذوالقعدة و ذوالحجة .

فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولاجدال فى الحج .

ينبغي على المجتمع ان يلتزم امورًا في اثناء ثلاثة شهور وهي (١) ان يتركوا ذكر النساء (٢) ان يتركوا الفساد مخالفين للقانون فى المعاملات فيما بينهم .

(٣) ان يتركوا الجدال .

فاذا التزمت امة هذه الأمور لمدة ثلاثة اشهر فقط فانهم يحوزون كثيرًا من الأوصاف الاجتماعية العسكرية وقدروا على اقامة حكومة اجتماعية مثل اجتماعيتهم في اثناء قيامهم بالحرم . فان الناس هناك يلتزمون احكام الشرع بقوتهم الارادية النفسية من غير قهر سلطان وحاكم عليهم .

ويستطيعون بعد الفتح انشاء حكومة للاجتماعية المتوسطة .

وهذا لازم فى الانقلاب فانه لايجوز هدم من غير انشاء ولا افساد من غير بناء ـ وقوله :ـ وما تفعلوا من خير يعلمه الله .

ينظم المتطوعون دوائر لمنفعة الضعفاء من المسلمين والبؤساء من المؤمنين

قاتل الله المطوفين الذين تمكنوا فى المسجد الحرام كانه ميراث ابيهم ورثوه اباعن جد . فانهم لايدعون حاجيا ان يفعل شيئًا من الأمور الخيرية لانهم يظنون انهم هم المستحقون لجميع ما بيد الحجاج الذين ينزلون عندهم[١] .

وصار اسم الحكومة في هذه البلدة[٢] لعنة على المؤمنين حتى

---

[١] فقد اتحدت الحكومة والمطوفون ثم الصيارف والقماشة على سلب الحجاج بكل ممكن الحكومة باسم حفظ النظام والاصلاح والنظافة وغيرها . والصيارف باسقاط سعر العملة الاجنبية قدر نصف القيمة او الثلث . والمطوفون لهم حصص في كل مايشتريه الحجاج وصرفه في سبيل الخير . ولهم حيل كثيرة في سلب الحجاج يحتاج الى تفصيل ذلك مجلد ضخم ـ [٢] اي الحكومة باسم السلطان المستبد .

صاروا كانه ليس لهم قوة اجتماعية .

وقد انكرت على الآمرين بالمعروف بشدة عند ما سمعت الشرطي ينادي الصلاة الصلاة لانهم يعرفون ان ذلك بدعة وان كنت لا انكر على ذلك و انما كان انكاري على اعلانهم بين الامم ان المسلمين بلغ من تهاونهم بامور الدين انهم لايصلون الصلوٰة الخمس الا بقهر الحكومة .

ولعل النفع الذي يرجي من تشهيرهم ذلك لا يبلغ عشر مضراته فان هٰذه البلدة محل اقامة اجتماعية صالحة من غير ارغام حتى يثبت عند الامم ان المسلمين لايحتاجون الا الى اوامر الله وحده .

وقوله :- وتزودوا فان خير الزاد التقوىٰ الآية

معنى هٰذه الآية الكريمة معروف وهوان السؤال والتكدي في اجتماعية الاسلام ممنوع وفي هٰذا ايضاً تمرين على اعمال الجهاد . فهل يمكن التكدي في ميادين الجهاد ؟

قريش في جاهليتها كانت احسن حالا من المسلمين المكيين الآن فانهم كانوا يضيفون كل من كان يرد اليهم في مواسم الحج ولا كانوا يدعونهم ان يسألوا الناس ويتكففوا وكانوهم كذٰلك لايسألون الناس شيئا فكان الحجاج يضعون مايستطيعون في خزانة البيت برضامنهم لايعرف احد ما وضعه الآخر وكان الاحترام للجميع على حد سواء . ثم اذا سافر الحجاج كانوا يقتسمون ما في خزانة البيت بالسوية

وقد تحيرنا بعد ما علمنا وبعد ما سمعنا ما يجري هنا و لاندري ماذا يريده المسلمون اليوم بعد كل هٰذا .

قوله :- ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلا من ربكم -

هٰذه مصلحة ثانية للحج . مسألة التجارة العالمية . كانت قوافل التجار تأتي

من الشرق والغرب بتجاراتهم وكانوايتبادلون في ايام منى فاذابقي شيئ من ذلك كانوايتركونه امانة عند تجار قريش الأمناء للبيع والشراء في العام المقبل وكان لايضيع من ذلك حبة واحدة. وبذلك كانت مكة مركزاعظيما للتجارة وفي ضمن ذلك كان تبادل العلوم والأخلاق. وذلك كان مصلحة عظيمة للمسلمين اعداء الأسلام لايتركونهم ان يكونوا كما كانوا والمسلمون لايتنبهون ولايستيقظون من سباتهم.

وسررت جدا اذ سمعت ان بقية قريش لاتزال موجودة في اطراف مكة وعرفة وحواليها[1]. وبلغني ان التجار في الأيام الماضية كانوايحمون تجارتهم بواسطهم عند نقلها من جدة الى مكة ومنها الى الطائف والمدينة وبذلك فهمت ان الأستعداد الذي كان فيهم لايزال ولذلك لاداعي لليأس.

قوله:- فاذا افضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام و اذكروه كما هداكم وان كنتم من قبله لمن الضالين.

هذا خطاب لأهل الحرم بان يجتمعوا لتنظيم امور الحج فيما بينهم بالليل كالمؤتمر الاداري، فانكم كنتم ضالين والآن قد هداكم الله فالتزموا العمل بهدا ها في الدوائر. و ذلك لانهم يذهبون بعد هذا الى منى الذي هو محل التجارة - كانوا في الجاهلية لايخرجون في حجهم الى خارج مزدلفة وكانوا يعتزلون الناس وينفرون منهم ويتكبرون عليهم لانهم كانوا ضالين. اما الآن بعد ان هداهم الله فليكونوا خداما للانسانية وليعودوا بدين ومنافع دنياوية. وفي قوله:- ثم افيضوا من حيث افاض الناس. اي اجعلوا انفسكم مثل افراد بقية الناس وفي ذلك حكم القوة الادارية في الحرب

---

[1] يعني ان بقية قريش موجودة يفيضون على مسكنتهم وفقرهم وان الامانة موجودة فيهم. السندي. ابوسعيد.

فان المحاربين في ميادين القتال لايتميزون بسلطة وسلب اموال الناس.

قوله:۔ واستغفر الله .

الاعتراف بالغلط اول طريق الاصلاح .

قوله:۔ فاذا قضيتم مناسككم .

فيه اشارة الى ان الطبقة العالية من الاجتماعية الذين يقدرون على الفخر بابائهم ينبغي لهم ان يجتمعوا في موسم الحج فيذكرون فيه مفاسد الجاهلية ومنافع الاسلام ومصالحه ومحاسنه فى الاجتماعية ويذكرون الله .

يجتمع فى الحج قسمان من الناس .(١) قسم لايريدون الامنافع الدنيا يتهيون ويكتسبون اليهم الاشارة في قوله:۔ ومن الناس من يقول ربنا اتنافى الدنيا حسنة وماله فى الاخرة من خلاق .

(٢) وقسم يريدون ان يجمعوا بين منافع الدنيا والاخرة .فان الاستعداد للعمل بالقران. هومن حسنات الاخرة . و اما الربح فى التجارة والاكتساب من الاموال فمن منافع الدنيا ومن حسناتها واليه الاشارة في قوله:۔ ومنهم من يقول ربنا اتنافى الدنيا حسنة و فى الاخرة حسنة وقنا عذاب النار، اولئك لهم نصيب مما كسبوا و الله سريع الحساب .

وقد ذكرنا شرح قوله واذكروا الله في ايام معدودات الاية .

ثم بعد هذه التمرينات وهذه التدريبات ينقسم الداخلون فيها الى قسمين قسم يفشلون ولاينجحون . وقسم يفوزون في مقصدهم وينجحون في تمرينهم

قوله:۔ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُّعْجِبُكَ قَوْلُهٗ فِي الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللّٰهَ عَلٰى مَا فِيْ قَلْبِهٖ ۙ وَهُوَ اَلَدُّ الْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾

هٰؤلاء حجوا فصاروا يتكلمون بكلام لطيف جميل جدًا خداعًا ويظهرون

توقيرهم لشعائرالله وتعظيمها ولكنهم فاسدوا الاخلاق للغاية ردئ الباطن.

قوله:- وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾

هؤلاء لايستطيع احد ان ينبههم على خطائهم ويفهمهم غلطهم. يصدون الناس عن كتاب الله ويأتون بطرق مبتدعة مموهة لذلك. فساق، زناة لوطيته[1] فانتساب هؤلاء الى الدين والى الاسلام والدين الاسلامي بريئ منهم.

قوله:- وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ

هؤلاء رفعوا انفسهم بحيث لايستطيع احد ان يوقفهم على آثامهم التي يرتكبونها فانهم يبطشون بالناصح ويجعلونه عبرة لغيره.

فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ ۚ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾

هؤلاء يعتمدون على قوميتهم اوعلى شخصياتهم في العظمة ولايرون انفسهم انهم محتاجون الى كتاب الله لباسهم لباس الصالحين وفي باطنهم الخبائث كلها يأتون الى الحرم ثم يقيمون فيه. فهؤلاء يخرجون من الاجتماعية الصالحة.

قوله:- وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾

من هنا يبتدئ ذكر الذين فازوا في تدريبهم ونجحوا في تمرينهم. فقوله ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله. هؤلاء في عملهم لايريدون مصلحتهم الذاتية ولا القومية ولكنهم انما يقصدون بذلك مرضاة الله ورضوانه واجراء احكام الله في ارضه على عباده.

[1] قد اشير الى هذه الذمائم بقوله "ويهلك الحرث والنسل" فان الاتيان في الادبار تجعل الارض بلاقع
ابوسعيد السندي.

قوله:- والله رءوف بالعباد . هؤلاء الذين فازوا في تمرينهم في الحج وباعوا انفسهم في مرضاة الله مثال الاسلام و نموذج المسلمين . وفي الآية الآتية الدعوة الى الانضمام الى هؤلاء .

قوله:- يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ اٰمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَآفَّةً وَّلَا تَتَّبِعُوا خُطُوٰتِ الشَّيْطٰنِ ۭ اِنَّهٗ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِيْنٌ ﴿٢٠٨﴾

ادخلوا فيهم بكل قواكم ولا تلتفتوا الى زهرة الحياة الدنيا وزخرفتها عليكم بكتاب الله ولا تنظروا الى غير قانون الاسلام .

فَاِنْ زَلَلْتُمْ مِّنْۢ بَعْدِ مَا جَاۗءَتْكُمُ الْبَيِّنٰتُ فَاعْلَمُوْٓا اَنَّ اللّٰهَ عَزِيْزٌ حَكِيْمٌ ﴿٢٠٩﴾

القرآن هدى امة من الناس وجعلهم مثلاً اعلى في الانسانية كما رأيتم وصار آية بينة . وهذه البينة تجعل القرآن بديهيا . فاذا جاءكم ما كان هذه صفته ثم زللتم فاعلموا ان الله عزيز حكيم . فانه يسلب عنكم الحكم ولا تظنوا انه يحتاج اليكم فآمنوا بالقرآن و بالنبي الذي جاءكم به فان لم تؤمنوا بهذا النبي الذي جاءكم فلا تظنوا أنه يأتي نبي آخر لهدايتكم وانما تأتي الانبياء في المحشر فقط .

قوله:- هَلْ يَنْظُرُوْنَ اِلَّآ اَنْ يَّاْتِيَهُمُ اللّٰهُ فِيْ ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلٰۗىِٕكَةُ وَقُضِيَ الْاَمْرُ ۭ وَاِلَى اللّٰهِ تُرْجَعُ الْاُمُوْرُ ﴿٢١٠﴾ ع

قد جاء في الاناجيل ان المسيح يأتي مع الملائكة ويأتي الله في ظلل من الغمام يوم القيمة في المحشر . ثم ان الناس ينتظرون ان تقوم في الارض

حکومة الهية بعد بعثة نبي . وقد جاء نبي بقرآن و بالبينات فيجب على الذين كانوا ينتظرونه ان يدخلوا في السلم كافة ولا يدعوا مجالا لان يكون في ارض الله حکومة غيره.

فاذا لم يؤمنوا بالنبي ولا اقاموا حکومة الله في ارضه فانه لم يبق اذا الا اتيان القيامة عليهم. قد جعلنا قوله يا ايها الذين امنوا ادخلوا في السلم كافة في اية (٢٠٨) امر للمؤمنين بالقرآن. ويجوز ان يكون المراد بالذين امنوا هنا هم الذين امنوا بكتاب من الكتب السابقة.[له] فامر كل من امن بكتاب من تلك الكتب ان يدخلوا في السلم كافة فان زلوا بعد ما جاءهم البينات فقد خسروا خسرانا مبينا وذلك لانه لم يبق لهم فرصة في ان يقيموا الدين الا يوم القيامة وذلك اليوم لا يمكنهم ان يقيموا فيه الدين بل يقال فيه و قضي الامر.

قوله:- سَلْ بَنِيٓ اِسْرَآءِيْلَ كَمْ اٰتَيْنٰهُمْ مِّنْ اٰيَةٍۢ بَيِّنَةٍ ؕ وَمَنْ يُّبَدِّلْ نِعْمَةَ اللّٰهِ مِنْۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُ فَاِنَّ اللّٰهَ شَدِيْدُ الْعِقَابِ (٢١١)

بنوا اسراءيل قد كان جاءتهم الانبياء بالآيات البينات وكانوا امروهم ان يؤمنوا بالنبي الامي . وكان هذا النبي نعمة عظمى في حق متبعيه ولكنهم لم يؤمنوا به فعذبوا بسلب الحكم منهم . وهذا معنى قوله ، ومن يبدل نعمة الله من بعد ما جاءته فان الله شديد العقاب.

قوله:- زُيِّنَ لِلَّذِيْنَ كَفَرُوا الْحَيٰوةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُوْنَ

له يقال لمن امن بالكتب السابقة و بالانبياء السابقين انهم مؤمنون ويجوز خطابهم بالمؤمنين وان لم يؤمنوا بالنبي محمد وبالقرآن ولم ينكروهما بعد راجع الجصاص الحنفي ص٢٨٥ ج ٢.

مِنَ الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا ۘ وَالَّذِيْنَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ ؕ وَاللّٰهُ يَرْزُقُ مَنْ يَّشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢١٢﴾

لايشك احد من المؤمنين بان الكافرين في جهنم والمؤمنين في جنات ونعيم ومقيم. وفي قوله والله يرزق من يشاء بغير حساب. اشارة الى ان المؤمنين سيكونون فوق الكافرين فى الدنيا ايضاً وان كانت الاسباب الظاهرة تقصر عن ذلك. فان المؤمنين يتغلبون بالقران على المخالفين من قومهم وتنتظم حكومة الالهية على العرب وهذه هي البعثة الاولى للنبي عليه السلام.

قوله:- كَانَ النَّاسُ اُمَّةً وَّاحِدَةً ۫ قف فَبَعَثَ اللّٰهُ النَّبِيّٖنَ مُبَشِّرِيْنَ وَمُنْذِرِيْنَ ۪ وَاَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتٰبَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيْمَا اخْتَلَفُوْا فِيْهِ ؕ وَمَا اخْتَلَفَ فِيْهِ اِلَّا الَّذِيْنَ اُوْتُوْهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ الْبَيِّنٰتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ۚ فَهَدَى اللّٰهُ الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا لِمَا اخْتَلَفُوْا فِيْهِ مِنَ الْحَقِّ بِاِذْنِهٖ ؕ وَاللّٰهُ يَهْدِيْ مَنْ يَّشَآءُ اِلٰى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيْمٍ ﴿٢١٣﴾

الناس فى الاصل كانوا امة واحدة ثم اختلفوا بالالسنة وغيرها من الاسباب الموجبة للاختلاف. وبعث الله في كل قوم منهم نبيا ينذرهم ويبشرهم بلسانهم و انزل معهم الكتاب ليبقى فيهم بعد النبي وليحكم به المختلفون بين الناس عند الاختلاف وهؤلاء العلماء من كل قوم اوجدوا الاختلاف بين الناس بغيا بينهم.

هذه حكاية حال الناس قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم ثم قوله تعالى

فهدى الله الذين أمنوا لما اختلفوا فيه من الحق باذنه. يعني هدى الله
امة محمد بالقرآن لما اختلف فيه اهل كل قوم. فترى مثلاً سلمان الفارسي
عرف بهداية القرآن ما اختلف فيه الفرس كما ارى انا ايضاً بعد معرفة
حكمة الامام ولي الله وتفسير القرآن على اصول تلك الحكمة اني اعرف ما
اختلف فيه اهل الهند من الحق والباطل. هكذا اهدى الله الذين امنوا
لما اختلف فيه الامم من الحق باذنه النافذ النازل من حظيرة القدس فصاروا
بحيث ينتظم لهم حكومة على الامم بالقرآن وتلك درجة ثانوية وبعثة ثانية للنبي

وقوله:- والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم.

اشارة الى ان الله اراد ان يخرج من بني اسمٰعيل نبي يقيم الملة الحنيفية
انا كنا شرعنا في البحث عن مسائل القتال ثم انتقلنا منها الى انفاق الاموال
والتمرين للجهاد وكانا تتمة لمسائل الجهاد. ثم كان البحث في اية (٢٠٤-٢١٢)
في نتائج الحج وقد صار بذلك الآيات والمسائل الماخوذة منها منضمة الى مصلحة القتال.

قوله:- اَمْ حَسِبْتُمْ اَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَاْتِكُمْ مَّثَلُ الَّذِيْنَ
خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَاْسَاۤءُ وَالضَّرَّاۤءُ وَزُلْزِلُوْا حَتّٰى يَقُوْلَ
الرَّسُوْلُ وَالَّذِيْنَ اٰمَنُوْا مَعَهٗ مَتٰى نَصْرُ اللّٰهِ اَلَاۤ اِنَّ نَصْرَ اللّٰهِ قَرِيْبٌ (٢١٤)

في هذه الآية اشارة الى ان المسلمين لا يفوزون بتنظيم الحكومة في الدرجة
الاولى او الثانية الا بعد مقاتلات شديدة ومحاربات عديدة ولا يأتي نصر
الله الا بعد مقاساة مصائب كثيرة ومشاكل كبيرة.

قوله:- يَسْـَٔلُوْنَكَ مَاذَا يُنْفِقُوْنَ قُلْ مَاۤ اَنْفَقْتُمْ مِّنْ
خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْاَقْرَبِيْنَ وَالْيَتٰمٰى وَالْمَسٰكِيْنِ وَابْنِ

السَّبِيلِ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٢١٥﴾

كانوا امروا بالانفاق ولذلك صاروا يسألون ماذا ينفقون؟ وكم يعطون؟ فاجابهم بأن النبي لا يأخذ منكم شيئًا وانما تنفقون على المتطوعين فى الجهاد من اقاربكم وذوى ارحامكم وعلى من بقي وراء المجاهدين من اقاربهم. ولا يأتيكم نصر الله الا بعد مقاساة التعب الشديد وانفاق اموال طائلة.

قوله:- كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾

القتال يستمر بينكم وبين اعدائكم ويدوم فاستعدوا لذلك بكل قوتكم ولئن كان دوام القتال واستمراره من الامور المبغوضة اليكم ومكروهة لديكم لكن في ذلك لكم الخير كله — وهذه الفريضة مثل بقية العبادات الحج وغيره التي تميزكم من الامم الاخرين فلا يقاس امر الجهاد فيهم بغيره.

قال اهل العلم ان المنع من القتال فى الاشهر الحرم منسوخ. اما الامام ولي الله فهو يرد على هذا القول ويقول ان حرمة الاشهر الحرم باقية ويجوز فيها القتال للضرورة والحاجة لا كما يظن بعض الناس انه لا يجوز القتال فيها مع مسيس الحاجة اليه ايضًا — وانا مطمئن بقول الامام ولي الله فان الكفار اذا رأوا أن المسلمين يمتنعون عن القتال فى الاشهر الحرم يسعون في ردهم عن الاسلام ان استطاعوا ويظهر ذلك من الآية الآتية وهي

قوله:- يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ اللَّهِ ۚ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ ۗ

وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتّٰى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا ۚ وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۖ وَأُولٰٓئِكَ أَصْحٰبُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خٰلِدُونَ ﴿٢١٧﴾

مفاسد القتال فی الاشهر الحرم مسلمة عندنا ولکن تترجح مصلحته احیانا علی تلك المفاسد (واخراج اهله منه اکبر عند الله والفتنة اکبر من القتل) فان امتناعنا عن القتال فی الاشهر الحرم اذا ادی الی تغلب الکفار واستمرارهم فیه فاننا لانمتنع ایضا (ولا یزالون یقاتلونکم حتی یردوکم عن دینکم ان استطاعوا) لاننا لانود الرجوع عن دیننا (ومن یرتدد منکم عن دینه فیمت الخ)

قوله: إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللّٰهِ أُولٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللّٰهِ ۚ وَاللّٰهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢١٨﴾

الايمان في ارتقائه فی الاجتماعية المتوسطة ینفصل بالهجرة والجهاد ویصیران من ارکان الایمان — ویحتاج في مواصلة الجهاد الی اموال کثیرة وذلك ربما لایمکن الا بالاقتصاد الصالح فهل یسمح الشرع الشریف بحصول تلك الاموال اللازمة ولو من وجوه غیر شرعیة ؟ وتقویة الأبدان بشرب الخمر؟ وجواب ذلك في اٰیة.

يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا

اذا کانت الاموال اللازمة لایمکن الحصول علیها الابصورة معینة فما الذي ینفقه کل فرد من الاجتماعیة؟ وجوابه فیما یأتي.

وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ ۖ قُلِ الْعَفْوَ

اي كل مازاد عن الحاجة يجب انفاقه . قوله :-

كَذٰلِكَ يُبَيِّنُ اللّٰهُ لَكُمُ الْاٰيٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُوْنَ ﴿٢١٩﴾ فِي الدُّنْيَا وَالْاٰخِرَةِ ؕ

لم يعين الله مقدار ما ينفق بل وكل اليهم ذٰلك وفوض اليهم امره لئلا يعملوا في امور الجهاد من غير فهم وتبصر وتدبر وتفكر.

انا فكرت كثيرا ففهمت ان المشتغلين بالجهاد يكونون دائما مجتهدين في الفقه ولو على درجة من درجات الاجتهاد. واما القاعدون فانهم لا يقربون الى الاجتهاد ولا يحومون حوله ابدا.

قوله :- وَيَسْـَٔلُوْنَكَ عَنِ الْيَتٰمٰى ؕ قُلْ اِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ ؕ وَاِنْ تُخَالِطُوْهُمْ فَاِخْوَانُكُمْ ؕ وَاللّٰهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ ؕ وَلَوْ شَآءَ اللّٰهُ لَاَعْنَتَكُمْ ؕ اِنَّ اللّٰهَ عَزِيْزٌ حَكِيْمٌ ﴿٢٢٠﴾

ومثال التفكر الذي امروا به في دنياهم واٰخرتهم هو انه اذا دام الجهاد والقتال فان المجاهدين يقتلون فتكثر اليتامى وتبقى اموال المجاهدين ولا حافظ لها ففي هٰذه الحالة يجب على اولياء المقتول تربية اليتامى وحفظ اموالهم بالأمانة ولو امر الاولياء تجريد اليتامى عنهم وجعلهم منفرزين لكان ذٰلك صعبا عليهم وشاقا ولذٰلك يضطرون الى خلط اموال اليتامى باموالهم ويفكرون ويجتهدون فيما يعود على اليتامى بالمصلحة لان ذٰلك واجبا عليهم فان فهموا ان تجريد اموال اليتامى عن اموالهم خير لهم فيجردون وان علموا ان خلطها باموالهم خيرا يخلطون لكن بشرط ان يكون الاصلاح رائدهم، وبذٰلك ننتهي المصالح الحربية هنا.

مسألة

الاجتماعية المتوسطة الصالحة تحتاج الى مصلحة ادارية تضع قوانين لم

على حسب حاجاتها مثل ماتضع وزارة الداخلية فى الدول. وهذه المصلحة الادارية تكون نظام تقويم الاجتماعية.

رأينا فى الأيات (٢٢١: ٢٤٢) ذكر احكام للنكاح والطلاق والرضاعة وعدة الوفاة فنستنبط من تلك الأيات ومن تلك الاحكام تلك للمصالح المار ذكرها

قد رأينا ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يدير امور الجماعة المركزية من المهاجرين والانصار كما يدير الوالد امور بيوت اولاده. النساء اذا كان لهن شكوى من ازواجهن كن ياتين الى باب النبي فكان يزيل ما كن يشتكين منه وكان هو القاضى بينهن وبين ازواجهن في كل الاختلافات الواقعة بينهن وبينهم. و كان بذلك يفهم القوة الادارية فى المهاجرين والانصار. وكان يقول خيركم خيركم لاهله كما تقول الصوفية (العالم شخص اكبر والانسان شخص اصغر) وانه جميع ما فى العالم موجود فى الانسان ويكملون من طريقتهم هذه علم حكمتهم بعد تمام الدراسة في فهم القوى الانسانية ونظامها.

كذلك نقول ان البيت والمنزل التام الذي يكون الزوجان والاولاد الذكور والاناث والخدم لمرافق الحياة هو شخص اصغر. والدولة والمملكة شخص اكبر. ومن كان قادرًا على ادارة منزله على احسن الوجوه كان قادرا على ادارة امور المملكة على احسن وجه اذا فوضت اليه.

كان النبي يبعث امراء وقوادًا ويرسل قضاة ودعاة وجباة هل كان كل ذلك الا بعد معرفة قيمة كل رجل واستعداده وقوة ادارته[1]؟ وفى الغالب من ذلك كان يكون مصيبا وموفقا.

---

[1] جاءت امرأة الى النبي وقالت خطبني معاوية وابوجهم. فقال لها النبي ان معاوية صعلوك لامال له واما ابوجهم فرجل لايضع العصا عن عاتقه. يعني كثير الضرب لزوجه. ووصى اباذر الغفارى ان لايتولى الامارة فانه رجل ضعيف. الى غير ذلك فلو لم يكن يعرفهم كيف يصدر منه ذلك؟ كتبه محمد نور

والشيخان ابوبكر والفاروق رضي الله عنهما لم يبنيا مدرسة لتخريج المديرين وانما جريا على سننه فكانوا يفوضون امور الأمارات الى كل من كان خيرا لأهله اصحابه وقبيلته وكانوا يفوزون في ذلك.

فاستنباطنا ليس مما لا ينبغي الالتفات اليه لهوانه وان كان أهل العلم يرون ذلك في نظرهم بديهيا لانهم لا يرون استنباط امور الادارات من القرآن والامراء كانوا يعملون في اداراتهم حسب استعدادهم وكانوا يكتفون به.

واما انا فقد كنت بليت برجل من البراهمة الهنود سمعته يخطب في مجلسه ويقول ان القرآن مملوء من الامور المنزلية (يريد بذلك تنقيص القرآن) واما (اوپنشد) كتاب للبراهمة فمملوء من الالاهيات. يريد بذلك اثبات فضله على القرآن فتألمت كثيرا. وبعد ايام سنح لي ان الاجتماعية قيومها انما هم الافراد وصلاحيتها بصلاحية الافراد ولا تنتظم امور الاجتماعية الا تحت ادارة مدير قوي نظريته — فذكر القرآن المسائل المنزلية انما يرجع الى تكميل القوة الادارية فى الاجتماعية.

واما مسائل التوحيد وحقائق الالاهيات فلا توجد في كتاب اوضح من القرآن بل ولا توجد مسائل التوحيد مثل ما يوجد فى القرآن فضلا من ان يكون اوضح منه واما القرآن الحكيم فلكونه مشتملا على حقائق الالاهيات وتدابير الاجتماعيات لا يوازنه ولا يوازيه كتاب فى الفلسفة الالاهية.

ثم تدبرت على هذا المنهج واستخرجت منها فوائد وان كان اهل العلم لا ينظرون الى ذلك نظر قبول واستحسان. ولكن هكذا يبدو الامر حتى يستانس به الطبائع. وقد امدني في فكري هذا ابواب الارتفاقات من حجة الله البالغة وان كان منبت اصل الفكر اعتراض رجل غير مسلم على القرآن.

وقد رأينا بعد ذلك جماعة من السياسيين بعد سقوط الدولة العثمانية قاموا بدعاية ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يترك لنا نظاماً للحكومة الاسلامية والمسلمون مختارون الآن[1] فنفعني فكري ذلك ورأيت انهم اساءوا في فهم تاريخ الاسلام فقد ذكر القرآن اشياء من ادارة بعض العظماء في العالم فاذا اجمعنا تلك الاشياء ونظمناها فانها تنتج لنا مثلاً اعلى لاعظم الدول واقوى الحكومات في العالم.

واسس قانون السياسة الاجتماعية في امور تدبير المنزل على اكمل قانون واوفر اتقان — ولكن البلاء الذي وقع فيه المسلمون في تدبرهم هو انهم ماحصروا الوحي في القرآن[2]. وماجعلوا اتباع هذا الكتاب فرضاً على النبي وما فهموا ان كل ماعمل به النبي عليه السلام انما كان مستنبطاً من القرآن ومستخرجاً منه[3] فحدث في علمهم الفوضوية فانهم كلما رأوا رواية ثابتة او ضعيفة جعلوها آخر مستند اتهم في امورهم.

وقد نبه الامام ولي الله على كون هذا النحو من الفكر غلطاً ويقول انه تتبع الاحاديث الواردة في ابواب الصلاة فوجدها كله مستنبطة من القرآن. ولكن طريقة استنباط النبي غير طريقة استنباط امته. وقد ذكر امثلة لتلك الاستنباطات في بعض كتبه.

---

[1] اي مختارون في مصالحهم ١٢ — [2] الوحي محصور في القرآن فقط بدليل قول عائشة رض لو راى رسول الله صا احدثته النساء لحديث مع ملاحظة قوله تعالى (وما كان ربك نسيا) و حديث قصة تأبير النخل وقوله انما انا بشر. وحديث زيد بن ثابت حين دخل عليه نفر و قالوا حدثنا بحديث رسول الله وقوله لهم كنا اذا ذكرنا الطعام ذكره معنا واذا ذكرنا الدنيا ذكرها معنا الحديث ونهى ابي بكر وعمر عن كثرة رواية الحديث. وقول سفيان الثوري لوكان في الحديث خير لذهب كما ذهب الخير الى غير ذلك وهنا جماعة يردون قول من يقول الحديث من الوحي ١٢ — [3] وممن قال ان الاحاديث مستنبطة من القرآن الامام الشافعي كما في مقدمة تفسير ابن كثير ومن علمائنا الاعلام ابوبكر الرازي الجصاص الحنفي في احكامه في مواضع كثيرة والامام ولي الله الدهلوي في الخير الكثير. وكتبه محمد نور مرشد

ولو تمسك طالب العلم بهذا الفكر وعض عليه بنواجذه ورأى كل ما ثبت عن النبيﷺ يجب ان يكون مستنبطا من القرآن لا نفتح عليه ابواب من العلم.

ولكن المسلمين اعرضوا عن التدبر في القرآن الا ما شاء الله فلم يبق من عظمتهم التاريخية بايديهم الا شيئ قليل[1].

والنعمة العظمى التي بايدينا هي كون القرآن محفوظا من التحريف اولا ثم وجود جميع الوسائل اللازمة لمن يريد التدبر فيه ثانيا.

وقد استهزأبنا على عملنا هذا بعض من لم يبتل ببليتنا تلك ولذلك نراه معذورا.

ولنشرح الآن في استنباط الاحكام.

قوله:- وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ۗ وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا ۚ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ۗ أُولَٰئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ ۖ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ ۖ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٢٢١)

حرم الله نكاح المؤمن بالمشركة والمؤمنة بالمشرك وبين حكمة ذلك ان اماهم الدعوة الى النار.

والمؤمن لا يتبع الا دعوة الله الى الجنة والمغفرة. ومعنى ذلك ان وجهة احدهما الى حظيرة القدس والآخر وجهته الى خلافها.

[1] ولا أخر المسلمين عن التدبر في القرآن الا شيوع فكر ان قارئ القرآن يؤجر ولو لم يتدبر فيه وهو فكر مناقض لما ثبت في القرآن وقد اسهب في بيان ذلك شيخ الاسلام ابن تيمية في تفسيره سورة الاخلاص والقرطبي في التذكار بافضل الاذكار وغيرهما. وكتبت في ذلك رسالة جمعت فيها اقوال العلماء في ان قراءة القرآن من غير فهم مذمومة. كتبه محمد نور.

واذا لم يكن البيت والمنزل على نظام كانه شخص واحد مركب من اعضاء العائلة الغير المتنافرة كيف يمكن الامتزاج بينهم ويحصل التركيب؟

الاستنباط:- الكافر لايجوز ان يكون حاكما على بلاد المسلمين. والمؤمن الجاهل الذي هو مثل العبد احمد عاقبة للمؤمنين العقلاء من حكم كافر عاقل وفاضل. هذه المسألة من اهم المسائل فى الحكمة الادارية. واستنباطها من الآية واضح جدا ان اعتبرنا البيت مثل الدولة. نستانس له بقوله. يبين الله اياته للناس لعلهم يتذكرون أليس في هذا دعوة الى التذكر من ذلك المثال الى امر كلي؟

ثم يمكن ان يقال نستنبط منه عدم جواز نكاح الكتابيات ايضا وجوابنا على مثل هذا نحن لانستنبط من كل كلمة حكمة. لان ذلك النوع من الاستنباط انما يجري اذا كانت الواقعات من نوع واحد. اما اذا اخذنا فى الاعتبار نقيس جنسا بعيدًا بثلاث درجات من النوع فلاينطبق جميع خصوصيات النوع على المستنبط وانما يبقى شيئ واحد وهو الرابط بين النوع والجنس. ثم الرابط بين الجنس والجنس. وكذلك نحن لانستنبط معتمدا على فهمنا اشياء ليس لها ثبوت فى السنة لعدم استنباطنا من جميع الجزئيات لايمنعنا من استنباط بعض الاشياء الثابتة فى السنة من الآيات على سبيل الاعتبار.

واعتقد انه لو توجه اهل العلم الى مثل هذا الاستنباط لربما اتوا بشيء احسن مما عندنا.

وقد رأينا الفاروق منع من نكاح الكتابيات لمصلحة راجعة الى حفظ مصلحة للمؤمنات وذلك لان تجويز نكاح الكتابيات راجع الى مصلحة خاصة وليس بحكم دائمي طبيعي للاسلام. ثم

قوله:- وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا

النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾ نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُم مُّلَاقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٢٣﴾

نستنبط منهما مسألة واحدة. وهي ان المسلمين بعد رعايتهم ماحكم الكتاب في حكمه مختارون في وضع قانون يوافق مصالحهم وامزجتهم وفي ذلك يكون تسهيل على الامم — المسلمون جميعا يجب عليهم ان يتبعوا محكمات الكتاب فيكونوا كجسد واحد وعلى كلمة واحدة. ثم هم مختارون بعد ذلك في وضع القانون المناسب لمصالحهم وامزجتهم. ومثل هذا الاختلاف مباح. وهو الذي يقال في حقه انه رحمة.

اما الاختلاف في محكمات الكتاب فهو شقاق وعذاب.

تفصيل ذلك ان الامر في آية (٢٢٢) صريح في اعتزال النساء في المحيض واتيانهن بعد التطهير في الموضع المأمور والمخصوص به. وهما حكمان محكمان في الكتاب

ثم كيفية الاضطجاع في ذلك ووضعه ليس فيه امر ولا نهي في الكتاب فهم مختارون فيها كل يختار مايحبه منها.

وقد روى في بعض الروايات انه كان وقع اختلاف بين المهاجرين و الانصار عند ما تزوج احد القومين من الآخر في صورة الاضطجاع عند الوقاع.

فارادوا ان يعلموا حكم الله في ذلك فاوضح الله في آية (٢٢٣) انهم مختارون في كيفية الاضطجاع وفي الاستدبار والاستقبال.

ورأينا بعض الفقهاء لم يفهموا معنى قوله (انى شئتم) فاثبتوا في الاسلام

ماليس منه[1] وحقيقة ذلك ليبس الا التباس الالفاظ.

نرى الحيوانات في كيفية سفادها مختلفة فالفيل يسافد مثل الانسان الانثى تستلقي على ظهرها ويركبها الذكر مثل الانسان واذا راى الذكر انسانًا في تلك الحالة فانه لا يركبها.

والاسد بخلاف ذلك فان اللبوة تقف باربعتها ويركبها الاسد مثل سائر الحيوانات ولكنه لا يولج الا في المكان المعهود.

والمرأة اذا وقفت وانحنت فان فرجها يبرز من خلفها مثل الحيوانات فيمكن ان يطأها الرجل بكل سهولة.

وهذا النوع من الوقاع قد يستلذه البعض وليس ذلك بممنوع شرعا وهذا معنى اتيان النساء في ادبارهن. وليس معنى ذلك اتيانها في غير فرجها وهذا هو معنى (انى شئتم)

ومن فسر ذلك باتيان المرأة في دبرها فقد قال شططا. وكل من رُوِي عنه من اهل العلم انه قال ما ابالي استدبرت امرأتي او استقبلتها فمراده ما ذكرنا. لا اتيان المرأة في غير فرجها.

ويدل على ذلك قوله وقدموا لانفسكم. وهل يقدم بذلك الا الاولاد؟ واستنباطنا واضح.

فقد اوجب الله علينا مثلا الصلوة وقيدنا باركان مخصوصة ثم لنا الخيار في اختيار الثياب والالبسة.

---

[1] وهم بعض المالكية من اهل المدينه فقد ذكر ابن العربي في شرح الترمذي انهم تناظروا في هذه المسألة والفت كتب كثيرة من الطرفين كما ذكر ايضًا عنهم ابن تيمية في رفع الملام وينسب كذلك الى الشافعي والله اعلم. كتبه محمد نور

فننتقل من ذلك الى المملكة و احكام الدولة تنقيد بمحكمات الكتاب و
ذلك لنا الخيار في اختيار القانون الذي يناسب مزاجنا فان كل قوم يختار لنفسه
قانونا يوافق مزاجهم وطبيعتهم. وذلك من الرحمة.

وقد غلط جهال المتعبدين و الزهاد المتقشفين والذين يتعصبون لقوميا
بايجاب وضع قانون خاص على الناس في امور تركهم الله احرارا ومختارين و بالحا
الامور المبتدعة بمحكمات الكتاب. هؤلاء هم المفسدون الذين يأتي المجدد
لتبيين مفاسدهم وهتك استارهم.

فقوله "واتقوا الله" باتباع محكمات الكتاب "واعلموا انكم ملاقوه" فلا تلبس
الحق بالباطل بجعل الامور المبتدعة المخترعة مثل محكمات الكتاب ونصوص
وقوله "وبشر المؤمنين" المصلحين المجددين اشارة اليه تمت المسألة

المسألة الثالثة

الامر المستنبط يصير مثل الواجب الشرعي وذلك مثل اذا نذر احد لله
فان وفاء ذلك النذر يصير واجبا. او اذا عزمت جماعة على العمل بذلك الام
المستنبط فانه يصير قانونا نافذا اثم اذا تركوه يأثمون به و يؤاخذون عليه

وقد ذكر الامام ولي الله في حجة الله البالغة: ان المقلدين اذا عزموا على
تقليد المجتهد وان لم يكن التقليد واجبا في الدين فانهم يأثمون بتركه بعد
العزم. قال في باب طبقات الاثم المرتبة الخامسة مالم ينص عليه الشارع ولم
ينعقد في الملأ الأعلى حكمه لكن توجه عبد الى الله بجامع قلبه وهمته فاعتر
شيء يظنه ممنوعا عنه او مأمورا به من قبل قياس او تخريج او نحو ذلك فلا يخرج مثل
هذا الانسان من العهدة حتى يأخذ بالاحتياط والاكان بينه و بين ربه حجاب فيما
يظن ويؤاخذ بظنه. ويلحق بها معصية حكم مجتهد فيه اذا كان مقلدا مجمعا على تقليد

من يرى ذلك. اهـ — هذا هو الذي نجعله من النذر الذي لوجبه الانسان
على نفسه اليه الاشارة في (٢٢٥) لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللّٰهُ بِاللَّغْوِ فِيْٓ اَيْمَانِكُمْ وَ
وَلٰكِنْ يُّؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوْبُكُمْ ؕ وَاللّٰهُ غَفُوْرٌ حَلِيْمٌ ﴿۲۲۵﴾
ولنذكر الآية التي كنا تركناها للربط وهي (٢٢٤) وَلَا تَجْعَلُوا اللّٰهَ عُرْضَةً
لِّاَيْمَانِكُمْ اَنْ تَبَرُّوْا وَتَتَّقُوْا وَتُصْلِحُوْا بَيْنَ النَّاسِ ؕ وَاللّٰهُ سَمِيْعٌ عَلِيْمٌ ﴿۲۲۴﴾
في هذه الآية اشارة الى ان وضع قانون لمخالفة البر والتقوى ومعارضة الاصلاح حرام لا يجوز.

المسألة الرابعة

امثلة للقانون، الفرق بين القانون والمصلحة.

اذا كان امر من الامور مطلقاً ولم يحدد له حدود ولم يقيد بقيود فيسمى ذلك الامر مصلحة. واذا قُيِّدَ بقيود وحُدِّدَ بحدود يسمى قانوناً.

فلنذكر امثلة للقانون اولاً.

لما كان الله خبير عباده في وضع القانون المناسب لأمزجتهم بعد رعاية محكمات الكتاب يجب ان يعلموا ذلك بامثلة.

المثال الاول في آية (٢٢٦: ٢٢٧) رجل يمسك نفسه عن زوجه فلا يداعبها او تتمتع به فكان هذا الفعل من الرجل مصلحة فان الرجل بمثابة حاكم في بيته فرأى مصلحة امساك نفسه عن زوجه ولكن الله ما قررها وهي مطلقة بل قيدها باربعة اشهر فاذا انقضت هذه المدة يجب ان ينقض عهد الاشتراك الذي كان بين الاثنين. وهذا امثال للقانون في قوله:— لِلَّذِيْنَ يُؤْلُوْنَ مِنْ
نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ اَرْبَعَةِ اَشْهُرٍ ۚ فَاِنْ فَآءُوْ فَاِنَّ اللّٰهَ غَفُوْرٌ
رَّحِيْمٌ ﴿۲۲۶﴾ وَاِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَاِنَّ اللّٰهَ سَمِيْعٌ عَلِيْمٌ ﴿۲۲۷﴾

هذا الامركان مفوضا اليهما فمتى شاء افسخا النكاح ومتى شاء ارتجعا ولكن لما قيد ذلك باربعة اشهر صار قانونا.

المثال الثاني :- المطلقات يتربصن بانفسهن ثلاثة قروء وهي مدة للارتجاع والرد وقد قيدت هذه المدة بانه لو انقضت لايجوز الرد ولا الرجوع اليه فصار قانونا۔ اليه الاشارة في قوله :- وَالْمُطَلَّقٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِاَنْفُسِهِنَّ ثَلٰثَةَ قُرُوْٓءٍ ؕ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ اَنْ يَّكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللّٰهُ فِيْٓ اَرْحَامِهِنَّ اِنْ كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الْاٰخِرِ ؕ وَبُعُوْلَتُهُنَّ اَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِيْ ذٰلِكَ اِنْ اَرَادُوْٓا اِصْلَاحًا ؕ

وقد صارت مدة الرد محدودة كما ترى. ثم ان القروء موكول معرفته الى النساء ولذلك حرم عليهن ان يكتمن شيئًا مما يتعلق بهذا الامر اعانة منهن لنفوذ القانون عليهما جميعًا.

وهذان مثالان للقانون. وانظر الى امثلة المصلحة.

الرجل والمرأة في بيتهما شريكان في الحياة وعقد النكاح بينهما انما هو عهد اشتراك ليكون لكل منهما حق متبادل وان كان احدهما يتقدم على الآخر في بعض الحقوق ويكون له مزية ما فكان هذا الأمر مصلحة الى ذلك يشير قوله :- وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِيْ عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوْفِ ۠ في اخر آية (٢٢٨) وهذه الحقوق المتبادلة مثل الطعام والمسكن والملبس والتمتع وغيرها من الأمور الواجبة في العشرة — قد اشتهر بين اهل العلم ان الرجل اذا دعا امرأته الى فراشه فابت فعليها الخ الحديث. وليفهم الانسان من الآية (ولهن مثل الخ) ان الرجل اذا ترك امرأته وهي في حاجته فعليه كذلك ما كان على المرأة حين ما دعاها فابت عليه لأن ما كان واجبًا عليها كان واجبًا عليه كذلك.

مسألة أخرى

اذا اجتمع اثنان على امر مشترك بينهما يجب قبل كل شيئ عليهما ان يعينا ما يقضي على كل نزاع يقع بينهما والا لم تنتظم الاجتماعية ولذلك ارشدنا النبي عليه السلام فقال اذا سافر اثنان فليكن احدكما اميرا.

وفي الاجتماعية البيتية يجب ان يكون احد اعضاء البيت رئيسا لحسم كل نزاع او اختلاف قد يقع بينهم ولا احد احق بذلك من رب الدار واليه الاشارة في قوله:- وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ وَاللّٰهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٨﴾ هذا الأمر كذلك مصلحة مثل الاولى ـ مثال آخر للفسخ (وقد ذكر الفسخ في المثال الاول للقانون راجعه) وهذا الفسخ ايضا مفيد في (٢٢٩: ٢٣٠)

قوله:- اَلطَّلَاقُ مَرَّتٰنِ ۖ فَاِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوْفٍ اَوْ تَسْرِيْحٌۢ بِاِحْسَانٍ ۗ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ اَنْ تَاْخُذُوْا مِمَّآ اٰتَيْتُمُوْهُنَّ شَيْـًٔا اِلَّآ اَنْ يَّخَافَآ اَلَّا يُقِيْمَا حُدُوْدَ اللّٰهِ ۗ فَاِنْ خِفْتُمْ اَلَّا يُقِيْمَا حُدُوْدَ اللّٰهِ ۙ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيْمَا افْتَدَتْ بِهٖ ۗ تِلْكَ حُدُوْدُ اللّٰهِ فَلَا تَعْتَدُوْهَا ۚ وَمَنْ يَّتَعَدَّ حُدُوْدَ اللّٰهِ فَاُولٰٓئِكَ هُمُ الظّٰلِمُوْنَ ﴿٢٢٩﴾ فَاِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهٗ مِنْۢ بَعْدُ حَتّٰى تَنْكِحَ

ل قد سبق ذكر مثالين للقانون فيما مضى قبل ذكر امثلة المصلحة وان كان يكون من الواجب تقديم ذكر المصلحة اولا لان المصلحة هي التي تصير قانونا اذا قيدت بقيد او حددلها حدود ولكن انما فعلنا ذلك رعاية لترتيب الآيات وان كان الأستاذ المرحوم اخر الآيات وقدمها حسب ترتيب المسائل. وقد بقي لنا هنا مسألة وهي تتعلق بالقانون وهي انه قد يجر قانون قانونا آخر ويستلزمه ومثال ذلك هو تحريم كتمان ما خلق الله في ارحامهن في مدة القروء وقد جر هذا القانون المثال الثاني للقانون. محمد نور مرشد

زَوْجًا غَيْرَهُ ۗ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يَتَرَاجَعَا إِن ظَنَّا أَن يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ ۗ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٢٣٠﴾

قوله :- الطلاق مرتان فامساك بمعروف او تسريح باحسان. ثم بعد ان ذكر عدة احكام قال فان طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره: هذا قيد للفسخ فانه الى الثلاث يجوز الرد و الامساك و اذا اوقع الثالث فلا. الا ان تنكح زوجا غيره ثم يطلقها هذا فان فحل فلها الرجوع الى الاول ان شاءت بنكاح جديد. وفي هذا قيد للفسخ ايضا.

مثال أخر:- معاهدة النكاح كانت مبنية على دفع مقدار من المال للمرأة ولم يكن هذا المال قيمة البضع كما يظنه بعض الفقهاء. بل كان ذلك لان المرأة المنضمة الى بيت الرجل هذا كانت عضوا في بيت ابيها فلربما اوجب انضمامها الى بيت غير ابيها خللا في بيته واجتماعيته فيدفع الرجل الذي يريد الحاقها في بيته واجتماعيته مقدارا من المال المتفق عليه بينهما للمرأة تدفع به خسارة بيت ابيها بانضمامها الى اجتماعية جديدة ان شاءت فيسد الوالد خلل اجتماعيته.

هذا هو وجه دفع الرجل المهر للمرأة.

اما في العشرة الزوجية فلها من الحقوق عليه مثل ما له عليها وان كان هو المدير لأمور البيت فذلك شيء اخر وهو من ضروريات الاجتماعية وليس هو مالك لرقبتها — وقد فسدت اجتماعية المسلمين بعد تنقيح مناط مثل هذا وصارت المرأة كأنها الة استمتاع فقط الا ان يولد له اولاد منها فيكونون وسطاء في تسوية النساء بالرجال في الاجتماعية.

وهذا الفكر من افسد الافكار و افظعه.

فهذه المصلحة وهي دفع مقدار من المال للمرأة عند العقد ان كان الدفع والرجوع فيه باختيار الزوجين كان ذلك مصلحة وان قيدا بقيود صارا قانونين والى ذلك الاشارة في قوله، ولا يحل لكم ان تأخذوا مما آتيتموهن شيئاً الآية

هذا القانون يتعلق بالمال الذي دفعه الرجل للمرأة. فاذا رجعت هي الى بيت ابيها باختيارها وطوع ارادتها وارجعت ما اخذته من زوجها جاز اخذه للرجل في نظر القانون.

ولو كان ذلك المال قيمة البضع. وقد قيد الفقهاء ذلك الاستمتاع بولو مرة واحدة لكان اخذ ذلك المال من المرأة باطلاً.

وانما استأنسوا لذلك ببعض الفاظ الكتاب وما تدبروا فيها تدبراً كافياً فلو لم يفهموا معانيها ونتائجها.

هذه الامثلة من القانون يسميها القرآن حدود الله. وقد هدد من يتعدى الحدود بقوله تلك حدود الله فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله فاولئك هم الظالمون.

فان الاعتداء على قوانين المملكة المبنية على تقييدها فساد عظيم واساس ذلك الاعتداء مبني على الاعتداء على حدود الله في البيت.

المهر ليس بقيمة للبضع كما يظنه بعض الفقهاء.

تنبيه

الذكر والانثى كل منهما يصلح لامور تناسب طبيعته فمثلاً الرجل يختص بجبلته على اعمال شاقة في كسب المعاش ودفع العدو واقتحام الاهوال.

والمرأة يناسبها مثل حضانة الاولاد والطبخ والنفخ وتنظيف البيت وغير ذلك بطبيعتها.

فتقسيم الاعمال البيتية بين الرجل والمرأة على ما يناسب جبلة كل

منهما ويوافق فطرتهما هو العدل والتقوى العدل الذي يبتني عليه الاجتماعية الصالحة. وقد جرى الناس جميعًا منذ زمن طويل في جميع الممالك وجميع الامم على اصول تقارب الفطرة الانسانية.

ومنذ مئة سنة تقريبًا بعد اكتشاف نواميس الطبيعة واختراع الآلات واحداث المصانع والمعامل حدث في جميع الممالك تغيير عظيم في نظام البيوت والعائلات فافسد ذلك اعتبار فطرة الرجال والنساء ومايناسبها.

وقد صار الرأسماليون المالكون للمصانع والآلات لاينظرون الا الى كسب الأموال من غير رعاية منهم لفطرة الضعفاء والأقوياء ولا شفقة منهم على المظلوم وقد قهروا الناس بذلك على تغيير نظام الاجتماعية بكليتها.

هذا الانقلاب الذي تراه في الغرب مرض وبائي يلفح بناره جميع الممالك ويمر عليها مرة واحدة ثم يرجعون الى الفطرة.

والنظام الاشتراكي القائم لقمع طغيان مظالم الرأسمالية يتتبع الرأسمالية حيث كانت ويفوز في نهاية الأمر في مقصده ثم يعود الناس بعد فوز الاشتراكية ودك الرأسمالية وازالة شرها الى الفطرة وقانونها. هذا الذي نظنه ونحن لانيأس من عدم اعتبارهم القرآن الذي هو حكم الفطرة. ففطرة الرجال والنساء بسبب مرض وبائي هو فساد عارضي وليس معنى ذلك عندنا نقض اجتماعية القرآن بل معناه ابطال ما احدثه الرأسماليون من المظالم وان كان ابطال ما احدثوه ليس بهين — بل ربما ادى ذلك الى حدوث امثال اشراط الساعة واهوالها.

نعرف من تاريخ كسرى وقيصر انهما كانا رأسماليين وكانا قد تغلبا على العالم وقد اتى القرآن الحكيم بالانقلاب عليهما فقامت القيامة على الايران والروم او على العراق والشام:

ونحن نحمل كثيرًا من الآيات الواردة على القيامة على مثل هٰذه القيامة ايضًا وربما كانت تشير الىٰ ذٰلك .

وقد انتظمت اجتماعية القرآن بعد اتيان القيامة على تلك البلدان ودامت نحو الف سنة .

حكم القرآن هو الذي يكون غالبًا ولكن على حكمة الامام ولي الله.

وقد افسد الرأسماليون الأمور في هٰذه الأيام وستقوم القيامة عليهم لقمع المظالم التي يرتكبونها وتطهير البلدان والاجتماعيات من نجاستهم ونرجوان تنتظم الاجتماعية مرة أخرىٰ كما قلنا وتدوم الىٰ ماشاء الله. ونعتقد ان حكم القرآن هو الذي يكون غالبًا علىٰ هٰذه الاجتماعية ايضًا ولكن على تفسير الامام ولي الله.

وقد ذكرنا سابقًا افكار الشيوعيين في هٰذا الصدد وذكرنا قولهم لنا لو قامت اجتماعية مثل اجتماعية التي تدعى انها اجتماعية القرآن لدخلنا فيها واسترحنا من كل انقلاب .

فان اراد المسلمون ان ينجوا من سيوف الانقلابيين فليتمسكوا بالقرآن على تفسير الامام ولي الله اوعلىٰ طريقة تقاربه وليدعوا التوهم بان حكم الجبلة يمكن ابطاله ايضًا.

اذا اوقع الطلاق مرة ثالثة فانه يبطل حكم التراجع وفي تلك الحالة ربما يحتال الرجل على المرأة ويتركها كالمعلقة ولايقر بأنه طلقها بالثلاث .

هٰذا الذي قلناه كان ممكنًا ان اراد الرجل ان ينتفع بذٰلك من جهة كونه حاكمًا فلذٰلك ما تركت تلك المصلحة من غير قيد بل قيدت فصارت قانونًا .

وهٰذا امثال اخر للقانون وذٰلك في آية (٢٣١)

قوله :- وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا

لِّتَعْتَدُوْا ۚ وَمَنْ يَّفْعَلْ ذٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهٗ ؕ وَلَا تَتَّخِذُوْٓا
اٰيٰتِ اللّٰهِ هُزُوًا ۫ وَّاذْكُرُوْا نِعْمَتَ اللّٰهِ عَلَيْكُمْ وَمَآ اَنْزَلَ عَلَيْكُمْ
مِّنَ الْكِتٰبِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهٖ ؕ

هذا الذي تنبهنا عليه وهو ان تلك الامثلة التي مرت كانت امثلة للقانون وقد ذكرتها ليستطيع المسلمون على استعمال المصالح المرعية فى الاجتماعية المبينة فى القرآن بعد تحديدها بحدود تناسب طبيعة الامم. وترى في اخر اٰية (٢٣١) يراد ذٰلك "ولا تتخذوا اٰيات الله هزوًا".

نحن انما بينا امثلة فقط لان القوم الذين نزل فيهم القرآن كانوا اميين ولم يكن في استطاعتهم حفظ القواعد الكلية وان كانت الامثلة نفسها لم تكن مقصودة بالذات بل يجب ان يتذكر بها الناس كما اشار في: "ويبين اٰياته للناس لعلهم يتذكرون" ـ فعدم التذكر وجعل الامثلة هي المقصودة بالذات داخلان في نظرنا في اتخاذ اٰيات الله هزوًا.

نحن نفهم ان الاستاذ اذا اراد ان يلقن تلميذًا قاعدة في ضمن مثال التلميذ لا يلتفت الى القاعدة يرى انه اضاع تلك القاعدة بالقائه عند مثل هذا البليد ـ ويؤيد ما فهمناه ماجاء بعدها من العبارة وهو قوله واذكروا نعمة الله عليكم وما انزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به.

الكتاب هو القانون، والحكمة هي ما فى الكتاب من المصالح. والنبي الذي هو معلم للناس موجود بين اظهركم فتعلموا منه حكم الكتاب وحكمة الكتاب معًا.

ولذلك نقول ان احكام تلك الاٰيات المار ذكرها وان كانت للامور البيتية ولكن الحكمة توجب رعاية تلك الاحكام فى الخلافة الكبرى ايضًا.

وَاتَّقُوا اللّٰهَ وَاعْلَمُوْٓا اَنَّ اللّٰهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيْمٌ ﴿٢٣١﴾

وعلمه بكل شيءٍ يقتضي ان يعلمكم كل ما تحتاجون اليه في القيام بالعدل والتقوى فاذا صح اعتبارکم فلا تقولوا ان ذلك غير مراد من الله . وانما القى الفاظ خاصة مناسبة لطبيعتكم .

ثم قد يحبس الأزواج الأقوياء مطلقاتهم من ان ينكحن ازواجهن او يمنعهن اولياءهن عن ذلك فمنعهم عن العضل في اٰية (٢٣٢) لأن ذلك مفسد لحكمة النكاح ومعاهدة النكاح كانت لمصالح الطرفين فكانت قانوناً مظهراً للحكمة هذا القانون ايضاً من القوانين الثانوية التي يستلزمها القانون الاول. والى ذلك الاشارة في قوله :- وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُم بِالْمَعْرُوفِ ۗ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۗ ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٢٣٢)

بعد هذا ذكر الله احكام تدبير المنزل بطريقة غير الطريقة التي ذكرها قبل هذا - كانت للنبي عليه السلام بعثتان بعثة الى العرب الأميين من الحجاز وغيره وبعثة اخرى بواسطة اولئك العرب الى العالم .

والأمور المنزلية او البيتية كانت نموذجاً لأمور الحكومة على المبعوث اليهم في البعثة الأولى .

ويكون المقصودون في البعثة الأولى بالنسبة لأمم العالم مثل مربيات اجتمعن تحت ادارة حكومة حكماء يريدون تربية الأمم التي كانها اولاد اولئك الحكماء فتتخرج الأمم المختلفة من تعاليم قريش الذين اخذوا من القرآن وتخرجوا به فيكون ذلك بعثة ثانية للرسول صلى الله عليه وسلم .

وتمثيل هٰذه الأمور في نظام البيت الذي ولد فيه اولادونفذت فيه مسائل الرضاعة والكفالة والنفقة وغيرها مما يذكرها آية (٢٣٣) وهي احسن تمثيل.

قوله:- وَالْوٰلِدٰتُ يُرْضِعْنَ اَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ اَرَادَ اَنْ يُّتِمَّ الرَّضَاعَةَ ؕ وَعَلَى الْمَوْلُوْدِ لَهٗ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوْفِ ؕ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ اِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَا تُضَآرَّ وَالِدَةٌۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُوْدٌ لَّهٗ بِوَلَدِهٖ ق وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذٰلِكَ ۚ فَاِنْ اَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا ؕ

يجب ان ينفق الوالد عليها حسب ماليته.

وبهذه التربية تنشأ الامة العربية. ثم ذكر بعد ذٰلك فقال:-

وَاِنْ اَرَدْتُّمْ اَنْ تَسْتَرْضِعُوْٓا اَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ اِذَا سَلَّمْتُمْ مَّآ اٰتَيْتُمْ بِالْمَعْرُوْفِ ؕ وَاتَّقُوا اللّٰهَ وَاعْلَمُوْٓا اَنَّ اللّٰهَ بِمَا تَعْمَلُوْنَ بَصِيْرٌ ﴿٢٣٣﴾

يعني اذا اردتم ان تسترضعوا اولادكم من غير الوالدات فيكون حكمهن حكم الامهات فينبغي ان تنفقوا عليهن مثل ما كان ينبغي ان ينفق على الوالدات بالمعروف — وفائدة الاسترضاع من غير امه هي ان يكون هٰذا الولد بعد انتشائه مبلغاً للدين في قوم امه من الرضاعة وتتربى الامم والملل الأخرى بتعاليم الملة العربية مثل ما يتربى الاولاد من غير امهم. ثم لاينظر الى الأمم الداخلة فى الاسلام بعين العداوة وانما يكون ذٰلك النظر الى امة مخصوصة ولمصلحة خاصة تتعلق بالمصالح الحربية.

ثم تأتى الأمم وتدخل فى الأمة الاسلامية فاذا كانت هٰذه الأمة

متعودة على تربية اولاد غيرهم ومتدربة على ذلك يمكنها ان تربي الامم الداخلة فيها وتراها مثل الاولاد وتعاملها مثل معاملة الاولاد.

هذا الذي استنبطناه من مسائل الرضاعة انا جربته على نفسي. فقد كنت خرجت من بيت آبائي ولقيت بحمد الله شيوخا في الطريقة ومشائخ في التربية العلمية والاجتماعية فعاملوني مثل معاملة الاولاد فقدرت على فهم كتاب الله مثل ما يفهمه المسلمون الذين ولدوا في بيوت المسلمين اواكثر لاني اعرف الكفر مباشرة بخلاف اولاد المسلمين فانهم ما جربوا الكفر قط. فلو لم يعاملني مشائخي تلك المعاملة اكنت استطيع على ما قلت؟ لا! وكنت اتسكع في الاسواق والطرق مثل الشحاذين. فقد اسلم كثير من ابناء جنسنا ثم صاروا يتسكعون في الاسواق.

ولذلك انا اعد سعة صدور المشائخ نتيجة التربية الاسلامية فانهم يتزوجون عدة زوجات فيولد لهم اولاد من ازواجهم المختلفة او يربون اولادهم على يد الخادمات والحاضنات فتتوسع فطرتهم في حق الاولاد ولا يريدون ان يكون كل شيء من الولد راجعا اليه بل اذا كان جزء منه راجعا اليه يعطفون عليه عطف الوالد - فهذه السجية صارت فطرة ثانية اجتماعية صالحة في المسلمين[1] ارى لذلك مثالا وهو ان يولد لرجل ولد من مطلقة فترضعه الام وينفق عليها الوالد مثل ما كان ينفق عليها قبل الطلاق. ثم قد يتشاوران الرجل والمرأة في امر الفصال واتخاذ مرضعة له وامر تربية الولد فتكون هذه المربية او الخادمة مثل امه وينفق عليها مثل ما كان ينفق على ام الولد من غير بخس ولا تقتير.

[1] هذه العبارة مغلقة جدا وما استطعنا استخراج مراد الاستاذ منها فلذلك ادرجناها كما هي:- محمد نور مرشد.

وبهذه الكيفية يتوسع نظر رحمته ولا يتقيد بصورة واحدة بل يظهر بصور متنوعة وهذه الصور المتنوعة اخذة امرًا احيانًا في الاعتبار بين الارضاع وبين الارشاد في التعليم وان كان هذا الامر دقيقًا ونفيس بجلي. ويجوز ان يستنبط غيري احسن مما استنبطه انا. وانما تنبهت على هذا الذي ذكرته على حسب ماجرى عليّ من الاحوال.

عندنا في الهند حوادث كثيرة منها ان طائفة من الهند وشرعوا في دعوة المسلمين الى دينهم فمال اليهم ناس وارتدوا ولكنهم ما قدروا على ضم احد من المرتدين اليهم مثل اولادهم ولا استطاعوا ان يتخذوهم كواحد منهم وقد فشلوا في دعوتهم تلك بعد تجارب كثيرة. واعترف عقلاؤهم بانهم لا يقدرون على مقاومة المسلمين في ذلك. وقالوا ان اولادهم يدخلون في الدين الاسلامي وينصبغون بصبغه ويصيرون كانهم ولدوا في الاسلام وانهم يجتهدون بكل ممكن ان ينضم احد اولاد المسلمين اليهم ويصير كواحد منهم ولكنهم يفشلون في ذلك وليس ذلك راجعًا الا الى حسن اجتماعية المسلمين.

فالحاصل اني ارى مسئلتين.

الاولى :- تربية الامم الداخلة في الاسلام فرض على الامة العربية المسلمة التي نشأت بتربية القرآن وتربية النبي. وليس هذا امرهين بدون سعي الحكومة بل امره عندي فوق سعي الحكومة وجدها. فاذا قدرنا على استنباط قانون للحكومة من مسائل تدبير المنزل فينبغي ان يكون ضمن مسائل تدبير المنزل قانون ارشاد الامم الغير المحاربين لاني وجدت تشابها بين مسائل ارشاد الامم الغير المحاربة وبين مسائل الارضاع بوجه فلتعتبر تشابهها.

الثانية :- موت رئيس بيت كموت حاكم الامة وللازواج احكام مخصوصة

وليست مسئلة الطلاق ومسألة الوفاة كشيئ واحد في آية (۲۳۴:۲۳۵)

قوله:- وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَّتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَّعَشْرًا ۚ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿۲۳۴﴾ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ ۚ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَٰكِنْ لَا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا ۚ وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ ۚ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ ۚ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿۲۳۵﴾

نحن نعتبر من هٰذه الأحكام احكام انتقال الحكم من بيت الى بيت - فنقول الخروج على الحاكم للاستيلاء على الحكم والمؤامرة السرية ضد الحكومة القائمة للقبض على زمام الأمور غير مرضي. ولكن اذا مات الحاكم الأول موتا حقيقيًا او حكمًا فليتقدم الرجل علنًا الى الأمة فان رضيت به ونصبته حاكمًا فليتول وليحكم - اذا مات الرجال فللأزواج ان يفعلن في انفسهن ما شئن بالمعروف ولكن لا يجوز معاهدتهن ولا مواعدتهن سرًا كما ان العزم على النكاح بهن قبل ان يبلغ الكتاب اجله حرام ايضًا.

ونأخذ من هٰذه المسائل ان الأمة اذا علمت بضعف القائمين بأمر الحكومة فى الحكم تعزلهم وتختار لأنفسهم حاكمًا بدون دعايات سرية ضد القائمين بالحكم وذٰلك لأن ذٰلك مما لا يصلح بها امور الناس.

تنبيه

نحن نرى ان العمل بتلك الرموز و الاشارات التي اخذ ناها من تلك المسائل غير ممكن الا للجمهورية. فانه اذا مات الرئيس او ضعف يجتمع اهل الحل و العقد ويختارون رجلا أخر لانفسهم و ينصبونه رئيسًا.

و اما في غير الجمهورية فلا يمكن ذلك الا بالمواعدة سرا او نصب قتال، قد حققنا نحن اولا ان امر تعيين الحاكم على الأمة راجع الى الجمعية المركزية او بعبارة اخرى الى اهل الحل و العقد. وليس براجع الى الوحي او النبي. ولذلك تختار الامة حاكمًا لها كما يختار النساء ازواجًا لهن بعد موت ازواجهن.

و اما الاستبداد و الدعايات السرية ضد الحكومة القائمة و نقل الحكم من بيت الى بيت كلها عندنا عوائد جاهلية بقيت بين المسلمين وليست من تعاليم القرآن في شيء — وقد عيّنّا المقصد في تفسير آية الشورى باحسن من هذا. و انما اردت هنا ان نفهم الناس ان احكام الاسلام في القرآن كلها فطرية و هي تستند الى امثال تلك الاشارات التي مرت.

ونعرف ايضًا بداهة ان صفة الرجل والمرأة في البيت كصفة حاكم و محكوم ومن قال بخلاف هذا فقوله يعد منكرًا من القول وزورًا، بين اهل العلم من المسلمين — الانرجع الى تلك الفطرة التي ثبتت في اذهاننا عند انتقال حكم البيت من رجل الى رجل و يترك النساء احرارًا في انتخاب ازواج لهن من غير سعي في ذلك الى المواعدة السرية في نقل الحكم من بيت الى بيت اخر ولا نجتهد في ذلك بالمواعدة والمؤامرة السرية؟

فاذا فهمنا الارتباط بين المسألتين علمنا ان هذا الاستنباط ليس ببعيد بالمرة مع ان الامر الذي استنبطناه موضح في آيات وسور اخرى.

وانما يستغرب مناهذا كل رجل لايقول بوجوب الشورٰى وان كان ردَّ
عليهم الامام ابوبكر الجصاص في احكامه بما لامزيد عليه وازال جميع شكوكهم.
وتعيين اهل الحل والعقد للشورٰى ثابت فى القرآن ولكن الناس اغفلوا
عن التدبر فيه لاسيما في مسائل الحكم.

مسألة أخرى

قوله:- لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ اِنْ طَلَّقْتُمُ النِّسَآءَ مَالَمْ تَمَسُّوْهُنَّ
اَوْتَفْرِضُوْا لَهُنَّ فَرِيْضَةً ۚۖ وَّمَتِّعُوْهُنَّ ۚ عَلَى الْمُوْسِعِ قَدَرُهٗ
وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهٗ ۚ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوْفِ ۚ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِيْنَ ﴿٢٣٦﴾
وَاِنْ طَلَّقْتُمُوْهُنَّ مِنْ قَبْلِ اَنْ تَمَسُّوْهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ
فَرِيْضَةً فَنِصْفُ مَافَرَضْتُمْ اِلَّآ اَنْ يَّعْفُوْنَ اَوْ يَعْفُوَا الَّذِىْ
بِيَدِهٖ عُقْدَةُ النِّكَاحِ ۭ وَاَنْ تَعْفُوْٓا اَقْرَبُ لِلتَّقْوٰى ۭ وَلَا
تَنْسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ۭ اِنَّ اللّٰهَ بِمَا تَعْمَلُوْنَ بَصِيْرٌ ﴿٢٣٧﴾

اذا طلقت المرأة فمتعتها حق ثابت على المحسنين. ثم ان الرجال ان لم
يستفيدوا من المرأة بمعاهدة النكاح فليس بواجب عليهم ان يدفعوا جميع
المال الذي كانوا وعدوا بدفعه لهن بل يدفعون نصفه فقط لرعاية القانون
والقانون له شخصية مثل شخصية الحي فاعتبار المصلحة في ذلك اولى
اي العفو. ومعاهدة النكاح كانت لتقريب مخصوص بين الزوجين فاذا بطل
ذلك فانه يوجب التنافر بينهما بالطبع ولكن القانون يرده والحكمة تمنعه
لانهما فردان من الاجتماعية المسلمة. وهذه الاجتماعية لها حق التأليف والتودد ولا

وللمعاهدة حق التودد بعد ذلك ثانياً زيادة على حق الاجتماعية. فاذا فرض ان المعاهدة بطلت فلا يمكن ابطال الاجتماعية التي هما فردان منها لأن رعاية حق الاجتماعية واجب بالضرورة. فلذلك امروا بان يمتعوا المطلقات. وامروا كذلك في اية (٢٣٦) ان يتنازلوا عن المهر الذي دفعوه كما امروا بعدم نسيان الفضل الذي كان بينهم بقوله. ولا تنسوا الفضل بينكم اشارة الى ما قلنا.

فاذا حافظوا على الاجتماعية الاسلامية بلوازمها يمكنهم ان ينظموا حكومة جمهورية التي تخول تبديل الحكام بدون قتال.

واما اذا نسوا الاجتماعية الاسلامية فانه لا تقوم فيهم جمعية مركزية ولا يكون هناك اهل حل وعقد والمستشارون بل يكون الامر فوضيا.

مسألة اخر

قوله:- حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوٰتِ وَالصَّلَوٰةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا أَمِنتُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٩﴾

جاء الامر بالمحافظة على الصلوٰت في وسط ذكر تدبير المنزل فنحن نأخذ من ذلك ان المحافظة على احكام تدبير المنزل فرض مثل المحافظة على الصلوات الخمس. وكما ان الصلاة اساس الاحسان واساس ذكر الله كذلك احكام تدبير المنزل اساس تعليم العدل في الدولة وكلاهما في حكم الغرض سواء.

قوله:- وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَاجِهِم مَّتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ مِن

مَّعْرُوْفٍ ۗ وَاللّٰهُ عَزِيْزٌ حَكِيْمٌ ﴿٢٤٠﴾ وَلِلْمُطَلَّقٰتِ مَتَاعٌۢ بِالْمَعْرُوْفِ ۗ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِيْنَ ﴿٢٤١﴾

في هاتين الأيتين ذكر الاحسان على اللاتي، توفي ازواجهن فالواجب على المجتمع ان لايخرجوهن بعد موت ازواجهن مدة سنة. ولكن اذا اخرجن بانفسهن بعد انقضاء عدتهن من غير الجاء اهل الازواج الى ذلك فلا بأس. وهذا ليس بحق النكاح وانما هوحق على الاجتماعية فان الزوجين لا ينفردان عن العائلة والقبيلة بل يكونان عضوين فيهما. ولذلك كما امر القرآن في الأيتين السابقتين بالمحافظة على الصلوات الخمس مراعيا الاجتماعية كذلك امر القرآن في الأيتين اللاحقتين برعاية الاجتماعية. الامر الاول كان للازواج. وهذا لأهل الازواج الاجتماعية خالصة وكذلك. وللمطلقات متاع. لكن ان لم يستطع الزوج ذلك فعل اهل الزوج ان يقوموا بذلك.

وفي الأمر بتدبير المنزل امر برعاية الاجتماعية الاسلامية مثل الأمر بمراعات الاجتماعية الاسلامية في الامر بالمحافظة على الصلوات. ولذلك الاجتماعية الانسانية هي الموجبة لتدبير المنزل كما هي الموجبة للمحافظة على الصلوات سواء بسواء.

كَذٰلِكَ يُبَيِّنُ اللّٰهُ لَكُمْ اٰيٰتِهٖ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُوْنَ ﴿٢٤٢﴾

أيجوز بعد هذا ان نكتفي بالأمثلة فقط؟ وقد سعينا على قدر طاقتنا وفهمنا ما عرضناه امام المطلعين. واذا اجتمع اهل العلم على مثل هذا السعي فلعلهم يأتون باحسن مما اتيناه به اذا شاء الله. ولانتحمل التغافل عن التدبر في الأيات من المسلمين. والله الموفق.

تم ذكر المصلحة الادارية وبذلك تم باب الاجتماعية المتوسطة ايضا وبقي فصل واحد من ذلك الباب هو في ذكر اقامة السلطان او الملك على الاجتماعية.

قال الامام في حجة الله البالغة من باب الارتفاقات: وكان للارتفاقات حدان. ثم قال بعد ان ذكر الحد الاول. (٢) الثاني ما عليه اهل الحضر و القرى العامرة من الاقاليم الصالحة المستوجبة ان ينشأ فيها اهل الاخلاق الفاضلة والحكماء فانه كثر هنالك الاجتماعيات وازدحمت الحاجات وكثرت التجارب فاستنبطت سنن جزيلة وعضوا عليها بالنواجذ.

والطرف الاعلى من هذ الحد مايتعامله الملوك اهل الرفاهية الكاملة الذين يرد عليهم حكماء الامم فيختحلون منهم سنناً صالحة هو الذي نسميه بالارتفاق الثاني.[١] اه

قلت فالارتفاق الثاني له طرفان (١) طرف اعلى هو ما يتعامل به الملوك. (٢) طرف ادنى الذي يتعامل به اهل الحضر و القرى العامرة.

الارتفاقات بطبيعتها توجب العدل و الطرف الادنى منها تستلزم الاعلى الذي يتعامل به الملوك.

وقد فرغنا من ذكر مايتعامل به اهل الحضر والقرى العامرة سابقاً. وقد صرح الامام ولي الله في البدور البازغة ان اهل الحجاز عند بعثة الرسول كانوا يتعاملون بالارتفاق الثاني الذي يوجب مايتعامل به الملوك ولم يكونوا بدواً.

فصل

فيما يتعامل به فى التمدن الناقص مثل القرى العامرة و الامصار المتوسطة. قد يوجد على حسب كل حاجة سُنَّةٌ مصطلحة عليها. ويكون لكل اهل صناعة رئيس يصدرون برأيه. اواجتماع من عقلاء القوم ومبرزيهم. فيكتفون بذلك. ذكر الامام ولي الله كل ذلك فى البدور البازغة وقد ينعقد فيهم الملوكية اذا ارادوا التقدم.

---

[١] راجع حجة الله صفحہ ٣٩ ج ١ طبع المنيرية بمصر.

والآيات التي فسرناها من آية ليس البر الى (٢٤٢) كلها كانت في بيان الاجتماعية الناقصة التي كانت موجودة في ام القرى والمدينة ومن تلك الاجتماعيات نشأت الملوكية التي هي الطرف الأعلى من الارتفاق الثاني.

قوله:- أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٤﴾

في هاتين الآيتين الحض على الثبات في القتال في سبيل الله بذكر واقعة وقعت في بني اسرائيل. فانهم كانوا فروا من الموت[1] فوقعت عليهم حادثة ماتوا فيها عن آخرهم. اعنى موتا في الصورة مثل السكتة القلبية ومثل ما يعرض للانسان بسبب القوة الكهربائية فذلك الموت لا يكون موتا حقيقيا واذا وصل الدواء في وقته وعولج به تعود اليه الحياة ويحيا. وقد اتصلت بهم قوة برقية فماتوا فيها فوصل اليهم نبي من انبياء الله فاعاد اليهم الحياة بواسطة قوة مثالية وبتأثيرها.

في قدرة الله احياء كل ميت بحياة جديدة حتى بعد تفرق اوصاله وبعد مرور آلاف السنين مثلا لكن كل ذلك لا يقع الا تحت اقتضاء الحكمة والأسباب الموجبة لذلك.

واما عامة الوقائع التي تقع من مثل احياء الأموات فان ذلك انما يقع

---

[1] ذكر ابن جزي الكلبي الأندلسي في تفسيره انهم كانوا فروا من الموت في الجهاد في سبيل الله ولما جاهدوا في سبيل الله وقابلوا العدو حسب امر الله نجوا من الموت والله اعلم كتبه محمد نور رشيد

في ميت لم تفارقه الحياة مفارقة كلية ولم تنقطع عنه الحياة تمامًا بل كانت فيه الحياة ضعيفة جدًا بحيث لا يعرف انه حي ويبقى فيه رمق. واذا وصل اليه في تلك الحالة مدد من قوى مثالية فانه يحيا باذن الله.

واما الاحياء الذي يكون بعد تفرق الاوصال وتمزقها وبعد مرور الاف السنين على الميت فذلك لا يكون الا مثل خلق جديد ولكن لما كان ذلك الاحياء للمادة الاولى وكان تتمة للحياة الاولى صار احياء ميت لا خلق جديد.

و واقعة بني اسرائيل هذه كانت مثل القسم الاول لا الثاني.

ولما احيوا تبين لهم ان الانسان اذا فوض امره الى الله وجعل محياه و مماته لله ورجا الموت في سبيله فانه لا يموت موتا ابديا معدما بل يعوضه الله حياة جديدة اكمل من الحياة الاولى. وبذلك هان عليهم امر القتال في سبيل الله.

قوله:- مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾

هذه الاية فيها الحث على انفاق الاموال في سبيل الله. فاذا استعدت امة بعد تجاربهم في الطرف الادنى من الارتفاق الثاني للقتال في سبيل الله والانفاق فيه امكنهم ان يرتفعوا الى الطرف الاعلى من الارتفاق الثاني اي نصبوا عليهم ملكا فتتوسع دائرة الارتفاق.

قوله:- أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَّهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا ۖ قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن

دِيَارِنَا وَأَبْنَآئِنَا ۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٢٤٦﴾

جماعة من بني اسرائيل طلبوا من نبيهم ان ينتخب لهم ملكًا يقودهم في حروبهم مع اعدائهم لأنهم احسوا بالحاجة الى ذلك.

في حالة الأمن والطمأنية والرفاهية يمكن المضي في الاتفاقات برياسة جماعة اما في حالة الحرب والاضطراب فلابد ان يكون المرجع واحدًا اواولى على حسب اقتضاء الحالات.

وبنوا اسرائيل لما اضطروا الى القتال احسوا بالحاجة الى ملك يقودهم والا فقد كان فيهم قبل ذلك في كل قرية قضاة يحكمون في خصوماتهم ويقضون بينهم.

واما في حالة الحرب فلابد ان يكون امر الجميع بيد واحد كما قلنا.

لما طلب بنواسرائيل من نبيهم ان يبعث لهم ملكا يقاتلون معه في سبيل الله تثبت منهم أنهم هل يقاتلون ان بعث لهم ملكا ام يتخلفون عنه، فاعطوه العهد على ان يقاتلوا معه وقالوا ومالنا الا نقاتل في سبيل الله وقد اخرجنا من ديارنا وابناءنا — ولكنهم بعد كل ذلك لما امروا بالقتال تولوا الا قليلا منهم.

ويظهر من الآية ان الاحساس بالحاجة الى القتال انما يكون بعد الاخراج من الديار والابعاد عن الابناء والاولاد — واما قوله، والله عليم بالظالمين في هذه الجملة اشارة الى ان الظالمين يكونون جبناء وان الشجاعة في القتال لا يتصف بها الا العادلون ولا يقاتل في سبيل الله الا العادل. وقد فهمنا منها الاشك فيه ان من اراد ان يكون عزيزا ومحترما فليسع بكل ممكن في تكوين حكومة على قانون يؤمن بأنه من الله. وذلك السعي لا يكون الا ممن يحب العدل ويكره الظلم. وكل ما يتكون في أنه حسب الاجتماع على العدل فانهم يفوزون في مقصدهم في الدنيا.

متى تحس الامة بالحاجة الى القتال

قوله:۔ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللّٰهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ قَالُوٓا أَنّٰى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ ۚ قَالَ إِنَّ اللّٰهَ اصْطَفٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ ۖ وَاللّٰهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَآءُ ۚ وَاللّٰهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾

في هٰذه الأية ذكر الأوصاف التي يجب ان يتصف به الملك او ينبغي ان تكون فيه ومن كان له بسطة في العلم والجسم هو الذي ينبغي ان يكون ملكًا على الأمة او يكون رئيسًا عليهم[1].

وشرط الزيادة في الجسم انما كان لأن الزيادة في العلم لا تكون الا اذا كانت الزيادة في الجسم في العادة فانه كما يقال (العقل السليم لا يكون الا في الجسم السليم)، فان القوة والعلم لا يكونان الا في الصحة الجيدة.

واما شرط كثرة المال فذٰلك ليس بشئ.

قوله:۔ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اٰيَةَ مُلْكِهٖٓ أَنْ يَّأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّنْ رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ اٰلُ مُوسٰى وَاٰلُ هٰرُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلٰٓئِكَةُ ۚ إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَاٰيَةً لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾

---

[1] وممن استنبط من هٰذه الأية شرط (العلم) في الحاكم الحافظ ابن كثير في تفسيره، استنبط منها الأمام الجصاص بطلان ولاية العهد وشرط النسب وقال ان المراد بالبسط في الجسم هو القوة والصحة التامة لا عظم الجسم وكبره فان ذٰلك وبال على صاحبه. وممن استنبط شرط (العلم) للحاكم من هٰذه الأية القاضي ابو يعلى في الأحكام السلطانية والماوردي الشافعي في الأحكام السلطانية له ايضًا. كتبه محمد نور مرشد

في هذه الأية اشارة الى ان ملك امة اذا كان رجلا صالحا عادلا تنزل اليها بركات من السماء.

قد كان سلب من بني اسرائيل تابوت السكينة ولما اجمعوا على القتال ورضوا به وبذلك الملك الذي بعثه نبيهم لهم اتاهم التابوت من غير كلفة ومشقة. فان اعداءهم الذين كان التابوت عندهم وضعوه على عربة ثورين وارسلوها نحو بني اسرائيل فأثرت فيهما ملائكة الملأ السافل حتى وصلت الى بني اسرائيل وما ضلت الطريق[1].

ذكرت في التوراة حكاية وصول التابوت الى بني اسرائيل ولكن لم يذكر فيها الملائكة وانما ذكر فيها انهم وضعوه على عجلة (عربة) ثور وساقهما نحو بني اسرائيل. والقران ذكر الملائكة. ولم يذكر العجلة فيظن من لا خبرة عنده ان بينهما تخالفا والحقيقة ليس كذلك. فاننا نعرف من حكمة الامام ولي الله ان ملائكة الملأ السافل تؤثر في قلوب الحيوانات حتى يتم ما اراده الله.

قال في حجة الله البالغة في باب ذكر الملأ الأعلى بعد كلام طويل. ودون هؤلاء نفوس لم تبلغ بهم السعادة مبلغ الأولين فصار كمالهم ان تكون فارغة لانتظار ما يترشح من فوقها. فاذا ترشح شيئ انبعثوا كما تنبعث الطيور والبهائم بالدواعي الطبيعية فيؤثرون في قلوب البشر وقلوب البهائم فتنقلب ارادتها احاديث نفوسها الى ما يناسب الأمر المراد. اه.

هذه هي حكاية من الامام ولي الله حول الملأ السافل. ونحن نعتقد ان هؤلاء

---

[1] قلت في الأية اشارة الى ان ما يوجد السعـ... على الاعداء يسلب ويعطى العادلين وان كانوا كفارا اذا كان المؤمنون... خ... بين و... بني اسرائيل كانوا ينتصرون في حروبهم بالتابوت فلما ظلموا سلب منهم ذلك واعطي عدوهم ولما عزموا على العدل رجع اليهم التابوت. كتبه محمد نور...

الملائكة ألهمت الثورين في جر العربية (العجلة) التي كان التابوت فيها حتى وصل الى بني اسرائيل وهذا هو معنى قوله. (تحمله الملائكة)

قوله:. فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ ۚ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۚ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ ۚ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُو اللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٢٤٩﴾

يجب على الملك ان يختبرهم

ذكر هنا انه يجب على الملك ان يختبر الجنود. والاختبار كان بالمنع عن الشرب من النهر الا من اغترف غرفة بيده، فشرب جميع الجنود الا قليلا منهم فانهم لما راوا كثرة جنود عدوهم خافوا. واما الصالحون فكانوا مؤمنين بأن النصر لا يكون بكثرة الجنود ووفرة العدد وانما يكون بالقوة الفعالة المنظمة فسألوا الله ان يبارك فيهم وينتصروا على عدوهم.

قوله:. وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٥٠﴾

المؤمنون برزوا لجالوت وجنوده مع قلتهم وسألوا الله متضرعين ان ينصرهم اي اظهروا رغبتهم الاكيدة وعزمهم المصمم على الموت في سبيل الحق.

قوله: فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٢٥١﴾

كان داؤد عليه السلام بعد موسى خليفة في بني اسرائيل وكان بعده ابنه سليمان عليه السلام وكانت ايامهما هو الدور الذهبي في بني اسرائيل من ادوارهم المختلفة وقد ذكر الله انه اتى داؤد الملك وعلمه مما يشاء.

فالارتقاء من الارتفاق الادنى الى الاعلى لا يكون الا كذلك.

قوله: تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٥٢﴾

في هذه الاية اشارة الى ان جميع ما وقع في بني اسرائيل فانه يقع في قومك وامتك.

ثم الطرف الاعلى من الارتفاق الثاني اذا اتسع فانه يسمى بالارتفاق الثالث.

تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِن بَعْدِهِم مِّن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَٰكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُم مَّنْ آمَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾ ع

في هذه الاشارة الى انه اذا اتسع الارتفاق الثالث وكان لكل قوم ملك

فانهم يتقاتلون ويتنازعون فيما بينهم لتوسيع كل واحد منهم دائرة ملكه.
واولئك الملوك قد يكون احدهم نبيا كداؤد او يكون ملكًا يؤيده نبي من الانبياء وبمثل اولئك الانبياء والملوك تنشأ امم مختلفة في الفضائل وفي قوله تلك الرسل الخ اشارة الى ذلك.

الرسل مختلفون في الفضائل وبينهم عموم وخصوص فيها من وجه. مثل ما خصّ الله موسى بالكلام. ورفع عليهم محمدًا درجات فانه بُعث للعالمين. وجعل ابراهيم امامًا للناس. واعطى عيسى بن مريم البينات وايده بروح القدس الى غير ذلك.

فهؤلاء الثلاثة البعض منهم افضل من بعض بوجه وذلك افضل منه بوجه اٰخر وتأثير الانبياء المختلفين في الملوك والامم انشأ اختلاف الامم فصار كل قوم يعتقدون في نبيهم انه افضل من انبياء الامم الاٰخرين وأخذوا يجبرون غيرهم على هذا الاعتقاد ويجعلوهم تابعين لهم بقوة ملوكهم فاقتتلوا.

لهذا التقاتل الذي سببه تفضيل بعض الانبياء على البعض فيه حكمة وهي الجاء الناس الى انشاء حكومة عالمية وذلك رقي من طور الى طور. فانه لو لم تكن تلك الحكمة لما اقتتلوا ويشير الى ذلك قوله ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم الاٰية

لما كان المسلمون مأمورين بالقيام بالارتفاق الرابع وهو الاجتماعية التي تجمع الامم وجب ان يؤمروا بانفاق اموال كثيرة وضمن هذا الانفاق يبث الفضائل ايضًا وبذلك تنتظم الاجتماعية الصالحة لجميع الناس على كلمة واحدة وهي على ان لا يكون الحكم فيها الا لله وحده (اي لكتابه) ويشير الى ذلك قوله:

يَاأَيُّهَا الَّذِينَ اٰمَنُوا أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٥٤﴾

المراد من الكافر الظالم هو كل من يمتنع من القيام بالاجتماعية العامة.

الباب الخامس باب الخلافة

ويبتدي ذلك من اية الكرسي وينتهي في نهاية السورة.

قد كنا ذكرنا فيما مرانه كان منا تقسيم اخر قبل هذا وانما اخترنا هذا التقسيم الجديد الأن ليكون ابتداء كل باب باية فيها ذكر الله او ذكر الايمان بالله والتوجه الى حظيرة القدس فابتدأنا بباب الاخلاق من اية فاذكروني اذكركم، الأية. والباب الثاني من قوله الهكم اله واحد. والباب الثالث من قوله ليس البران تولوا وجوهكم الأية والباب الرابع من قوله الله لا اله الا هو الحي القيوم.

ويتقدم الباب الخامس باب اثبات الحاجة الى نزول القرآن.

النظرية الصحيحة التي حققناها في باب الخلافة تنقسم (١) اولاً الى ان الخلافة لاتقوم الا بجماعة.

(٢) الثاني الرئيس او الرياسة على الامم لا تكون الا لتلك الجماعة.

(٣) الثالث ان هذه الجماعة هي التي تنتخب لنفسها رئيسًا وتنصبه عليها حاكمًا فان انتخاب الرئيس من الامم رأسًا لا يجوز ولا حاجة اليه ولا ينبغي لهم ان يتدخلوا في مسألة انتخاب الرئيس لأن ذلك يؤدي الى شجار ونزاع وفساد فى النهاية — والأمر عندنا هكذا كل امة من الامم المسلمة تُقدِّم رجلاً اعلمهم بكتاب الله وبما كان عليه النبي وخلفاءه الراشدون واكثرهم تضحية بمصالحه الخاصة بجانب المصالح العامة عند اللزوم ويكون هو الممثل الأمته فى المركز. فاذا اجتمع ممثلوا كل امة من الامم المسلمة فى المركز اجتمعت جماعة صالحة وصارت اجتماعية الامم. وهذه الاجتماعية هي المسؤلة امام الامم في تنفيذ اوامر كتاب الله.

كيف ينتخب الجمعية المركزية

لا تكون امة قوية الا اذا اعتمدت على جماعة مركزية.

فاذا تكونت فى المركز اجتماعية من ممثلي كل قوم واعتمدت الامم على هذه الجماعة لأنها لاتراعي مصلحة امة دون امة ولاقوم دون قوم بل كان رائدها مصلحة الجميع على السواء لم تكن الحاجة الى بعث المبعوثين من كل قوم في كل مناسبة.

وربما كان الداعي الى تكوين تلك الجماعة رجلا معينا من الله عزوجل.

فاذا تكونت جماعة بدعوته وتعليمه فان جميع الامم تعتمد عليها في امورهم كلها. وتسمى تلك الجماعة فى الاصطلاح الحاضر الجمعية المركزية.

بعد ما استقرأنا نحن احوال سياسيات العالم والامم في عصرنا هذا ما وجدنا امة ما قوية في ملكها وحكومتها الا اذا اعتمدت تلك الامة على جماعة صالحة للقيام بالاعمال التي فوضت اليها. سواء سميت هذه الجماعة برلمانا. او جماعة مركزية. فان اختلاف الاسماء لايغير الحقائق.

وكل امة فقدت تلك الجماعة فليس لها قيمة مثقال ذرة وان نعمت في نفسها نظرا الى تاريخها اوامانيهم انهم كذا وكذا وانهم هم.

وبعد ما ايقنا بهذا انظرنا في كتاب الله وفيما كان عليه النبي وخلفاءه بنظر تدبر هل نجد لهذا الامر فيهما اثرا؟ فوجدنا في قوله تعالى (السابقون الاولون من المهاجرين والانصار الذين اتبعوهم باحسان الآية) تشير الى هذه الجماعة المركزية. فاطمأن به الخاطر. وعلمنا انهم هم الذين سعوا في تنفيذ حكم القرآن على الامم وقد فازوا في سعيهم ذلك فهم خلفاء الله في أرضه.

وهذه الجماعة اذا احتاجت الى رئيس انتخبته من بينهم ونحن نسمي ذلك الرئيس المنتخب خليفة والأحد (عندي) ان يسمى خليفة الخلفاء.

واذا مات الرئيس يخلفه رئيس آخر. وليس للامة حق التدخل في انتخاب الرئيس. نعم للأمة حق في انتخاب اعضاء تلك الجمعية اما يرضي

من الأمة على رجل موجود في تلك الجمعية او بعث رجل منتخب منهم اليها.

فاذا اسمينا تلك الجماعة جماعة الخلفاء يكون اوفق لبيان مرادنا. نحن نعدّ نبيا عليه الصلاة والسلام رجلا من السابقين الاولين من المهاجرين. وقد كان هو خليفة الخلفاء مدة حياته. ثم ان تلك الجماعة نصبت لنفسها الصديق خليفة ثم الفاروق ثم عثمان.

فنصب الخليفة وانتخابه وعزله ليس الا الى تلك الجماعة فقط.

واذا ارادت الامم الاسلامية تنفيذ او امر كتاب الله يجب عليهم تكوين جماعة مركزية بالطريقة التي ذكرناها.

رأينا الأمم الهندية والأفغانية والتورانية والعربية من المسلمين الى يومنا هذا لا يحبون ان يكون عليهم سلطنة لاشرعية لكنهم لا يهتدون الى تكوينها واقامتها مع ان تنفيذ الاوامر القرآنية على الامم المسلمة ممكن اليوم ان اجتهدنا مثل اجتهاد العمال.

واما اذا لم نجتهد مثل اجتهاد اولئك فلا يمكن ذلك.

واليأس من امكان تنفيذ ذلك وعدم الاجتهاد له انما نشأ من السلاطين والملوك الفجرة واعوانهم من العلماء المترفهين.

ولنشرح هذا الباب من سورة البقرة على هذه النظرية.

والذي تحقق لدينا بعد مطالعتنا احوال سياسيات عصرنا وفهمناه هو ان مرجع القوة السياسية اليوم هو الذي حققه الامام ولي الله في كتابه ازالة الخفا عن خلافة الخلفاء، فقد جعل الامام ولي الله خليفة الخلفاء اقوى من الخلفاء، ولكن ذلك حق صادق على عصر النبي عليه الصلاة والسلام فقط وقد تسامحت جماعة من اهل العلم وجعلوا الامر منسحبا ايضا الى زمن الخلفاء بعده.

واما انا فلا اقول ذلك بل اقول ان جماعة الخلفاء اقوى من خليفة الخلفاء يظهر ذلك جليا من اخبار الفاروق اذ قال للجماعة ما رأيكم ان رأيتم فيّ اعوجاجا؟ فقال احدهم له نقومك بسيوفنا. وقد خضع الفاروق لذلك وبعد هذا لا يجوز الغض عن قوة الجماعة والا فهو ظلم.

ولنقدم هنا الكلام على اخر السورة لتعيين هذا المعنى ثم نرجع الى ما اخرناه ثانيا ـ قوله:- لله ما فى السمٰوات وما فى الارض.

معنى ذلك ان الحكم والملك الا لله وحده. والنبي لم يبعث الا لهذا المعنى فقط. ومعنى هذا ان حكم الله هو الذي يكون نافذا فى الارض كلها. وبذلك يتم الحكم لله فى السماوات والارض. والذين يخلفونه فى الارض لتنفيذ اوامره يحاسبهم حسابا خاصا لا على منهاج حساب العامة والى ذلك الاشارة في قوله. وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله.

هذه الآية خاصة بخلفاء الله في ارضه فانهم اذا اضمروا في انفسهم بخلاف ما امر الله في كتابه في حق امة او فرد يحاسبهم به الله.

قوله:- فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء.

فيغفر ذلك لمن كانت حسناته غالبة على سيئاته ويعذب من كان بعكس ذلك ـ قوله:- والله على كل شيئ قدير (٢٨٤)

اي على الامرين الغفران والتعذيب.

واما عامة المؤمنين فلا يؤخذون الا بما تكلموا او عملوا. وهذا الحساب يكون بواسطة الملائكة. والملك لا يكتب الا بما تكلم به العبد او فعله.

واما خلفاؤه فيحاسبهم الله بنفسه.

ولما نزلت هذه الآية ثقلت على اصحاب النبي ولكن النبي اعلمهم ان لم

يقبلوا هٰذ الاستخلف احدامنهم. وان اليهود انما تنزلت من هٰذه المنزلة وضَلّتْ اذ - قالوا سمعنا وعصينا. فحرموا من الخلافة العامة.

وقد سمع اصحابه امره فقالوا سمعنا و اطعنا. وكان هٰذ امنهم عهدًا او ميثاقًا. فاذانقضوه وخالفوه تسلب الخلافة عنهم. هٰذا معنى قوله يعذب من يشاء - اي بسلب شرف الخلافة من كل امة نقضت ميثاقه وعهده.

الرسل والمؤمنون كلهم جماعة واحدة. المؤمنون هم الخلفاء والرسول خليفة الخلفاء فخليفة الخلفاء وهم معًا اُخِذَ منهم هٰذ الميثاق وهم قد اعطوا هٰذ الميثاق ايضًا وتصريح ذٰلك فى الأية الأتية وهي اٰمن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون كل اٰمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لانفرق بين احد من رسله.

فقوله:- كل اٰمن بالله. هو عنوان لحظيرة القدس وقوله: لانفرق بين احد من رسله. تصريح باحترام شعار الحنيفية.

لما جعل الله ابراهيم امامًا للناس وجب عليه ان يصدق بكل رسول جاء الى امة من الامم هٰذا الايمان الاجتماعي بجميع انبياء الدنيا هو الذي يدعو اليه ابراهيم. فمن تعصب لقوميتهم من فقهائنا وانكروا ان يكون انبياء لأمم اُخرين هم لايفلحون ابدًا. ولو انهم تمسكوا بالقراٰن وقالوا هٰذا دين جميع الانبياء. ايضًا لكانوا على الحق وان كانوا لايعلمون التفاصيل ولكنهم يظلمون الناس بتعصبهم لطائفة من فقهائهم وينكرون على جميع الامم ان يكون فيهم انبياء.

ولننزع مثل هٰذا التعصب من قلوب الفقهاء ندعوهم في علوم الحديث والفقه ايضًا الى اتباع الامام ولي الله كما ندعوهم في تفسير القراٰن وفى الحكمة الى حكمته.

ولووجد رجل يقوم مقام الامام لجعلناه مساويًا له.

وتفصيل ايمان الرسول والمؤمنين في قوله: وقالواسمعناه واطعنا غفرانك ربنا واليك المصير (٢٨٥)

وقد قبل الله دعاءهم هذا وتصريح ذلك في الآية التي بعدهاوهي لايكلف الله نفسًا الا وسعها.

عدم تكليف الناس مالا يطيقون ناموس كلي لايختلف ابدًا ومن هذا التكليف ينشأ المواخذة. لأن الانسان اذا فعل شيئًا برضاه واختياره فان نفسه تجذب روح هذا العمل فان كان صالحًا فله وان لم يكن كذلك فعليه والى ذلك الاشارة في قوله. لها ما كسبت وعليها ما كتسبت.

و المواخذة انما تجري على ارادتها وعلى عزمها. وقد ظهر عـزم المؤمنين في دعائهم حيث قالوا (ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا اواخطأنا) ما وقع بالنسيان والخطأ فليس بتحت الارادة والعزم فلذلك يحبون ان يغفر الله لهم ذلك وقد استجاب الله دعاءهم.

قوله: - ربنا ولاتحمل علينا اصرًا كما حملته على الذين من قبلنا.

الذي علمنا من هذه الجملة واطمأن به الخاطر هوانهم سألوا الله ان لا يكون عليهم حكومتان حكومة القرآن وفوقها حكومة لقوم آخرين. اما اذا كانت علينا حكومتنا فقط فانا مسئولون في تنفيذ حكم القرآن وحده علينا.

قوله: - ولاتحملنا مالا طاقة لنا به.

اي مالا نطيقه الا بمشقة وتعب نفس واجهاد هاسهل لنا ارتفاقا تنا ويسرها علينا — قوله: - واعف عنا واغفرلنا وارحمنا.

بتكميل مدارج الخلافة العمومية.

قوله:- أنت مولانا فقط. لاغيرك. فانصرنا على القوم الكفرين (٢٨٦). اي المعاندين[1]. وقول الله (لله ما في السموات والارض) تفصيل ما اشار اليه في قوله:- اَللّٰهُ لَآ اِلٰهَ اِلَّا هُوَ اَلْحَيُّ الْقَيُّوْمُ ۚ

وفي اية الكرسي (٢٥٥) ذكر ايمان الخلفاء المفصل وشرح لحظيرة القدس. قوله:- الله لا اله الا هو. تعبير عن التجلي الاعظم.

الحي القيوم:- الحياة مبنى الصورة الكبرى للعالم ومرجعها. والقيوم مرجع المادة كلها قوله:- لَا تَاْخُذُهٗ سِنَةٌ وَّلَا نَوْمٌ ؕ

وبذلك تباين عن جميع خلقه.

قوله:- لَهٗ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْاَرْضِ ؕ

اي ملكه وحكمه نافذ على جميع مافيهما وتفصيل هذه الجملة فيما يأتي.

قوله:- مَنْ ذَا الَّذِيْ يَشْفَعُ عِنْدَهٗٓ اِلَّا بِاِذْنِهٖ ؕ

هذا اتمام الملك.

قوله:- يَعْلَمُ مَا بَيْنَ اَيْدِيْهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۚ وَلَا يُحِيْطُوْنَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهٖٓ اِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ

الاحاطة العلمية لله هي الوجبة لكون كل شئ له.

قوله:- وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضَ ۚ

الكرسي عندنا ليس بشئ مغائر للعرش. فان للعرش اعتباران. فباعتبار عرش وباعتبار اخر كرسي

---

[1] المعاند هو الذي فهم الحقيقة وقام عليه الحجة ووضحت له المحجة ثم خالف ذلك عنادا او هو الكافر واما الذي لم تبلغه الدعوة ولم يقف على الحقيقة فليس بمعاند ولا كافر. راجع تاريخ الجهمية ع ٦٣ وفي قول الله يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها واكثرهم الكافرون دليل واضح على ذلك. محمد نور مرشد

فلنفرض جسما عظيما كرويا محيطا بالعالم بجميع الجسمانيات فلابد ان يكون له سطحان (١) فوقاني (٢) وتحتاني. والتحتاني لابد ان يكون اصغر على قدر السمك. فان سميناه نظرا الى الجهة التحتانية كرسيا وسميناه نظرا الى الجهة الفوقانية عرشا كان ذلك صحيحا ايضا فان ذلك لايخالف ماقررناه.

وسع كرسيه السماوات والأرض. اي محيط بهما وهو ايضا اقوى واعظم منهما وهكذا يزداد قوة كل ما ارتقى الامر. مثلا التجلي الالاهي القائم على العرش والمحيط به والمستوي عليه اقوى من العرش بكثير.

ونحن اذا مثلنا التجلي بمثال نمثله بظهور الصورة في المرأة. الصورة هي التجلي والمرأة هي العرش. فلربما يخطر ببال السامع بذلك ان التجلي اضعف من العرش والحقيقة بخلاف ذلك فان الامر هناك بالعكس فان التجلي اقوى من العرش وليس ذلك المثال الا لتفهيم التجلي فقط.

ثم صفة الله التي تجلت على العرش اقوى من الصورة الظاهرة في العرش (اي التجلي) ثم ذات الله التي هي مصداق كلمة. الله. اقوى من جميع الصفات وقوة الذات لانهاية لها ولاحدود.

ومن هذا الطريق ينبغي ان يتصور الانسان عظمة الله واليه الاشارة في قوله تعالى:- وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ۚ

فالخلافة الالاهية تكون برضى الأمم المؤمنة بالله اجماعية بين الأمم المؤمنة لا الكافرة ويكون حكم هذه الاجتماعية نافذا على الامم الكافرة وتنفيذ هذا الحكم عليهم ليس باكراه بعد ان تبيين لهم الرشد من الغي بدعوة القرآن الى الامور الموافقة للفطرة الانسانية واتضح ذلك جليا.

والانسان الرشيد هو الذي يتبعها ولا ينبغي له تركها الا اذا كانت انسانيته انحرفت عن فطرتها.

ولهذا الامر اذا أُجبر انسان وأُكرِهَ للخضوع للخلافة الالاهية واوامرها كان ذلك في حكم لا اكراه اي لم يكن ذلك اكراهًا.

واما الذين يفسرون الاٰية بان يترك الناس هملا وسدى من غير ان يقيدوا بقانون راشد تبين رشده وانضح فليس ذلك بتفسير وانما هو تحريف.

رأينا الذين يقلدون الغربيين يذكرون هٰذه الاٰية عندهم لاثبات الحرية التي يريدها الغربيون وغرض الغربي من ذلك ان لا يعارضه المسلمون بل يخضع له كل مسلم ولكل قانون ينفذه الغربيون.

قال في فتح الرحمان، لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي.

یعنی نیست جبر کردن برائے دین ۔ یعنی حجت اسلام ظاهر شد پس گویا جبر کردن نیست اگرچہ فی الجملہ جبر باشد۔ ہر آئینہ ظاہر شدہ است راہ ہا از گمراہی ۔

ولم نر من اهل العصر من فسر هٰذه الاٰية بهٰذا التفسير. ونحن نوقن اما يخضعون هم لاوامر القراٰن او نخضع نحن لدينهم. وهل تتم الاجتماعية بغير ذلك؟

تنبيه

لما انشأوا عصبة الامم بعد انتهاء الحرب العظمى الاولى فرح كثير من الناس من اخواننا اما انا فقد كنت فهمت غرضهم من ذلك انهم انما انشأوا ذلك لتقسيم الاسلاب التي سلبوها من المسلمين والغنائم التي غنموها منهم ومن غيرهم ويكون حكم تلك العصبة نافذًا على المغلوبين وقاهرًا عليهم ــ ولما قلت ذلك لرفيقنا مهندر پرتاب ما صدقني في ذلك وكره كلامي اولاً ثم اجتمعنا مرة ثانية بعد سنة او سنتين فصوب رائي.

الانسانية لاتسير الا في طريق موافق للفطرة ولذلك اذا وجدت امم متفقة على ارشد نظام كانت هي الغالبة على غيرهم. واما دون ذلك فلا تطمئن به الانسانية ولاتتقدم.

فالواجب علينا معاشر اهل القرآن ان نثبت امام الامم ان ليس شئ بيد الانسانية ارشد من القرآن. ثم ننظم جماعة ممن آمن بالقرآن من اي قوم كانوا على السواء لانظر الا الى ايمانهم بالقرآن فقط. فهذه الجماعة تكون هي الغالبة على مخالفيهم لا على سبيل الانتقام منهم بل على سبيل الارشاد كما يكون الوالد غالبا على اولاده. واذا قام احد على خلاف هذا النظام فانه يقتل هو. فقط

وكنت قلت ايضاً ان عصبة الامم اذا ارادت القيام بالحق وتنفيذه باتفاق الامم فليجعلوا للعصبة قوة عسكرية تحارب من خالفها. وعند ذلك تقول انهم ارادو اقامة الحق الذي عرفوه. واما اذا لم يكن بيدها قوة عسكرية فهي انما هي تعمية ابصار الامم وتمويه واغفال وان كان المغلوبون يخضعون لهؤلاء بالدعايات فقط.

ثم قال لي (مهند ربرتاب) بعد سنة اوسنتين ان مفكري عصبة الامم يفكرون في ايجاد قوة عسكرية لها لكن لم يرض بذلك احد من اعضائها الا الانجليز لانهم هم القابضون على زمام العصبة.

غرضنا من هذا هل يمكن اقامة الحق والعدل على وجه الارض بدون هذا، فان ذلك مخالف للفطرة.

انما يجوز الدعوة الى الحق والعدل بدون استعمال قوة لتجتمع القوة. اما نفي لزوم القوة بتاتاً فذلك ابطال للفطرة.

مَنْ شَرَحَ دعوةَ المسيح وبوذا وقال انهما يمنعان عن استعمال القوة

بالكلية وانهما ينفيان لزوم القوة بالمرة فقد اخطأ وحرّف كلام المسيح وكلام برذا. نعم الدعوة الى اجتماع القوة لاتكون بالقوة فاذا اجتمعت القوة فلتؤيد الدعوة ولتناصرها.

فاذا كانت دعوة مبنية على رشد لا ارشد منه فمع تأييد القوة لها نقول انه لا اكراه فيها.

قوله:- فَمَنْ يَّكْفُرْ بِالطَّاغُوْتِ وَيُؤْمِنْ بِاللّٰهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقٰى لَا انْفِصَامَ لَهَا ۗ وَاللّٰهُ سَمِيْعٌ عَلِيْمٌ ﴿٢٥٦﴾

الاستمساك بالفطرة وبدين موافق للفطرة هو الاستمساك بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها وكون القران موافقا للفطرة وتعاليمه مطابقة للفطرة الانسانية مبسوطة في حجة الله البالغة.

الا فليجتمع اهل العلم حول القران حتى يمكن تبيين الرشد من الغي.

قوله:- اَللّٰهُ وَلِيُّ الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا يُخْرِجُهُمْ مِّنَ الظُّلُمٰتِ اِلَى النُّوْرِ ؕ وَالَّذِيْنَ كَفَرُوْا اَوْلِيٰٓـئُهُمُ الطَّاغُوْتُ يُخْرِجُوْنَهُمْ مِّنَ النُّوْرِ اِلَى الظُّلُمٰتِ ؕ اُولٰٓئِكَ اَصْحٰبُ النَّارِ ۚ هُمْ فِيْهَا خٰلِدُوْنَ ﴿٢٥٧﴾ ع

الايمان بالله يحصل بولاية الله. والله كما خلق الفطرة فانه يسّر على الانسان موافقتها فاذا اراد انسان ارادة صحيحة وعزما اكيدا على اقامة الفطرة على وجهها فان الله يؤيده. واذا كانت ارادته اقامة ما هو على خلاف الفطرة فلا يؤيده الا من قام جهدا على معاندة الحق واليه الاشارة في (٢٥٨)

قوله:- اَلَمْ تَرَ اِلَى الَّذِيْ حَآجَّ اِبْرٰهٖمَ فِيْ رَبِّهٖٓ اَنْ

أٰتٰىهُ اللّٰهُ الْمُلْكَ ۘ إِذْ قَالَ إِبْرٰهٖمُ رَبِّيَ الَّذِيْ يُحْيٖ وَيُمِيْتُ ۙ
قَالَ أَنَا أُحْيٖ وَأُمِيْتُ ۖ قَالَ إِبْرٰهٖمُ فَإِنَّ اللّٰهَ يَأْتِيْ
بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ
الَّذِيْ كَفَرَ ۖ وَاللّٰهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظّٰلِمِيْنَ ﴿٢٥٨﴾

ذكر الله في هٰذه الآية تأييده وولايته لأهل الايمان. وهٰكذا دائما يؤيد الله المؤمنين لأنه ليس هٰذا التأييد خاصا بابراهيم عليه السلام فقط وقوله:- والله لا يهدى القوم الظٰلمين.

علم منه ان المقصد من اتباع الفطرة هو اقامة العدل ورفع الظلم.

ثم ذكر في (٢٥٩) – مثالا أخر لولاية الله. رجل وقع في قلبه الشك في كيفية احياء الله الأموات فأماته الله مئة عام ثم بعثه فلما تبين له الحق قال اعلم ان الله على كل شيئ قدير. وصار هو اية للناس. وهو قوله:-

أَوْ كَالَّذِيْ مَرَّ عَلٰى قَرْيَةٍ وَّهِيَ خَاوِيَةٌ عَلٰى عُرُوْشِهَا ۚ
قَالَ أَنّٰى يُحْيٖ هٰذِهِ اللّٰهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ فَأَمَاتَهُ اللّٰهُ مِائَةَ
عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهٗ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ
يَوْمٍ ۖ قَالَ بَلْ لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلٰى طَعَامِكَ وَ
شَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۚ وَانْظُرْ إِلٰى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ اٰيَةً
لِّلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوْهَا لَحْمًا ۖ
فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهٗ ۙ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللّٰهَ عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيْرٌ ﴿٢٥٩﴾

تنبيه

انا تدبرت في صفحات حجة الله البالغة فرأيت الشيخ لا يأتي بحكمة الا اذا جربها بنفسه اوجربها رجل يعرفه الشيخ وكانت تجربته مثل تجربة الشيخ نفسه لاتحاد الذوقين فتأثرت بتلك الحكمة . ورأيت عند ما عارضتها اشد المنكرين لها في بعض الاوقات ماقدروا على انكارها .

كلمة الحكمة المكتوبة لاتكون مؤثرة فى الانسان الا اذا جربت في حياة رجل . ونرى الامم الغالبة اليوم تريد ان تجرب جميع الحكم على انفسهم فيزدادون رفعة وكذلك القرآن العظيم لا يقدم حكمة للناس الا وهي مجربة في نفوس طائفة مشاربهم متحدة .

ومسألة احياء الاموات من اهم المسائل الموجودة فى القرآن فان لم يكن احياء الميت مجربًا فانه لا يحى القلوب ذكره .

وقد كنا ذكرنا لكم من عم الشيخ ولي الله تجربة احياء الميت بعد مضى مدة وجيزة على ميت مات قريبًا بتاثير ملك من الملأ الاعلى الذي هو اقوى من الشيخ ابى الرضا محمد .

وهذا لاينكر عندنا لان الواقعة موافقة لنا في ذوق الحكمة من رجل نعده منا وليس عندى الان ذلك الكتاب . ولكن حكاية اخرى في احياء الاموات في سلسلة مشائخنا موجودة ايضًا .

أنا بايعت الشيخ محمد صديق السندي وكان شيخًا كاملا ومكملا وشيخه بواسطتين السيد محمد بقا السندي اخذ الطريقة القادرية عن رجل من اولاد الشيخ عبد القادر الجيلاني وكان اسم هذا الرجل عبد القادر ايضًا وكان في پنجاب احيا الله بدعائه ميتًا مات قريبًا . وقد رأى شيـ

شيوخ مدينة لكهنو الذي كان من أئمة الطائفة الوجودية هٰذا الميت الذي احيي مرة ثانية ــ وهٰذا الرجل الذي احيا الميت كان معاصرا للشيخ ابي الرضا محمد.

واذا كانت وقائع من احياء الميت تجري وتقع فان هٰذه الآية تثبت امكان ذٰلك الدلائل الموافقة و المخالفة في هٰذا الموضوع متعارضة ولا نحيط بالاسباب المعيدة للحياة بعد الموت ولكن اذا وقعت واقعة احياء الميت هل يمكننا انكارها؟ ذكر لنا رجل من الطبيعيين ان الأطباء يجربون احياء ميت مات قريبا وقد نجحوا في بعض الاوقات في بعض الصور. وكان يتظاهر بتفضيل الطبيعيين على حكماء العصر. فقلت له الا يثبت من ذٰلك ان ذٰلك ممكن؟ فبهت. وكان قبل ذٰلك مُصِرًّا على انه غير ممكن.

وعندنا لا تثبت مثا ... المسائل بالادلة و البراهين بل بالآيات الواقعة. ولذٰلك جاء فى القرآن الحكيم في حق هٰذا الرجل ﴿ولنجعلك اٰية للناس﴾

وبعد هٰذا في اٰية (٢٦٠) مثال اٰخر لولاية الله المؤمنين. قوله :-

وَإِذْ قَالَ إِبْرٰهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتٰى ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ ۖ قَالَ بَلٰى وَلٰكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلٰى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَاعْلَمْ أَنَّ اللّٰهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾ ع

فمن اوّل هٰذه الآيات وحملها على المعنى المجازي وقال انه لم يكن احياء حقيقي وانما هو تشبيه بالحياة نحن نجعله بعيدا عن طريقة الانبياء وان كان لا يريد بتاويله ذٰلك فسادا.

تنبيه

اعادة الحياة الى النبات مرئية ومشاهدة بالابصار فى البرارى. يجف

بذر العشب فينزل عليه المطر فيحيا باذن الله. وقد ذكر الله من ذلك شيئاً كثيرا في كتابه (كيف يحي الأرض بعد موتها)

توفى قبل اسبوعين من هذا اليوم حكيم من حكماء الهند المشهورين[1] فقد استطاع هذا ان يثبت التجانس فى الحياة بين النبات والحيوان بادلة طبيعية قابلة للتجربة. افلايكون هذا دليلا على امكان اعادة الحياة للحيوان؟ فاذا عرف الانسان ذلك ينبغي له ان لاينكر على امكان اعادة حياة الحيوان.

فكل رجل يمكنه احياء الموتى باذن الله فان ذلك دليل على ان هذا الرجل مقرب من حظيرة القدس. والمقربون من حظيرة القدس من طبقة عالية من الانبياء والمحدثين ومن طبقة متصلة بهم من الحكماء الربانيين الذين يصدقون بمعارف الانبياء بشهادة من قلوبهم. وهم الذين يكونون خلفاء الله في ارضه.

وعنوان حظيرة القدس عندنا هو اية الكرسي وسائر الأيات امثلة لها. ولنشرح هنا اولا اية (٢٦٩) قوله:-

يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَّشَآءُ ۚ وَمَنْ يُّؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوْتِيَ خَيْرًا كَثِيْرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴿٢٦٩﴾

بعد استقرائنا وجدنا في كتاب الله اطلاق كلمة واحدة على

---

[1] هو الدكتور (بوس) البنغالي المشهور يقال انه هو صاحب اصل نظريات اللاسلكى لامار كوني الايطالي ولكن الرجل لم يجد من يعينه بمال لازم ليظهر على حيز الوجود ما كان في ذهنه الثاقب وهو الذي اخترع آلة يسمع بها أنين الشجرة حين يكسر غصن منها او يضرب بفاس في اصلها. وقد ذكره العلامة محمد لطفي جمعه في حياة الشرق. محمد نور مرتب

شيئين وهي كلمة (خير) فقد اطلقها على الاموال، ان ترك خير الوصية للوالدين الآية وقوله، وانه لحب الخير لشديد.

وعلى الحكمة. فقال يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا - اما الآيات المذكورة من (٢٦١ : ٢٦٨) فكلها في مسائل انفاق الخير وآداب الانفاق وهي قوله:-

مَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ
حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ ۗ
وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٢٦١) الَّذِينَ
يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنفَقُوا
مَنًّا وَلَا أَذًى ۙ لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ
وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٢٦٢) قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن
صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى ۗ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ (٢٦٣) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ كَالَّذِي
يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۖ
فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ
صَلْدًا ۖ لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي
الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (٢٦٤) وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ
مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ

أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا
وَابِلٌ فَطَلٌّ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٦٥﴾ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن
تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ
لَهُ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ
ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ ۗ كَذَٰلِكَ
يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٦٦﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
آمَنُوا أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ
الْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِآخِذِيهِ
إِلَّا أَن تُغْمِضُوا فِيهِ ۚ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾
الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ ۖ وَاللَّهُ
يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦٨﴾ ع ١

هذه المسائل التي ذكرت في هذه الآيات. تقدرقدرها العرب الذي طالت حياتهم فى الجدب والفقر. فانهم اذا رأوا انظاما يوجب على ذوى اليسار واصحاب الثروة ان ينفقوا اموالهم على اصحاب الحاجات يعدون ذلك النظام رحمة من الله. كذلك المفلسين من الحكمة والخالين منها من الامم المنتشرين فى اطراف الارض اذا رأوا ادارة نظمت لترويج الحكمة في انحاء الارض فانهم يعدون ذلك رحمة ونعمة ايضا ــ فقد انزل من حظيرة القدس القرآن وتخرجت بتعاليمه خلفاء ليس لهم عمل الا ادارة دوائر انفاق الاموال على المحتاجين

لے قد مر تفسير (٢٦٩) يؤتي الحكمة، الخ، اولوا الالباب قبل في الصفحة ٣١٢ فتذكر.

اليها وانفاق الحكمة فيمن يحتاج اليها. وهٰذا ذكرت أيات (٢٧٠ : ٢٧١)

وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ
يَعْلَمُهُۥ ۗ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٢٧٠﴾ إِن تُبْدُوا الصَّدَقَٰتِ
فَنِعِمَّا هِيَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ
وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٧١﴾

هاتان الأيتان اشارتان الى التقيد بقيود خاصة في انفاق الحكمة . والمؤاخذة على الخروج من تلك القيود لاتكون الا من الله ولايحاسب على ذٰلك الاهو. لان التقيد بتلك القيود لازم على كل من يبث الحكمة بين الناس. والقيد بتلك القيود اللازمة ليس في استطاعة احد سوى الله وهو الذي يهدى من يشاء اليها والى ذٰلك يشير قوله تعالىٰ :-

لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ ۗ وَمَا
تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَآءَ وَجْهِ
اللَّهِ ۚ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٢﴾
لِلْفُقَرَآءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا
فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم
بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا ۗ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ
اللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢٧٣﴾ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِالَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَ
عَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾

الربع

في هاتين الآيتين الحث على انفاق الاموال على الذين حبسوا انفسهم في سبيل بث الحكمة ونشرها. فاذا الناس انفقوا عليهم الأموال وهؤلاء انفقوا عليهم الحكمة فازوا وافلحوا.

ثم انه ليس مقصود القرآن من اقامة خلافة الله في ارضه الا تكوين قوة انفاق الاموال والحكمة بين الناس. والتعامل بالربا يناقض رأسا فهل يجوز التعامل بالربا في خلافة القرآن الحكيم؟ وليس هذا الجواز الا الجمع بين النور والظلمة. الربا يحدث في نفس أكليه خباثة حتى انهم لا ينفقون فلسا الا ويجمعون لانفسهم اضعافه. واما الفساد الذي يجلبه الربا فى الاقتصاديات فشئ اكثر من ذلك واما فساده للفطرة الانسانية واعدام الاخلاق الفاضلة وتضييقه على الناس فى الاقتصاديات فابين من ان يظهر ولذلك جاء القرآن العظيم ليمحق الربا عن وجه الارض ويخلص الانسانية من شره وظلم متعاطيه فمنع اولا عن اكله بالموعظة الحسنة فان لم ينته بعد ذلك فباعلان حرب ضروس عليهم وافنائهم بها عن وجه الارض. واساس تعليم هذا المحكم فى القرآن أليس هذا اكراها ؟ فان الربا يمنع عنه بايقاد نار الحرب على أكليه لكن بعد تبيين الرشد من الغي وبعد تبيين انه يضاد الرشد. فاذا كان كذلك فلا يقال انه اكراه.

الاسلام يهدم الحكومات العظيمة التي نظمت لاكتساب الاموال بالتعامل بالربا باعلان حرب عليهم من الله ورسوله. هذه هي قوة للمسلمين الانقلابية فى العالم. فمن يجبر المسلمين على ان لا يجمعوا قوتهم بالعمل بهذه الحكمة فهو اما ضعيف جبان لا ينبغي ان يعد من الانسانية. واما جاهل بالقرآن لم يتدبر فيه قط او عدو لدود معاند لتعاليم القرآن.

اما الضعيف الجبان فنأمره بأن يجلس في بيته مع الجالسين والجاهل نعلمه ونهديه الى ما فيه الخير والصلاح. واما المعاند فنقتله شر قتلة كائنا

من كان سلطانًا كان على المسلمين اواماما فى الدين . فانهم يقتلون جميعًا .
ولا يقوم بمثل هذ الانقلاب الا المسلمون . فانه لاعدوان عندنا على حدود
الله . ولا نفرق بين ذوى الارحام ولا نأمرهم بقطيعة الرحم . فمن يجتمع بعد ذلك
مع هؤلاء السفلة المرذولين ؟ — ثم ان الاضطرار الى اخذ الربا انما كان عند
مطل المقترض عن تسديد دينه فى الوقت الموعود ولذلك يجب على كل مسلم
ان يسدد دينه فى الوقت المتفق عليه بينهما على التسديد ويكتبوه لئلا يضطر
الناس الى اخذ الربا . وكل رجل صاحب اعمال يستقرض من الناس بخبرة
على تعلم الكتابة والقرأة بلسانه ونجعل المرأة والرجل في ذلك سواء ليحفظ
الناس اموالهم ويؤدوا الديون في حينها . وبيان كل ذلك في قوله :-

اَلَّذِيْنَ يَاْكُلُوْنَ الرِّبٰوا لَا يَقُوْمُوْنَ اِلَّا كَمَا يَقُوْمُ الَّذِيْ يَتَخَبَّطُهُ
الشَّيْطٰنُ مِنَ الْمَسِّ ؕ ذٰلِكَ بِاَنَّهُمْ قَالُوْۤا اِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبٰوا ۘ (وقف لازم)
وَاَحَلَّ اللّٰهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبٰوا ؕ فَمَنْ جَآءَهٗ مَوْعِظَةٌ مِّنْ رَّبِّهٖ
فَانْتَهٰى فَلَهٗ مَا سَلَفَ ؕ وَاَمْرُهٗۤ اِلَى اللّٰهِ ؕ وَمَنْ عَادَ فَاُولٰٓئِكَ اَصْحٰبُ
النَّارِ ۚ هُمْ فِيْهَا خٰلِدُوْنَ ﴿٢٧٥﴾ يَمْحَقُ اللّٰهُ الرِّبٰوا وَيُرْبِى الصَّدَقٰتِ ؕ
وَاللّٰهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ اَثِيْمٍ ﴿٢٧٦﴾ اِنَّ الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا وَعَمِلُوا الصّٰلِحٰتِ
وَاَقَامُوا الصَّلٰوةَ وَاٰتَوُا الزَّكٰوةَ لَهُمْ اَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ ۚ وَلَا خَوْفٌ
عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُوْنَ ﴿٢٧٧﴾ يٰۤاَيُّهَا الَّذِيْنَ اٰمَنُوا اتَّقُوا اللّٰهَ وَذَرُوْا مَا بَقِيَ
مِنَ الرِّبٰوۤا اِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِيْنَ ﴿٢٧٨﴾ فَاِنْ لَّمْ تَفْعَلُوْا فَاْذَنُوْا بِحَرْبٍ
مِّنَ اللّٰهِ وَرَسُوْلِهٖ ۚ وَاِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوْسُ اَمْوَالِكُمْ ۚ لَا تَظْلِمُوْنَ

وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَن
تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ
فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾ ع

فائدة

رأينا في الهند طائفة من الهنود جُلُّ وارداتهم من الربا. ورأينا كبارهم و صغارهم يتقنون القراءة والكتابة والحساب بلسانهم ورأيناهم لا يماطلون في ديونهم بل يوفون اذا اقترضوا.

وقد جزمت بذلك ان كل قوم تعرف الكتابة والقراءة والحساب يخرجون من عادة التسويف والمماطلة في اداء ديونهم في حينها. ولذلك نجعل التعليم نحن في الهند اجباريًا. وهذا اسهل جدًا اليوم وبذلك نخرج من عادة المماطلة في الاداء التي هي خلاف اخلاق المسلمين ولا ندع ان يحتال المرابيون في اخذهم الربا مني الآن وقد نسي الناس هذا الانقلاب الذي علمهم القرآن وذلك لعدم تدبرهم فيه وهجرانهم له.

وذكر في اية (٢٨٢) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ ۚ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ ۚ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ ۚ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا ۚ فَإِن كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ ۚ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِن

رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَّامْرَاَتٰنِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ
مِنَ الشُّهَدَآءِ اَنْ تَضِلَّ اِحْدٰىهُمَا فَتُذَكِّرَ اِحْدٰىهُمَا الْاُخْرٰى
وَلَا يَاْبَ الشُّهَدَآءُ اِذَا مَا دُعُوْا وَلَا تَسْـَٔمُوْٓا اَنْ تَكْتُبُوْهُ صَغِيْرًا
اَوْ كَبِيْرًا اِلٰٓى اَجَلِهٖ ذٰلِكُمْ اَقْسَطُ عِنْدَ اللّٰهِ وَاَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَ
اَدْنٰٓى اَلَّا تَرْتَابُوْٓا اِلَّآ اَنْ تَكُوْنَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيْرُوْنَهَا
بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ اَلَّا تَكْتُبُوْهَا وَاَشْهِدُوْٓا اِذَا تَبَايَعْتُمْ
وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَّلَا شَهِيْدٌ وَاِنْ تَفْعَلُوْا فَاِنَّهٗ فُسُوْقٌ بِكُمْ
وَاتَّقُوا اللّٰهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللّٰهُ وَاللّٰهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيْمٌ ﴿٢٨٢﴾

هذه الآية بطولها في مسألة كتابة الديون فقط. ثم ذكر في اية (٢٨٣) مسألة الرهن ان لم يكن بينهما مكاتبة. وبذلك علمنا ان عدم تسديد الديون في حينه جرم عظيم جدًا لان ذلك ذريعة الى ترويج الربا قال تعالى:-

وَاِنْ كُنْتُمْ عَلٰى سَفَرٍ وَّلَمْ تَجِدُوْا كَاتِبًا فَرِهٰنٌ مَّقْبُوْضَةٌ
فَاِنْ اَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِى اؤْتُمِنَ اَمَانَتَهٗ
وَلْيَتَّقِ اللّٰهَ رَبَّهٗ وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ
يَّكْتُمْهَا فَاِنَّهٗٓ اٰثِمٌ قَلْبُهٗ وَاللّٰهُ بِمَا تَعْمَلُوْنَ عَلِيْمٌ ﴿٢٨٣﴾ ع

فقوله:- فان أمن بعضكم بعضا فليؤد الذى اؤتمن امانته.

الدين الخالي من المعاملة والرهن سماه الله امانة. فنحن ناخذ منها مسألة فقهية تخالف فقهاءنا.

اذا وضع انسان عند انسان نقودًا امانة فيجب على الأمين ان يرد تلك

النقود بعينها لصاحبها. وهٰذه المسألة نردها بلعتبار وايماء في هٰذه الأية فنقول ان الله سمى الدين امانة واداء تلك الأمانة لصاحبها واجب بعينها او مثلها، ونجعل ذٰلك ذريعة لجواز الحوالة مع الأجرة خارجا من الربا. لأن للعاملات الالية اليوم لا يمكن تنظيمها الا على هٰذه النظرية. وقد رأينا ان الامام قائل به فاخذنا بذٰلك ونجونا من كثير من العوائق في معاملاتنا. والحمد لله.

انا مطمئن باحياء الاسلام مرة ثانية بأصلين.

احدهما (١). ان لا يعبد في الارض الا الله وحده. وكل من يقول كلمتنا هٰذه هو من جماعتنا. وهٰذه الكلمة وحدها تكفي في جميع الامور.

الثاني (٢). تحريم الربا تحريما باتا ونمنعه بكل قوتنا وباعلان حرب على اكليه والمسلم لا يحيى الا بهٰذين الأصلين.

لِلّٰهِ مَا فِى السَّمٰوٰتِ وَمَا فِى الْاَرْضِ ۗ. الى. اَنْتَ مَوْلٰنَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكٰفِرِيْنَ ﴿٢٨٦﴾ ع [١]

تم الجزء الأول من تفسير الهام الرحمٰن ويتلوه الجزء الثاني اوله سورة ال عمران

---

[١] قد تقدم تفسير هٰذه الأيات في الصفحة ٣٠١ — ٣٠٤ فلا حاجة الى الاعادة فتذكر. ابو سعيد السندي.

فهرس الكتاب

فهرس الأعلام والأماكن والكتب الواردة في الهام الرحمن

بسم الله الرحمٰن الرحيم

الحمد لله الذی انزل الفرقان علی عبدہ لیکون بہ نذیرًا للعالمین، والصلوٰة والسلام علی صاحب القرآن الکریم سیدنا محمد واٰلہ وصحبہ اجمعین۔

اما بعد فان ارض السند کان لھا صیت بعید فی المعارف فیما مضیٰ، وھٰذا الامر لا یحتاج الی ان یعرف ان ھٰذہ الارض کیف تقدمت فی العلوم لما کانت الدنیا مصابة بالجھل واتباع الاوھام الباطلة۔

ولا یخفی علی احد ان الحکومة القیصریة، والکسرویة لما تسلطتا علی الدنیا، وظلمتا اھلھا، واتخذتاھم عبید الر[illegible] ابحیث کان ھمھم الاول اداء ما عُیِّنَ علیھم من المکوس، ثم ما کانوا یجدون وقتا لیصرفوہ فی فلاحھم الدنیوي والاخروي، ووصلوا بھا الی طبقة تلی الحیوانات تستعملھم الحکومتان کما نستعمل الحیوان فی اتمام اربنا طلعت شمس الھدیٰ، والاسلام من جبال فاران، وتنورت اودیة العرب بنورھا اولا ثم فاضت اشعتھا الی ما یلیھا من ارض العجم ولم یبق للظلمتین القیصریة والکسرویة اثر۔ فی ذٰلک الوقت وصلت برکات الاسلام، وعلومھا الی ارض السند[1] وتقدمت السند علی کل الممالک من ارض العجم فی العلوم، والادب وما حظت بمثل ھٰذا التقدم مملکة من ممالک الھند الغیر المنقسمة غیر مملکة

---

[1] ومن الائمة الذین توطنوا السند فی اوائل الاسلام الامام ابو حفص ربیع بن صبیح السندی البصری وھو من اتباع التابعین واعیان المحدثین، کان صدوقا عابدا مجاھدا، واول من صنف فی الاسلام۔ روی عن الحسن البصری وعطاء وعنہ سفیان الثوری ووکیع وابن مھدی۔ قال صاحب المغنی :- مات (ابو حفص ربیع بن صبیح) بارض السند سنة ستین ومائة۔ وراجع سبحة المرجان صفحہ ۲۶۔

السند. ثم كلما ازداد اهل السند حظا بالاسلام، خدموا الاسلام، والمسلمين غاية جهدهم.

هٰذه الحالة كانت للسند فى الف سنة من الهجرة النبوية على

له وقلت يكفى لشهادة ما ادعيتُ ما كتب المحققون من المؤرخين، وعلماء اسماء الرجال تذكرة ائمة تلك الدور. قال الحافظ ابو بكر احمد بن على الخطيب البغدادى فى ترجمة نجيح بن عبد الرحمن، ابى معشر السندى المدنى:- (انه) رأى ابا امامة سهل بن حنيف، وسمع محمد بن كعب القرظى، ونافعا مولى ابن عمر، وسعيد المقبرى ومحمد بن المنكدر، وهشام بن عروة، وروى عنه ابنه محمد، ويزيد بن هارون، ومحمد بن عمر الواقدى، واسحاق بن عيسى بن الطباع، ومحمد بن بكار الريان وغيرهم. وكان المهدى قد اقدمه من مدينة رسول صلى الله عليه وسلم إلى بغداد فلم يزل بها حتى مات، وكان من اعلم الناس بالمغازى. وقال ابو نعيم حدثنا الفضل بن هارون البغدادى قال سمعت محمد بن ابى معشر قال:- كان أبي سنديا. قالوا وكيف حفظ المغازي؟ قال كان التابعون يجلسون إلى استاذه، فكانوا يتذاكرون المغازى فحفظ. راجع تاريخ بغداد ج ١٣ صف ٢٢٧-٢٢٨

وذكر الحافظ المذكور فى ترجمة محمد بن ابى معشر السندى:- يكنى أبا عبد الملك رأى إبن أبى ذئب، وابا بكر الهذلى، وسمع من ابيه كتاب المغازى وغيره، روى عنه ابناه:- داؤد، والحسين، وابو حاتم الرازى، ومحمد بن الليث الجوهرى، و ابو يعلى الموصلى. وقال ابو حاتم الرازى:- محله الصدق. مات فى سنة اربع واربعين ومائتين. راجع تاريخ بغداد ج ٣ صف ٣٢٦-٣٢٧

وايضا من اعلام ذلك الدور الامام خلف بن سالم وكان سنديا، سمع ابابكر بن عياش، وهشيم بن بشير، ويحيى بن سعيد القطان، وعبد الرحمٰن بن مهدى وغيرهم، وروى عنه إسماعيل بن أبى الحارث، وحاتم بن الليث، ويعقوب بن شيبة، واحمد بن ابى خيثمه، وجعفر الطيالسى، سئل الامام احمد بن حنبل عن خلف بن سالم (السندى) فقال:- لايشك فى صدقه. مات يوم الاحد لسبع بقين من شهر رمضان سنة احدى وثلاثين ومائتين، وهو ابن تسع وستين سنة. راجع تاريخ بغداد ج ٨ صف ٣٢٨-٣٢٩

صاحبها افضل الصلوٰة والسلام، حين ما عرج المسلمون فی ذروة المجد واما اذا نظرنا فی القرن الحادی عشر والثانی عشر فنری هنالك ایضا جبال العلم، والدین، والتقوی مثل الامام ابی الحسن الکبیر[1] المتوفی سنه ١١٣٨ھ، والشیخ المحدث محمد حیات السندی[2] المدنی (المتوفی سنة ١١٦٣م

[1] المراد منه العلامة ابو الحسن نور الدین محمد بن عبد الهادی السندی الحنفی نزیل المدینة المنورة ولد بتته عاصمة بلاد السند ونشأ بها، ثم رحل الی تستر واخذ بها عن جملة من الشیوخ، ثم رحل الی المدینة، وتوطنها، واخذ بها عن السید محمد البرزنجی والملا ابراهیم الکورانی وغیرهما ودرس بالحرم الشریف النبوی، واشتهر بالفضل والذکاء والصلاح، والف مؤلفات نافعة منها الحواشی الستة علی الکتب الستة، (والحواشی علی مسند الامام احمد بن حنبل والحواشی علی فتح القدیر) وکانت وفاته بالمدینة . . . . ودفن بالبقیع. راجع معجم المطبوعات العربیة صفـ ١٠٥٦ وسلك الدرر ٤ - ٦٦ -

[2] الشیخ محمد حیات هو احد الائمة المشهورین فی الحدیث، کان اصله من قبیلة "چاچر" واسم والده الملا فلاریة الساکن فی "عادل پور" من اعمال "سکهر" فی اقلیم السند ولد بها ونشأ ثم انتقل الی مدینة "تته" وقرأ العلم علی المخدوم محمد معین السندی ثم هاجر الی الحرمین وسکن بالمدینة المنورة ولازم الشیخ الکبیر ابا الحسن محمد بن عبد الهادی السندی المدنی واخذ عنه وجلس محله بعد وفاته اربعا وعشرین سنة واجازه الشیخ عبد الله بن سالم البصری المکی والشیخ ابو طاهر محمد بن ابراهیم الکردی والشیخ حسن بن علی العجیمی وغیرهم، واخذ عنه جماعة منهم الشیخ ابو الحسن بن محمد صادق السندی، والمخدوم قائم السندی والمحدث محمد فاخر الاله آبادی، والشیخ محمد بن عبد الوهاب النجدی، والسید غلام علی البلگرامی وغیرهم. توفی یوم الاربعاء لأربع بقین من صفر سنة ثلاث وستین ومائة وألف بالمدینة فدفن بالبقیع الغرقد کما فی الاتحاف وغیره - راجع النزهة صفـ ٣٠١-٣٠٢ ج ٦ -

والمخدوم المحقق محمد معين التتوى السندى[1]، (المتوفى سنه ١١٦١هـ)، والمخدوم المجدد محمد هاشم السندى[2] وغيرهم هؤلاء كانوا ائمة، ومحدثين، و فقهاء ولانرى امثالهم فى سائر البلاد الاقليلين معدودين على الاصابع.

فى تلك الايام كانت السند تحت يد اهل السند، وما كان يحكم عليها غيرهم، فلوترى حين ذاك لرأيت هنالك انهار العلوم الظاهرة جارية يردها ويحط لديها رحالهم عطاش العلم من بلاد بعيدة يستفيدون منها، ويبردون غليل صدورهم بمائها، ثم يرجعون الى بلادهم غانمين بما نالوا، وكذلك رأيت بحور العلوم الباطنة متلاطمة، وسمعت ذكر الله فى طولها، وعرضها فما اجمل ذلك الوقت فطوبى لأولٰئك ابناء الإسلام.

ثم لما هوى اهل السند الى حضيض الذل، والهوان حين حكم عليهم من ليس منهم، ولامن متبعى مذهبهم، وشاع الجهل والضلال فيهم فايضا نرى فى القرن الثالث عشر، واوائل القرن الرابع عشر من اٰثار

---

[1] المخدوم محمد معين بن المخدوم محمد امين السندى احد العلماء المبرزين فى الحديث، والكلام والعربية، ولد ونشأ باقليم السند وقرأ العلم على الشيخ عنايت الله السندى وسافر الى دهلى وأخذ عن الشيخ ولى الله المحدث الدهلوى ثم رجع الى بلاده، واخذ الطريقة عن الشيخ أبى القاسم النقشبندى ثم صحب السيد عبد اللطيف البهتائى واستفاض منه فيوضا كثيرة وكان مفرط الذكاء جيد القريحة معدوم النظير فى زمانه رأسا فى الحديث و الكلام ماهرا بالمعارف الأدبية شاعرا مجيد الشعر وله مصنفات منها "دراسات اللبيب فى الأسوة الحسنة بالحبيب" ورسائل متعددة فى الفلسفة، والتصوف. توفى سنة احدى وستين ومائة وألف فى "تته" عاصمة السند.

[2] هو الشيخ المحدث الفقيه محمد هاشم بن عبد الغفور التتوى السندى صاحب التصانيف الكثيرة قرأ على المخدوم ضياء الدين السندى، وأقبل على الفقه و

تبرکات القرن الثانی عشر علماء، وصلحاء، ومشائخ طرق منهم الشیخ نور محمد[1] ونحلاوہ۔ العلامة کل محمد، والعلامة غلام صدیق الذین کانوا یبردون عطشی العلوم من انهار علومهم، ومنهم جنید وقته الشیخ عط الحافظ محمد صدیق[2] من مشائخ الطرق الذی کان ینوّر قلوب السالکین الی الرب الرحیم بالعلوم الباطنة، والشیخ عط العارف بالله المجاهد فی سبیل الله ابو الحسن تاج محمود الامروتی[3]، ومفسر العصر العلامة الاستاذ عبید الله السندی صاحب هذا التفسیر وغیرهم۔

ونسأل الله ان یبقی فی السند آثار اسلافنا الماضیین الی یوم الدین والله علی کل شئ قدیر، انما امره اذا اراد شیئا ان یقول له کن فیکون۔

تأسیس لجنة بیت الحکمة قد قامت فی سنة ١٩٦٩ء لجنة بیت الحکمة فی کراتشی لاحیاء آثار اسلافنا العلمیة عامة، والاشا عة

الحدیث حتی برز فیهما وصار ابدع ابناء العصر فدرس وافتی وکان آیة من آیات الله فی ترویج احکام الاسلام واسلم علی یدیه مات من الهند وکیین وغیرهم. توفی سنة اربع وسبعین ومائة والف. نزهة صفحه ٣٦٣ ج ٦ بزیاده

[1] هو وقف جل عمره فی اشاعة العلم واخذ عنه جماعة منهم ابناه العلامة کل محمد، المتوفی ١٣٠٦ھ والمولی غلام صدیق المتوفی ١٣٢٣ھ والشیخ محمد هاشم الیاسینی وغیرهم رحمهم الله تعالی۔

[2] کان سید العارفین الحافظ محمد صدیق البرچوندوی السندی من ائمة الطریقة الراشدیة وکان سنیا حنفیا یمنع عن الشرک والبدعة، وکان صحب الصدر الشهید الشاہ اسماعیل، والامیر الشهید السید احمد البریلوی لما وردوا فی السند لاجتیازهم الی افغانستان وتنور بصحبتهم، توفی ١٣٠٨ھ. راجع التمهید۔

[3] قلت: الشیخ العارف الامروتی السندی کان من خلفاء سید العارفین البرچوندوی وقد اسلم علی یده الوف من الهندوکیین، والمسیحیین وغیرهم

امالی الامام عبید الله السندی خاصة ، وکان من اهم فرائض هٰذه الادارة طباعة التفسیر للعلامة السندیؒ ۔

ولما کان هٰذا التفسیر من امالی الشیخ التی املاها علی علامة الدهر موسی جار الله وکان کالتعلیقات الغیر المرتبة فاهتمؒ اولاً بترتیبه ، و تبییضه حتی یکون مرتبا وموضحا یستفید به الاصاغر ، والاکابر فعین لهٰذا الامر الفخیم المولی العلامة السید محمد نور المرشد المکی الذی کان من ارشد تلامذة الامام السندیؒ فوصل العلامة المذبور من مکة المکرمة الی کراتشی ، واشتغل فی الترتیب ۔ وتصحیح المسودة ، وحینما وصل التبییض والتصحیح الی اربعة عشر جزءاً من القرآن الحکیم ، حنّ له حنین الی وطنه مکة ، فذهب علی رخصة ، ولکن هٰذا الرحیل کان رحیل الموت ، فرحلؒ الی جوار رحمة الله ابد الآباد ۔ وما مضت علی تلک السانحة زمن کثیر حتی اتت علی الادارة آفة عظیمة اخری بتوفی الاخ فی الله العالم الادیب الشیخ دین محمد الوفائی السندی المدیر لمجلة التوحید ، وکانؒ یتحمل اعباء المصارف لادارة بیت الحکمة ۔

و بعد تلک الحوادث العظیمة ما کان فی وسعنا اداء الفریضتین العلمی والعملی معا ، فشکوت الی الله ، وصبرت صبرا جمیلا حتی وفقنی الله تعالیٰ لهٰذا الامر الفخیم ، فکررت النظر فی المسودة ، وعلقت علیها التعلیقات الموضحة للمواضع المشکلة فتم المجلد الاول بعونه تعالیٰ من الفاتحة الی آخر سورة البقرة وهو المستعان وعلیه التکلان ۔

ترجمة إمام الانقلاب الأستاذ المفسر عبيد الله ابن الاسلام السندی .

ولد رحمه الله سنة ١٢٨٩ھ (سنة ١٨٦٢ء) فی قریة جیانوالی من قری مدیریة سیالکوت وکان ابواه من عائلة السیخ، وبعد ما ترعرع شرع فی طلب العلم سنة ١٢٩٥ھ (١٨٦٨ء) واشتغل فی الریاضی، من الحساب، والجبر، والاقلیدس، وتاریخ الهند زیادة علی القدر الذی یدرس فی المکاتب. وکان مولعا بمطالعة ما وقع بیده من الکتب فحصل له بعونه تعالیٰ کتاب تحفة الهند للشیخ عبید الله الذی اسلم من البراهمة سنة ١٣٠٠ھ، وداوم علی مطالعته حتی فهمه، فوفقه الله للاذعان بحقیة الاسلام، وخرج من بلاده مختفیا واعلن اسلامه فی السند وسمّی نفسه عبید الله علی اسم صاحب التحفة، ووصل الی سید العارفین الحافظ محمد صدیق السندی قدس سره وبایع علی یدیه سنة ١٣٠٥ھ، ولقنه سید العارفین کلمة التوحید ــــ وبعد ما قضی وطره من الذکر والفکر فی حلقة سید العارفین اشتغل فی طلب العلوم الشرعیة ومبادیها، فأخذ من بعض شیوخ ملتان مبادی الصرف والنحو، ثم ارتحل الی دار العلوم بدیوبند فی صفر سنة ١٣٠٦ھ، ثم اشتغل فی کتب المنطق والفلسفة فسافر الی کانفور ورامفور فاخذ المنطق والفلسفة من تلامیذ المفتی لطف الله والفاضل المحقق عبد الحق الخیرآبادی وغاب لذلک نحو ستة اشهر عن مدرسة دیوبند ثم رجع الیها فی صفر سنة ١٣٠٧ھ بعد ما فرغ من کتب الفلاسفة وجه نظره الی اصول الفقه فاخذ المبادی من شیوخ دار العلوم منهم الشیخ ابو الطیب الحافظ احمد بن شیخ الاسلام مولانا محمد قاسم الدیوبندی، وقرأ علی شیخ الهند مولانا محمود الحسن الدیوبندی

الهداية فی الفقہ، والمطول، وتفسیر البیضاوی، وراجعہ فی مشکلات شرح المواقف، ومسلم الثبوت والاتقان.

وفی شعبان سنۃ ١٣٠٧ھ بعد الاختبار والامتحان رضی عنہ شیوخ دار العلوم منہم الشیخ السید احمد الدہلوی وشہدوا لہ بالفلاح علی الدرجۃ الانتہائیۃ التی لم یصل الیہا فی تاریخ دار العلوم الا واحد او اثنان. وفی تلک السنۃ حین التعلم صنف مراصد الوصول الی مقاصد الاصول لخص فیہا مسلم الثبوت و اضاف الیہ من تحریر ابن الہمام وشرح المختصر للعضد وغیرہما فلما عرضہ علی شیخہ شیخ الہند استحسنہ جدا، والبسہ بلباسہ مرارا، وبعد الفراغ من کتب الاصول والکلام، اشتغل فی مطالعۃ کتب شیخ شیخہ شیخ الاسلام مولانا محمد قاسم النانوتوی الدیوبندی.

ومن سنۃ ١٣٠٨ھ تجرد لاخذ الحدیث فقرأ جامع الترمذی علی شیخ الہند وسنن الامام ابی داؤد علی شیخہ رشید احمد. وفی اٰخر ہٰذہ السنۃ حصل لہ الاجازۃ العامۃ عن شیخ الہند۔

قال الشیخ فی کتابہ:۔ "التمہید" وکان من وصایاہ (شیخ الہند) التی فہمت منہ وحفظتہا، ترک المنازعۃ لاصحاب امہات السنۃ فیما صححوہ، وعدم الالتفات الی المتاخرین المتشککین فی ذٰلک، وتقدیم الجمع والتطبیق علی الترجیح وجمع الہمۃ علی التفقہ فی احادیث الطبقۃ الاولی من الموطا، والصحیحین، و الطبقۃ الثانیۃ من سنن الترمذی وابی داؤد، والنسائی فقط، والاقتصار علی مسند الامام احمد فی اخذ الزوائد عند الحاجۃ والاعتماد علی فتح الباری فی الشروح، ثم الرجوع الی حجۃ اللہ البالغۃ اھ ١١.

وبعد الفراغ من تعلم الدرس النظامی فی ثلاثۃ سنین (وہٰذا یدل علی

كمال ذكائه وحدة ذهنه) اراد ان يذهب الى شيخه فى الطريقة: سيد العارفين السندي
ولكن شيخه سيد العارفين توفى قبل وصوله بنحو عشرة ايام، فازدادت همومه
لكن توجه اخص اصحابه مولانا ابو السراج غلام محمد الدينفوري ومولانا ابو الحسن
تاج محمود الامروتى السندى الى تربيته الظاهرة والباطنة.

فهو اقام فى امروت من بلاد السند نحو عشرة سنين من سنة ١٣٠٨ھ الى سنة ١٣١٩ھ. والشيخ الامروتى اقام له مدرسة دينية ومكتبة كبيرة جمع فيها الكتب النادرة، فدرس فيها[1] وكتب الف.

وبعد سبعة سنين سنة ١٣١٥ھ رجع الى شيخ الهند فعرض عليه بعض مؤلفاته وراجعه فى حل الاشكالات وقرأ عليه اطرافا من كتب الحديث مع مسند الامام احمد ومعانى الآثار للطحاوي، وموطا الامام مالك برواية الامام يحيى وبرواية الامام محمد وكتاب الآثار للامام محمد لم يشاركه فى تلك القراءة احد لا قارئا ولا سامعا. ثم رجع الى السند ثانيا، و اشتغل فى توجيه الانظار الى تأسيس فرع دار العلوم وكابد فيه المشاق حتى يسر الله له ذلك سنة ١٣١٩ھ واسس دار الرشاد فى "بيرجهندا" قرية من مديرية حيدرآباد السند بمشاركة المحدث السيد ابى التراب رشد الله صاحب العلم، فاخذ منه كتب الحديث، والتفسير وما يتعلق بهما جمع من اهل العلم[2]، و واظب على درس فلسفة

[1] قلت: استفاد عنه خلق كثير فى تلك المدة اجلهم العلامة عبد الوهاب القلاجي السندي، فقرأ عليه التوضيح والتلويح والهداية وغيرها، وكان رحمه الله آية من آيات الله فى حدة الذهن، وسعة العلم وكان فى جميع العلوم بحرا امواجا لا ساحل له، استفدت منه فى كثير من المسائل العلمية والحمد لله على ذلك.

[2] قلت: قرأ عليه فى دار الرشاد جماعة من العلماء مما لا تعد ولا تحصى منهم العلامة المحدث الشيخ اميد على السندى، ومفسر العصر مولانا احمد على السندى اللاهورى، والشيخ الموحد قامع البدعة السيد ضياء الدين صاحب العلم، والمفسر المحقق الشيخ عبد الله اللغارى السندي والعامل بالحديث الشيخ محمد اكرم الهالائى، والمولى المفتى عبد القادر السندى، وغيرهم وسمعت من صاحب الفضيلة مولانا السيد وهب الله صاحب العلم: ان جده المحدث ابا التراب وان كان وحيدا فى العلوم النقلية ولكنه قرأ على العلامة السندي سلم

الامام ولى الله الدهلوى كما كان دابه قبل فى مدرسة امروت السند. وبعد ماصار المتخرجون من دار الرشاد قادرين على ادارتها تحت زعامة المحدث ابى التراب امره شيخ الهند بالاقامة فى دار العلوم سنة ١٣٢٧ھ فلبى امر شيخه ووصل الى دار العلوم فاقام فيه جمعية الانصار وكان من امثل اعمال الجمعية المؤتمرُ العلمي الديني وتنظيم تكميل الشرعيات للطائفتين ممن تخرج من المدارس الدينية اومن المكاتب العصرية وجمع النفقات للهلال الاحمر والتفاصيل مطبوعة فى المجلات فراجعها. الشيخ مضى على مثل تلك الاعمال نحو اربعة من السنين. ولما امرت الحكومة البريطانية لشعبتها الهندية بانتقالها من كلكتا الى الدهلي اجتمعت الجمعيات السياسية فى هذا المركز الجديد فاقام شيخى العلامة فى دهلى بامر شيخ الهند سنة ١٣٣١ھ واَسَّسَ "نظارة المعارف القرآنية" وكان يدرس فيها القرآن العظيم على طريق الاعتبار باصول الفوز الكبير لشاه ولى الله الدهلوى، ويدرس مصنفه حجة الله البالغة مع الاطلاع التام على السياسة الحاضرة، فاشترك فى تلك الجمعية اكابر زعماء مسلمى الهند مثل النواب وقار الملك من عليگڑھ والحكيم مسيح الملك محمد اجمل خان من دهلى، واجتمع هناك الشبان من علماء الدين ومن قواد السياسة للمسلمين، لكنه وقع الحرب العمومى فامره شيخ الهند بالهجرة الى كابل سنة ١٣٣٣ھ واغلقت مدرسة نظارة المعارف، وكذلك مدرسة دار الرشاد فى السند بامر الحكومة.

والشيخ سافر من دهلى الى السند وكان الامر صعبا لشدة المراقبة من الحكومة ولكن سهل الله بفضله وسافر من السند سنة ١٣٣٣ھ الى كابل. اقام الشيخ فى كابل نحو

العلوم فى المنطق، وسمعت من شيخى العلامة الكورائى السندى انه قرأ ايضا على العلامة السندى شيئا من ترجمة القرآن وغيرها، وبعد الرجوع من مكة المكرمة وفى اقامته فى دار الرشاد قرأ عنده ايضا اجلة علماء السند كالشيخ على محمد كاكيبوتا والمولى المحقق الباحث عبد الربانى، والعالم الجليل الحافظ محمد خليل نزيل السند وهذا العبد الضعيف ابوسعيد غلام مصطفى القاسمي

سبعة سنين، فعمل جمعية سياسية، للمسلمين نظامها نظام العسكرية فحصلت الحرية الكلية لأفغانستان بسبب مساعيه واعماله المباركة وليس ههنا موضع تفصيل

وبعد الصلح بين المتحاربين الانكليز والأفغان تعسر للشيخ القيام في كابل فأراد الخروج منه الى استامبول سنة ١٣٤٠هـ. وكان حريصا ايضا الى مطالعة حالات الشرق الأدنى، وكان الطريق مسدودا عليه الا من جهة الشمال فتكلم مع وكيل روسيا الاشتراكية فرحبه وامده بتسهيل الطريق اذا دخل في حدود روسيا وعبر جيحون.

والشيخ لما دخل روسيا رآها عالما جديدا تعمر على الأساسات الجديدة، وهو وان تأثر عن العزم العالي لمعمري الملك الجديد ولكنه زاد مع ذلك حبه وعشقه بالاسلام، وزاد ايمانه، واعتقاده بالله تعالى. وهو لاقى في ماسكو كثيرا من زعماء الشيوعيين، وطالع اصولهم، ولكنه بقي موحدا ومسلما لأنه رأى الاسلام غالبا من انقلاب روسيا ونظرياتها.

هذا الاسلام الذي رآه عاليا من انقلابهم لم يكن الاسلام الذي كان رأى انموذج عمله في الهند الغير المنقسم وغيره من الممالك. واذ ذلك كان يرى عقبات صعابا دون انشاء الحكومة الاسلامية لسلاطين المستبدة.

ثم ذهب الشيخ من ماسكو الى تركيا. وكان ذلك الزمان زمان مصطفى كمال المرحوم وهو كان مشتغلا في التعمير الجديد لتركيا، بطل الخلافة، وروج قانون سوئزرلند وابطل الأوقاف، واغلق المدارس الدينية وغير رسم الخط العربي، فالشيخ اقام هنالك سنين عديدة، ورأى تلك الانقلابات بعين البصيرة، ولا ندري اي تأثير اثرت تلك الحوادث في قلبه لكنه لم يكن من الذين اذا رأوا شيئا مكروها اغمضوا عينيها ولا من الذين اذا لم يروا شيئا زعموه معدوما من الأصل، بل الشيخ كان يطالع تلك الحوادث، واسبابها بعين البصيرة.

ثم الشيخ بعد ما رأى الانقلابين انقلاب روسيا وانقلاب تركيا، وصل فى مركز الاسلام مكة المعظمة، بتجارب ثمينة. وكان اهم مشاغله هنالك الدرس والتدريس[1]، وتصل اليه كتب من احبائه العرب والهنديين فيطالع ويعلم التلاميذ من الشعوب المختلفة من العرب، والهند، والجاوى وغيرها. وفى تلك السنين طالع مصنفات الامام ولى الله الدهلوى مستوعبا اياها مرات عديدة، وطالع تاريخ الهند، وتاريخ المسلمين بالتنقيد والتبصر فيها. وايضا الشيخ فى مدة اقامته فى الحجاز ظل يفكر وينظر فى العزلة الحياة الماضية وتجاربها فرتب فى ذلك الزمن افكاره الدينية، والسياسية. وكان له يقين واذعان راسخ غير متزلزل فى صداقة تلك الافكار. وكان يريد ان تستفيد من افكاره اهل وطنه، فتحمل القيود والضوابط من الحكومة المستعمرة البريطانيا، ليحصل له الاجازة بالرجوع الى وطنه، ويعلم الوطنيين افكاره التى رتبها بعد التجارب فى اربع وعشرين سنة. فهذا كان سبب وروده الوطن فى اخر حياته.

ولما نزل على شاطئ كراتشى فى ٧، مارس سنة ١٩٣٩ء بدأ فى تشييع افكاره بدون تأخر. فكان من خطابه:-

"ان القصور الشامخات التى تزعمونها ارفع من فلك الافلاك لاتنجو من ايدى الزمان، وتمدنكم، وعشرتكم، وآراؤكم وسياستكم قد نخرت. فان تريدوا ان تكونوا مسلمين حقيقة فافهموا حقيقة الاسلام امراؤكم متعاظمون، وحكامكم

[1] قلت:- الشيخ كان يدرس فى المسجد الحرام وخارج المسجد ايضا فقرأ عليه الاجلة من العلماء كتب الحديث، وترجمة القرآن، وفلسفة الامام ولى الله الدهلوى وغيرها كالعلامة موسى جار الله جامع هذا التفسير، والشيخ محمد عبد الرزاق آل حمزة، والشيخ محمد نور المرشد المكى، والشيخ عبد الوهاب الدهلوى، والشيخ عبد الظاهر ابو السمح، والشيخ سليمان الضيع مدير مكتبة الحرم والشيخ محمد السندى المدنى، والشيخ محمد التويجرى وغيرهم.

متبعوا الشهوات، وفقراؤكم متبعوا الأماني، والظنون. اصلحوا انفسكم والا فالزمان لا يبقى اثركم، واستقيموا والا فتمحوا من الارض"۔

والحاصل ان الشيخ جميع حياته كان مبحثا، وولها، وشغفا، وعزما. هو امضى عمره فى الجد والجهد. وهو لما وصل سبعين سنة من عمره فكان يرى اكثر من الشبان همة فتارة تراه جالسا فى بيت الحكمة للجامعة الملية فى دهلى مع طلبة العلم يدرسهم. لا يتفكر فى الاستراحة، ولا فى الاكل والشرب لا يبالى البرد القارس، ولا السموم الملوحة. واذا حضر احد عنده ليلة ليستفيد منه فيبيت معه سامرا طول ليلته. لا ترى عليه اثر اللانقباض والذبول. وتارة تراه مشتغلا فى الدرس والتدريس فى صحراء السند فى قرية "بيرجهنده" وتارة تراه مستشيرا اصحابه ليشترى هنالك الارض لتعمير بيت الحكمة. وان لم تتم له مقدرته لذلك فكان يبنى عشا ويجلس فيها يدرس الطلبة. فهذه كانت همته. لا ينقاد للزحف، والانكسار وهذا كان ايمانه الذى يتقوى مع مرور عمره

كان رحمه الله منقطعا الى العمل المذبور، حتى أتاه الأجل فى ٢١، اغسطس سنة ١٩٤٤ء، ورجع الى ربه راضيا مرضيا۔

كتب العلامة الكبير موسى جار الله الجامع لهذا التفسير على موته رسالة الى الشيخ محمد السندى المدنى قال فيها۔

" الامام المجاهد المجتهد عبيد الله السندى لبى دعوة الله، ورجع الى ربه راضيا مرضيا ونفسه مطمئنة. فادخله الله فى عباده، وادخله جنته. "عبادى" فى هذه الآيات الكريمة من سورة البلد على حسب ما كان يعتقده الامام السندى هم الملأ الاعلى، ما كان لى من علم بالملأ الاعلى اذ يختصمون" من سورة ص ع ٩- والملأ الاعلى يسميه الامام شاه ولى الله بحظيرة القدس، والاعتقاد بحظيرة القدس اصل اساسى فى فلسفة الامام شاه ولى الله وظيفة العقل العاشر فى فلسفة حكماء اليونان، وكل فيض من فيوض الله فى عالم الانس ينزل من عرش الله

بواسطة حظيرة القدس.

انى اعرف الامام السندى حق المعرفة رأيته اول مرة اذجاء الى عاصمة البلاشفة (موسقوه) فى حياة لينين رئيس البلاشفة فاستقبله رجال الحكومة، وكانت الحكومة تبالغ فى احترام الامام السندى عظيم الاحترام و كانت تستفيد وتستنير من افكار الامام ومن بياناته، وطبعت الحكومة بعض ارشاداته فى اللغة الانكليزية وبقيت عندى نسختها الفارسية -

وذهبت الى العاصمة لاستقبل الامام انوره زيارة استفادية، وبقيت فى صحبته اياما عديدة، وكان ياتى الى بيتى فى اكثر الايام صباحا ومساءً ثم دعوته الى العاصمة لينين كراد. فاستقبلته، واستقبلته الحكومة، فاثرنى الامام السندى، ونزل بيتى وشرفنى باقامته فى بيتى مدة اسبوعين من ايام شهر رمضان المبارك - ولم يفطر لا هو ولا اصحابه بعذر السفر - والسيدة ربة البيت كانت تعد للضيوف المكرمين موائد الشاء والعشاء طول الليل، وطول النهار - وساعة الافطار كان الامام السندى يتشرف بحضور المائدة المستطيلة وحوله اصحابه وفى بعض الايام كبار علماء الروس الذين كانوا يأتون لزيارته وصحبته. والامام السندى واصحابه لرأوا فى العاصمة كل مايراه اهل الرغبة فى السياحة، ورأى اشياء كثيرة لايراها الا القليل، ومدة اقامته فى بيته كنت لا افارقه الا فى ساعات استراحة، وساعات صحبته مع اصحابه، فعرفته حق المعرفة فرأيته حنفيا حنيفا مخلصا فى دينه لم ارله اثر رياء فى عبادته، ولا تكلفا فى سيرته وكلامه ورأيته مجتهدا فى علمه، ومجاهدا صادقا فى حركاته واعماله وله امال كبيرة وهو شديد الايمان وقوى الرجاء فى نجاحه فيها وفى الفوز بها -

خرج من روسيا فی الثالثة والعشرين المسيحية ثم ادركته فی استامبول فی سنة ١٩٢٦ء ورأيته فی الحرمين مراة كثيرة وصحبته فی الحرم المكی مدة اشهر كثيرة، وقد ضبطت بالاتقان اماليه فی تفسير القراٰن الكريم علىٰ فلسفة الامام شاه ولی الله. وبهذه الفرصة المهمة قد وقفت علىٰ افكاره فی الاجتماعيات وعلى مقاصده الحكيمة فی الكتاب الكريم، وكان يقول فی بعض الاحيان نحن نتمكن ان نثبت قول الله جلّ جلاله:- قُلْ يٰٓاَيُّهَا النَّاسُ اِنِّیْ رَسُوْلُ اللّٰهِ اِلَيْكُمْ جَمِيْعًا. (١٥٩:٧) فی مؤتمر الاديان لكل دين بكتابه اذا فسرنا كتاب الله كريم بفلسفة الامام شاه ولی الله.

اصيب الهند، واصيب عالم الاسلام بموت عالمه الكبير، فعلىٰ كرام الامة علی علمائها، وساداتها واغنيائها وعلىٰ امرائها ان يحيوا اٰمال الامام السندی باحياء ذكرى الامام السندی عملاً بارشاد الكتاب الكريم " مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ اَوْ اُنْثٰی وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً ۚ" (نحل ٩٧)

هٰذا وسيجی مزيد التبصرة على تفسيره وعلى حياة جامع التفسير العلامة موسیٰ جار الله وعلىٰ مصنفاته فی المجلد الثانی من التفسير انشاء الله تعالیٰ

ابو سعيد غلام مصطفى القاسمی ابن الحافظ الحاج محمود السندی

غُفر له ولوالديه ولمشائخه اجمعين-

نفیس پرنٹنگ پریس۔ لجپت روڈ حیدرآباد